

www.alrased.net

سلسة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد ١٦٤ جمادى الأولى ١٤٣٨هـ

# أدوات المشروع الإيراني الشيعي العدواني

# المحتويات

## فاتحة القول



## فرق ومذاهب



## سطور من الذاكرة



## دراســــات



## كتاب الشهر



## قالوا



## جولة الصحافة










**رسالة دورية**
**تصدر بداية**
**كل شهر عربي**

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

**العدد**
**(١٦٤)**
**جمادى الأولى - ١٤٣٨ هـ**

www.alrased.net
info@arased.net







## أدوات المشروع الإيراني الشيعي العدواني

**لا يزال المشروع الإيراني الشيعي العدواني والطائفي مصرا على مواصلة عدوانه وجرائمه بحق المسلمين بخاصة**، والعالم بعامة، برغم ما يلاقيه هذا المشروع الطائفي والإرهابي من رفض وإدانة على مستوى كافة الشعوب الإسلامية والعالمية.

**فقد فضح هذا المشروعَ وكشف حقيقته الطائفية الإجرامية الإرهابية صمودُ الشعوب البريئة في العراق وسوريا ولبنان والبحرين واليمن** أمام آلة الإجرام الإيراني والشيعي الذي تداعت له العديد من المجاميع الشيعية من مختلف دول العالم، كما أن تطور وسائل الإعلام والاتصال كان لها دور كبير في توثيق الجرائم البشعة للمشروع الإيراني الشيعي، فإذا كان البعض يشكك في روايات التاريخ عن مدى الحقد الأسود الذي يكنّه الشيعة وملاليهم للمسلمين والتي تمثلت في خياناتهم عبر التاريخ للمسلمين وتعاونهم مع أعداء الإسلام أو في جرائمهم الإرهابية التي قاموا بها في دويلاتهم كالقرامطة والفاطمية والصفوية والخمينية، فإن جرائمهم الإرهابية الوحشية في العراق وسوريا والبحرين واليمن وغيرها قد تم توثيقها بالصوت والصورة، وعلى الهواء مباشرة في بعض الأحيان.

**حيث تنوعت جرائمهم من السجن والتعذيب الوحشي إلى الاغتصاب والقتل السادي** بطرق يتفتق لها قلب الرجال، لكنها تكشف عن سذاجة السادرين خلف الوحدة والتقريب بين السنة والشيعة إذ:

كل العداوات ترجى مودتها      إلا عداوة من عاداك في الدين

**ولكن إيران لا تزال تصر على مواصلة عدوانها الإرهابي والطائفي** من جهة كما هو قائم على الأرض في كل ساحات الصراع وتحاول إفشال مفاوضات الأستانة بخصوص سوريا كونها لا تحقق لها كل أطماعها في سوريا، ومن جهة أخرى تسعى إيران للظهور بمظهر الحريص على السلام والأمان في المنطقة كما في تصريحات وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف في دافوس التي تستغرب حالة الصراع بين السعودية وإيران، وأن على السعودية إيقاف تدخلها في اليمن والبحرين وسوريا!

**وهذا التوزيع للأدوار (الشرطي الجيد والشرطي السيء) حيلة قديمة اعتادتها الدول الظالمة والمجرمة** ولكنها تروج على كثير من البسطاء والبلهاء وتحافظ من خلالها على أتباعها وأنصارها، وهذا يجعل من كشف وفضح وتعرية أدوات المشروع الإيراني الشيعي في هذه اللحظة مطلبا مهما حتى نمتلك الرؤية الشاملة لأدوات العدوان أولاً، وإبطال فعالية هذه الأدوات ثانيًا، وسد الثغرات التي يستغلونها لصالح مشروعهم وتسللهم من الشقوق والفجوات.

**إذ يقوم المشروع الإيراني والشيعي على الخطوات التالية:**

١- الاختراق للمجتمعات والدول لكسب القبول والأنصار وزرع العملاء والخلايا وصناعة الزعامات والمليشيات الموالية، تحت شعارات الوحدة الإسلامية ونصرة المشروع الإسلامي ودعم المقاومة والممانعة والمستضعفين وحسن الجوار.

٢- زعزعة هذه المجتمعات والدول للسيطرة عليها من الداخل سياسيا أو بالقوة الانقلابية الداخلية أو الخارجية.

٣- التعمية والإلهاء عن هذه السياسات والسلوكيات العدوانية في الداخل والخارج.

٤- الدخول في مفاوضات طويلة وعرقلتها كلما تقدمت للحفاظ على المكاسب على الأرض، والحفاظ على أصل المشروع الإيراني.

٥- دخول مرحلة هدنة إذا تغيرت الظروف لغير صالحهم مع الحفاظ على أكبر قدر من المكاسب، وانتهاز الفرصة لاحقا للعدوان والتمدد.

**ولتنفيذ هذه الخطوات يعتمد نظام الملالي على أدواته الداخلية كالحرس الثوري أو السفارات ونشاطاتها المختلفة**، أو علاقاته السياسية والاقتصادية، ولن نتعرض لها هنا.

**وبالمقابل هناك العديد من الأدوات الخارجية التي يستخدمها نظام الملالي لصالح مشروعه الإيراني والشيعي** والتي تتمثل في:

١- المجاميع الشيعية في الدول الأخرى: حيث تقدم إيران نفسها كحامية وحاضنة لأي شيعي أو متشيع في العالم، بحيث تصبح هذه المجموعات الشيعية بمثابة مكون وطني يمثل مطالب إيران في هذه الدول بدلا من كونها مكونا كسائر المكونات تحرص على المصلحة الوطنية المشتركة.

ومن ثم تقايض هذه الحماية والرعاية بتنفيذ أجندة الأطماع الإيرانية والشيعية، بداية من اتباع الولي الفقيه دينيا، مرورا بالتأييد لسياساته، انتهاء بتكوين مليشيات عسكرية تأتمر بأمر ولي طهران دون اعتبار لسيادة دولهم كما شاهد العالم أجمع توافد مليشيا شيعية من أكثر من ١٥ دولة في سوريا!

٢- اليساريين والاشتراكيين والناصرين والشبيحة أفرادا وأحزابا: لقد تحول هؤلاء (المناضلون) التقدميون لأنصار للملالي وأنصار الولي الفقيه، والذين يمثلون آخر أشكال الحكم الثيوقراطي!

ففي العديد من الدول أصبح الحليف السياسي للمشروع الإيراني الشيعي الطائفي هو القوى التقدمية واليسارية حيث تنادى

بالسياحة الدينية لدعم التعددية والاقتصاد، وأن الميلشيات الشيعية هي الحليف والنصير في محاربة التطرف والإرهاب.

٣- الأذرع الإعلامية: لقد أدركت إيران مبكرا دور الإعلام فحرصت على بناء منظومة إعلامية مسيطرة في الداخل الإيراني مع تغييب الصوت الآخر من الداخل والخارج، ثم بنت شبكة إعلامية قوية تابعة لها تخاطب الخارج بعدد من لغات العالم، ولم تكتفِ بذلك بل تمكنت من اختراق الإعلام المقابل لها حيث زرعت من جهة كثيرا من أتباعها في الإعلام العربي كقناة الجزيرة والعربية وغيرها، بل حتى القنوات العالمية كالبي بي سي العربية التي تكاد تعد صوتا إيرانيا، فضلا عن كثير من الصحفيين الأجانب.

وهناك أيضا الكثير من الصحفيين والإعلاميين (المستقلين) الذين يقومون بخبث ودهاء بتمرير الدعايات الشيعية كعبد الباري عطوان وفهمي هويدي.

٤- منظمات حقوق الإنسان المتواطئة مع مشروع الملالي: حيث دعم الملالي الكثير من مؤسسات المجتمع المدني، وخاصة الحقوقية في بلادنا وفي الغرب من أجل الدفاع عن الإرهابيين المتورطين في عمليات إجرامية ضد أوطانهم وشركائهم في الوطن.

وفكرة العمل الحقوقي والمدنى كانت في البداية جزءا من المنظومة الغربية لترسيخ الديمقراطية والليبرالية في المجتمعات الإسلامية، لكن المشروع الإيراني والشيعي وجد فيها فرصة سانحة لتشويه صورة الدول السنية ووصمها بالإرهاب والقمع والاعتداء على المواطنين الأبرياء الشيعة، والذين قاموا فقط بقتل رجال الشرطة والأمن مرات ومرات كما في البحرين والسعودية، أو بتقويض النظام والتحريض على قتل رجال الشرطة والانقلاب كنمر النمر في السعودية ومرتضى السندي في البحرين.

٥- التجارة: حيث يقوم الحرس الثورى بإدارة آلاف الشركات في دول العالم لنشر نفوذهم وهيمنتهم وزرع خلاياهم وعملائهم تحت بريق الذهب والدولارات.

٦- اللوبيات السياسية: لقد أعاد نظام الملالي إحياء اللوبيات الإيرانية في الغرب، وخاصة أمريكا، للدعاية للمشروع الإيراني والشيعي وأنه الشريك في محاربة الإرهاب والتطرف، بل تواصل الملالي مع الإيرانيين القوميين في الغرب والمعادين للملالي من أجل إقناع الغرب وخاصة إدارة ترامب القادمة للحفاظ على إيران وحصر العداء بالملالي وعدم تكرار سياسة أمريكا في العراق التي دمرت العراق وليس نظام صدام حسين فقط!

٧- الفنانين والمطربين: لم يستثنِ أصحاب العمائم والمقاومة والممانعة حتى الساقطين من أهل الفجور كفاروق الفيشاوي وحنان شوقي وشعبان عبد الرحيم وغيرهم، برغم أن ملالي إيران يزعمون أنهم ضد والسينما العربية، والمصرية تحديدا، بسبب التبرج والاختلاط والعري والفواحش التي تمتلىء بها، إلا أن الملالي لا يمانعون في الاستفادة من عرق هؤلاء الممثلين والممثلات والمطربين والمطربات لتمرير مشروعهم الشيعي الطائفي للجمهور الغائب عن الوعي خلف شاشات السينما والتلفزيون والهواتف المحمولة، فالغاية تبرر الوسيلة!

٨- حركات العنف والتطرف: تتكشف في كل يوم المزيد من الأدلة والإثباتات عن اختراق هذه الجماعات وتمويلها وحمايتها من قبل نظام الملالي وتوظيفها لصالحه، كتنظيم القاعدة الذي آوته إيران وسهلت دمشق عبوره للعراق، أو داعش الذي سهل المالكي وبشار هروب قيادته من سجونهما ثم سلماه مدينتي الموصل وتدمر بأسلحتها، إذ هذه الجماعات والتي أحيت فكر ومنهج الخوارج تقدم خدمات جليلة للمشروع الإيراني والشيعي فهي تزعزع أمن واستقرار الدول السنية المستهدفة من هذا المشروع، وقامت بضرب وإضعاف وإنهاك قوى الثورة والمقاومة للمشروع الإيراني والشيعي في العراق وسوريا واليمن، وأيضا وصمت منهج أهل السنة بالإرهاب عالميا من خلال تنفيذ عمليات إرهابية عبثية في أوربا والعالم في لحظات فارقة صرفت أنظار العالم عن جرائم وإرهاب المشروع الإيراني والشيعي طيلة حكم نظام الملالي الممتد لقرابة ٤ عقود.

٩- الطرق الصوفية المتشيعة: نجحت إيران في كسب بعض الطرق الصوفية لمناصرتها وتبني منطقها السياسي والفكري على غرار الطريقة العزمية بالقاهرة، وهؤلاء يشكلون خزانا بشريا تتاجر به طهران في دعايتها ونفوذها في البلاد المستهدفة.

١٠- الحركات الإسلامية السنية ذات التمويل الإيراني: وهذه الحركات تتنوع في مدى خدمتها للمشروع الإيراني الشيعي الطائفي الإرهابي بين حركات عميلة ومستأجرة بالكامل كحركة الصابرين في غزة والتي لها أشباه في العديد من الدول العربية والإسلامية وقد تجاوزت التشيع السياسي للتشيع العقدي، وبين جماعة نصف عميلة للمشروع الإيراني حيث هي متشيعة سياسيا تقريبا لكن بعض الحياء والإيمان لا يزال يحول بينها وبين التشيع العقدي، وهي برغم كل هذه المجازر والطائفية الإيرانية لا تزال تمدح إيران وتعتبرها نموذجا محترما للحكم الإسلامي كحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وأيضا هناك من يشابهها.

**وهناك حركات لديها تفريط كبير جداً بالمبادئ الإسلامية القائمة على التمسك بالحق والعدل** ولكنها تكاد تتحول لحركات قُطرية ضيقة لا تراعي إلا مصالحها القطرية الضيقة ولذلك تعلن دوما مدحها لإيران علانية ولا تجرؤ على انتقاد وفضح طائفية وإجرام إيران بحق المسلمين ولا حتى بحق أبناء شعبها من قبل إيران ووكلائها في العراق ولبنان وسوريا واليمن إلا في غرف مغلقة كحركة حماس في فلسطين وعموم جماعة الإخوان المسلمين.

**ووظيفة هؤلاء في خدمة المشروع الإيراني توفير العملاء لإيران كما فعلت الجهاد بتفريخ الصابرين**، وفتح الطريق لإيران لاختراق جماعات إسلامية سنية حيث ربطت حركة الجهاد بعض الفصائل الصغيرة في غزة وكذلك بعض الإسلاميين في الجزائر بالإيرانيين، وأيضا تستفيد إيران من هذه الصلات بمنع تجريم إيران والتشيع وقطع صلتهم بالأمة الإسلامية مما يجعل جرح الأمة دوما نازفا وملوثاً ومخترقاً من المشروع الإيراني والشيعي، وهم لا يتعلمون إلا بالقطعة، فالبلد الذي يَقتل الإيرانيون والشيعة فيه أعضاء الإخوان يعادون إيران والشيعة ولكن البلد الذي لا يَقتلون فيه الإخوان يبقي الإخوان على ود بقوى ويضعف مع الملالى، وكأن الولاء هو لدم أعضاء جماعتهم وليس لدم المسلمين!

**وبهذه الأدوات وحسن توظيفها يقوم نظام الملالي بالعمل على تنفيذ مشروعه الطائفي والإرهابي**، وطالما لم تسحب هذه الأدوات من يده أو تعطل بعمل حكيم وجاد فإن المشروع الإيراني الشيعي قد يتوقف أو يتراجع خطوات لكنه لن ينتهي إلا بانتهاء دولة الملالي نفسها لأنها إذا توقفت عن العدوان على الجيران والعالم تقوضت من الداخل بغضب الشعب على سوء أوضاعه.



# من دعاة الفتنة والضلال في عصرنا
# ١٥- محمد شحرور

إعداد: فادي قراقرة– كاتب فلسطيني - خاص بالراصد

لقي مشروع محمد شحرور دعاية وترويجا في الأوساط العلمية والشعبية وتفاعلت معه كثير من القنوات الإعلامية مما أثار جدلاً ونقاشاً على الصعيد العربي عامة.

وهو، وأمثاله من منتجات وروافد الفكر الغربي غايتهم مقاومة الانبعاث الإسلامي، وقد صرح أساطينهم في وجوب التصدي للتمدد الإسلامي، بأي أداة وأي أسلوب يعمل على إضعافه، كقول مسيو شاتليه: (فلنقتصر إذن على القول بأن سير العالم الإسلامي تدرج نحو انحلال أفكاره الدينية وزوالها، وذلك أمر طبيعي ممكن التحقيق) [1].



## ترجمة

ولد محمد أديب شحرور في مدينة دمشق عام ١٩٣٨م، درس المراحل الأولى من تعليمه في دمشق، ثم سافر بعد الثانوية إلى الاتحاد السوفيتي لدراسة الهندسة المدنية بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦٤، ثم بعد عودته إلى دمشق سافر إلى دبلن للدراسة في الجامعة الإيرلندية، حتى حصل منها على شهادتي الماجستير عام ١٩٦٩ والدكتوراه ١٩٧٢.

بدأت اهتمامات محمد شحرور بتأويل القرآن في عام ١٩٧٠، لما كان في إيرلندا وهو بصدد إعداد أطروحته للدكتوراه، التي لم تكن في العلوم الإنسانية أصلاً، واستمر هذا الاهتمام حتى عام ١٩٩٠ حين أصدر أول كتاب له في هذا الشأن والمثير للجدل (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة) ويعد هذا الكتاب الضخم أهم كتاب قدم فيه محمد شحرور نظريته في التأويل (التحريف) إلى جانب الممارسة العملية لذلك.

ثم توالت كتب شحرور على نفس النظرية التي انطلق منها في كتابه الأول، ومن هذه الكتب (الدولة والمجتمع) الصادر عام ١٩٩٤، وكتاب (الإسلام والإيمان منظومة قيم) وقد صدر عام ١٩٩٦، وكتاب (نحو أصول فقه جديدة للفقه الإسلامي فقه المرأة، الوصية، الإرث، القوامة، التعددية، اللباس) عام ٢٠٠٠، هذا إلى جانب البحوث والمقالات التي ينشرها في المجلات

(١) الغارة على العالم الإسلامي، صفحة ٩.

والدوريات العربية وبعض المجلات الأجنبية، إضافة إلى المحاضرات التي يلقيها في عدد من العواصم العربية، و(الفتاوى) التي تتناغم بوضوح مع مشروعه التأويلي للنصوص الدينية والقراءة الجديدة للإسلام.

وبرغم تصدي كثير من أهل العلم والفضل لبيان تهافت كتب وأفكار شحرور إلا أنه لم يتمكن من الرد عليهم ولو ببنت شفة!

## المنهجية والمنطلقات

ماركسية الدكتور محمد شحرور مفروغ منها عند العقلاء تماماً ولا تحتاج لكثرة أخذ ورد، ولا ينفع معها نفي الدكتور لها مع تصريحه بمبادئها وتعظيم رؤوسها ومفكريها، فبنظرة عابرة إلى أول كتبه نجد عنده المناداة بما عند الماركسية من فلسفات وضعية اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، يقول الدكتور شحرور: (إن العرب منذ البعثة إلى يومنا هذا، اهتموا برسالته وهجروا نبوّته، ولكن اهتم بنبوته كل معاهد الأبحاث العلمية والجامعات في العالم، وكل الفلاسفة ابتداءً من أرسطو، مروراً بكانت وإنجلز وهيجل وديكارت) [١].

هذا وأمثاله يثبت النزعة الماركسية وبقوة عند شحرور، كيف لا؟! وهو منقاد لها تماماً في أحكامه فهو يفرض أن الحقيقة الموضوعية، هي الأشياء المادية الموجودة في الأعيان خارج حدود الوعي، وأن الحق هو الوعي المطابق لها، وهذا جزء من أجزاء فلسفة سارتر اليهودية[٢].

فضلا عن تنزيله لفلسفة هيجل على القرآن الكريم، فلسفة (صراع المتناقضات)، كما في تفسيره الفلق بصراع الأضداد.

وبناءً على ماركسيته وماديته المجحفة، ومن هذا المنطلق لم يخفِ محمد شحرور منهجيته في التعامل مع الإسلام بشكل عام، فقد سطر آراه وفكره بكل وضوح، قائلاً: (فمن هنا نرى أن أطروحات التجديد لا معنى لها ولا تؤتي ثمارها، وإنما هي تكرار للذات وللسلف، وهي مجموعة من الخطابات والكلمات الرنانة بدون أي معانٍ أو أفكار مفيدة.

فأي تجديد لا يسمى تجديداً إلا إذا اخترق الأصول، وعلينا أن نعي حقيقة تاريخية هامة جداً وهي أن التاريخ الإنساني حسب التنزيل الحكيم يمكن أن يقسم إلى مرحلتين: المرحلة الأولى مرحلة الرسالات التي انتهت برسالة محمد ﷺ. **والمرحلة الثانية مرحلة ما بعد الرسالات والتي نعيشها نحن. أي أن الإنسانية الآن لا تحتاج إلى أية رسالة أو نبوة، بل هي قادرة على اكتشاف الوجود بنفسها بدون نبوات**، وقادرة على التشريع بنفسها بدون رسالات.

والإنسانية اليوم أفضل بكثير من عصر الرسالات، لأن البشرية كانت بحاجة إليها للرقي من المملكة الحيوانية إلى الإنسانية، أما نحن فلا. وعلينا أن نعي أن المستوى الإنساني والأخلاقي في تعامل الناس بعضهم مع بعض أفضل بكثير من قبل وحتى في عهد الرسالات. **فالبكاء على عصر الرسالات لا جدوى منه، لأننا الآن في مستوى أرقى معرفياً وتشريعياً وأخلاقياً وشعائرياً**) [٣].

## محمد شحرور يشك بوجود الله وباليوم الآخر

وعلى القاعدة التي سبق ذكرها والمتعلقة بأن الحقيقة هي المادية فقط عند شحرور واعتماده على الدليل المادي فقط لمحاكمة النصوص، يُظهر لنا شحرور ماركسيته العقدية؛ ففي موقعه على شبكة الإنترنت سأله أحدهم عن رأيه في طريق من طرق الملحدين الذين ينكرون الأديان: (ما رأي الدكتور محمد المحترم في كلام الربوبيون؟

---

(١) الكتاب والقرآن، ص ٨٤.

(٢) التحريفات المعاصرة، عبد الرحمن حبنكة، ص ١٣٤- ١٣٥.

(٣) تجفيف منابع الإرهاب، ص ٢٦.

الجواب: الربوبية هي الاعتقاد بوجود خالق للكون، ولكن لا يتدخل في شؤون الكون. وأن الأديان كلها من نتاج البشر، والدعوات والصلوات لا تستجاب، والحوادث اليومية ليست ناتجة عن رغبة إلهية، إنما هي نتائج طبيعية لأسباب تحدث في الحياة. وكل شيء مفتوح، لا شيء مقدّرا مسبقاً.

فالربوبيون يعتمدون المنهج العلمي، ويعتمدون على أنفسهم في حل مشكلاتهم وتحقيق أهدافهم في الحياة. وأخلاق الربوبي ناتجة عن التزامه الذاتي بالخير وابتعاده عن الشر، وناتجة عن تحضره وتحضر مجتمعه.

هناك بعض الربوبيين يعتقدون أن الله أو الـ God أو الإله أو Deity أو the خالق الكون يتدخل في الكون. وبعضهم يؤمن بنوع من الحياة بعد الموت.

ولكن من وجهة نظري، لا جدوى عملية من التفكير في صفات الله أو العلاقة معه (أو معها) **ولا فائدة من التفكير في حياة بعد الموت. فقد تكون هناك حياة بعد الموت أو لا. فإن كان هناك حياة بعد الموت، فلا وجود للعقاب فيها**، لأن العقاب كان سيملك معنا في الدنيا، ولكن بعد الموت لا فائدة منه. فالبشر سيكونون في نظام وجود مختلف عن الدنيا، وستكون الحياة بعد الموت سعيدة، هذا إن وجدت طبعاً.

ولكن الفكرة الأكثر منطقية هي أن الحياة تنتهي بالموت، **فلا يوجد دليل حسي واضح أو عملي على وجود الحياة بعد الموت**. وبالتالي تكون التجربة التي تختبرها بعد موتك هي نفسها التجربة التي اختبرتها قبل ولادتك. وبما أن الإنسان يملك فرصة واحدة للعيش، فعليه أن يغتنمها ويعيش الحياة لأقصى حد، دون أن يضر أو يؤذي الآخرين طبعاً.

وجود خالق الكون هو نتيجة منطقية يستنتجها الربوبيون من وجود الكون وجماله الطبيعي وإبهاره العلمي. ولكن لا يستطيع أحد أن ينفي أو يثبت وجود الحياة بعد الموت، ولا يستطيع أحد أن يتوصل إلى صفاتها، إن وجدت)!!

بل زاد الطين بلة في جوابه على أحدهم قائلاً: (الأخ دلشير، أنا أؤمن بالله واليوم الآخر إيمان تسليم، ولا يوجد دليل علمي ينفي أو يثبت وجود الله واليوم الآخر، استدل من خلال التنزيل الحكيم، الذي أعتبره تصديقًا لا تسليماً نص إلهي، على ما يؤكد وجود الله، ولا يمكن للإله العادل ألا يعاقب القاتل أو السارق أو قاطع الطريق، وألا يكافئ المظلوم والمضطهد، لذا لا بد من يوم آخر.

وإن كان الخالق قد وضع قوانين للكون يسير عليها فهو قادر على التدخل حين يشاء، ومنذ الرسالة المحمدية أصبح تدخل الله في الكون غير مباشر، **وهناك جزء جيد من طروحات الربوبيين لا غبار عليه**، فلا يوجد مصائب عشوائية أو صدف، والصدفة موقف معرفي بحت)!!!.

وطرح الربوبيين يعتمد على أن الله لما خلق البشر تركهم، فلم يرسل لهم الرسل، وبالتالي فالربوبية التي يثني عليها شحرور تنكر النبوات كلها، وهذا كفر بركن من أركان الإيمان!!

## محمد شحرور العلماني

لا يختلف خطاب محمد شحرور في شأن العلمانية عن الخطاب الحداثي المعاصر؛ لأنه جزء منه، وبالتأكيد مع محاولة اللعب في بعض الألفاظ من أجل تزيين الكعكة لمن يأكلها، فقد سطر شحرور قائلاً: (الدولة العلمانية كما أراها، هي الدولة التي لا تأخذ شرعيتها من رجال الدين (الهامانات)، وإنما تأخذ شرعيتها من الناس، فهي لهذا دولة مدنية غير مذهبية وغير طائفية، وبما أن الاسلام لا يعترف أصلاً برجال الدين، وليس بحاجة إليهم ليعطوه الشرعية، والهامانات هم من يدعي الاختصاص بالدين والحفاظ عليها ... والدولة العلمانية هي الدولة التي تتعدد فيها الآراء، وتصان فيها حرية الرأي والرأي الآخر) [1].

(١) الدولة والمجتمع، ص ١٩٦.

ويقـول: (وبهـذا نـرى أن الدولـة الإسـلامية دولـة علمانيـة بحتـة)[1]، وهـذا تزييـف وتحريـف فالإسـلام لـيس فيـه رجـال ديـن نعـم، لكـن المسلمين ملزمـون بتحكـيم أمـر الله عـز وجـل والـذي بينـه لنـا في القـرآن الكـريم والـسنة الـصحيحة، وهـذا يتنـاقض مـع العلمانيـة الـتي لا تلتـزم بـالقرآن والـسنة، بـل تحاربهمـا، وفي أحسن الأحـوال تعتبر اتباعهمـا شـأن شخصي لا يجوز أن يلزم به المجتمع.

## محمد شحرور والمرأة

يحـاول محمـد شـحرور في كتابـه (نحـو أصـول فقـه جديـد) ربـط موضـوع الخطيئـة بالحجـاب، الـذي هـو غطـاء الـرأس عنـدنا، لينتهـي مـن خلالـه إلى إنكـار وجـوب غطـاء الـرأس؛ وسـبب هـذا عنـده أن الحجـاب إنمـا فـرض علـى المـرأة سـتراً لخطيئتهـا، يقـول محمـد شـحرور: (مـسألة لبـاس المـرأة وحجابهـا قديمـة، تعـود إلى مـا قبـل التـاريخ المكتـوب، ويلاحـظ دارسـها أنهـا تـرتبط دائمـاً في الـتراث القـديم بمـسألة أخـرى هـي مـسألة الخطيئـة الأولى الـتي تواكـب بـدورها مـسألة بـدء الأنـسنة، ويعـني بهـا بدايـة الجـنس الإنـساني ذي الأصـل البـشري وذلـك بنفخـة الـروح، حتـى أن تنزيـل الحكـيم ذاتـه أشـار إلى هـذه الرابطـة- العلاقـة، معتـبراً أن سـتر الجـسد عنـد آدم وزوجـه في الجنـة، نتيجـة طبيعيـة حـين بـدت لهمـا سـوآتهما بعـد أن أكـلا مـن الـشجرة المحرمـة وذلـك طبقاً للتفاسير الموروثة)[2].

وبغـضّ النظـر عـن حجـم التلفيـق الظـاهر في كلامـه ومحاولـة ربـط الحجـاب بالخطيئـة الـتي لا يوجـد دليـل علـى هـذا الـرابط سـوى مـا في عبارتـه (مـا قبـل التـاريخ المكتـوب) ممـا يكـشف غيـاب الموضـوعية والمعقوليـة عـن مثـل هـذه الطروحـات، ليـصل مـن خلالهـا إلى محاربـة الحجـاب (غطـاء الـرأس) بـدعوى أنـه مظهـر مـن مظـاهر ظلـم المـرأة الباقيـة في الـشريعة مـن رواسـب الـشرائع الـتي قبلـها،

(١) المصدر السابق، ص ١٩٧.

(٢) نحو أصول فقه جديد، ص ٣٣٧.

فيقـول: (ولم تكـن الرسـالة المحمديـة، مـن هـذه الزاويـة بالـذات أحسن حظـاً مـن سـابقاتها. ولم يكـن الفقهـاء والمفسرون، في مـسألة المـرأة أكثـر اعتـدالاً مـن سـابقيهم مـن سـدنة وأحبـار وكهنـة ورسـل)[3] مـع ظهـور وقاحتـه في طعنـه في شـريعة الإسـلام كمـا هـو ظـاهر للقـارئ المنـصف، وكمـا قـال ربنـا جـل في عـلاه: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وعنـدها تـراه وبكـل وضـوح يقـول: (وتأكيـداً لمـا قلنـاه وقالـه كـثيرون مـن أن اللبـاس والحجـاب عنـد المـرأة لـيس تكليفـاً شـرعياً بقـدر مـا هـو سـلوك تقتـضيه الحيـاة الاجتماعيـة والبيئـة)[4]... لينتهـي إلى خلاصـته الـتي أرادهـا أعـداء الإسـلام مـن المـرأة بعـد تجريـدها مـن عفتهـا بقولـه، وتحـت بـاب الحـد الأدنـى: (الحـد الأدنـى للبـاس المـرأة بـشكل عـام هـو تغطيـة الجيـوب العلويـة (الثـديين وتحـت الإبطـين) بالإضـافة إلى الجيـوب الـسفلية وهـو لـيس لبـاس الظهـور الإجتمـاعي ... لبـاس الخـروج الاجتمـاعي للمـرأة هـو ابتـداء مـن الحـد الأدنـى، وهـو حسب أعـراف المجتمع الـذي تعـيش فيـه وحـسب ظـروف الزمـان والمكـان، بحيـث لا تتعـرض لـلأذى الاجتمـاعي، ويتـدرج حتـى يبلغ الحد الأعلى بإظهار الوجه والكفين فقط)[5].

ويقـول في نفـس الـصفحة: (غطـاء الـرأس بالـنسبة للرجـل أو المـرأة لـيس لـه علاقـة بإسـلام ولا بإيمـان وهـو يتبع أعراف المجتمع بشكل عام)!!!

لـذلك لم يكـن مـن الغريب علـى مـن يقـول بهـذا أن يجيـز للمـرأة الخـروج بمـايوه البحـر بحجـة أنهـا تلـبس الحد الأدنى الذي أذن فيه الله عز وجل[6]!!

لم ينتـه محمـد شـحرور عنـد مـسألة الحجـاب فيمـا يخـص المـرأة، بـل جعـل كلامـه في مـسائل لهـا دور مهـم في إفـساد بيـوت المـسلمين، ولعلـها هـي الحـرب

(٣) المصدر السابق، ص ٣٤٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٥٥.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٧٨.

(٦) https://www.youtube.com/watch?v=JO0oLu1hWq8

التي يريدها التغريبيون، فقد ذكر ضمن كتابه المذكور سابقاً جملة من المسائل التي تتعلق بالقوامة للرجل أو للمرأة؛ وانتهى فيه إلى أن القوامة متعلقة بمن يحسن الإدارة بشكل صحيح بغض النظر عن جنسه[1]، ورغم وضوح الآية (الرجال قوامون على النساء) إلا أن التحريف لدلالتها واجب يمليه عليه من يستخدمه لذلك!!

**نظرة موجزة في كتابه (تجفيف منابع الإرهاب)**

شنّ محمد شحرور في كتابه هذا حرباً على كثير من المفاهيم الإسلامية العميقة بلغت حد الجرأة على شخص رسول الله ﷺ ، فهو يقول: (فالذي يدعي فهم كتاب الله ككل من أوله لآخره فهماً مطلقاً ولو كان النبي ﷺ نفسه، إنما يدعي شراكة الله في المعرفة) [2]!!

وهذا كلام خبيث يتّهم النبي ﷺ بجهل معنى الوحي الذي جاءه! ويتهم الله عز وجل أنه أنزل وحيا لم يُفهم، والله عز وجل يقول: ﴿ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر﴾.

بل لا ينبغي لعاقل يعظم قدر الله عز وجل نسبة المعرفة لله تعالى بخلاف العلم فإن ما يسبق المعرفة هو الجهل كما هو مقرر.

ويقول شحرور أيضا: (السنة النبوية هي الاجتهاد الأول، والخيار الأول للإطار التطبيقي الذي اختاره محمد ﷺ لتجسيد الفكر المطلق الموحى إليه، لكنه ليس الخيار الأخير وليس الوحيد) [3].

فهذه الدعوة لاعتبار السنة اجتهادا في فهم القرآن وأن الرسول ﷺ قد يصيب وقد يخطيء طعن في مقام النبوة، وفيه تسوية بين الرسول ﷺ وسائر الناس وهو نفي مبطن للنبوة ذاتها!! فضلا عن فتحه لباب شر عظيم بجواز الطعن في السنة بحجة الاجتهاد، وهذه المرحلة تجاوزها محمد شحرور بكل تأكيد.

ومما يكشف عن ضعف وركاكة وزيف فكر شحرور السقطات التي يقع بها في تزييف الوقائع والأحداث واعتماده على أمور غير عقلانية لنصرة باطله، ومن ذلك طعنه بالإمام الشافعي حتى يتمكن من ترويج منهجه الباطل المحرف، فهو يتهم الشافعي بتقبل الرشوة من السلطان، فيقول: (لقد كان الشافعي يعرف ذلك كله، فهو فصيح من حيث النسب لكونه قرشياً وفصيحاً من حيث الثقافة لكونه يحفظ عشرة آلاف بيت من الشعر، لكنه فضل أن يداهن سلطانه العباسي المستبد أبا جعفر المنصور فكانت النتيجة أنه باع دينه بدنيا غيره..) [4].

وهذا كلام مجانين لا كلام من ينصّب نفسه مصححا لمنهج فهم الإسلام والقرآن في عصرنا الحاضر، فمعروف أن ولادة الشافعي رحمه الله كانت في عام ١٥٠هـ، وأن موت أبا جعفر المنصور كان في عام ١٥٨هـ في الوقت الذي كان فيه قد مضى من عمر الشافعي ٨ سنوات فقط، فمتى باع الشافعي دينة للخليفة المنصور؟! لكن الحقد على الإسلام وعلمائه يدفع هؤلاء الجهلة عديمي الأمانة والعلم للكذب بوقاحة.

بل بلغت به الوقاحة أن يكذب وينسب لأبي بكر الصديق وخالد بن الوليد في حرب المرتدين جرائم ومخازيَ وتجاوزات يزعم أنها تكفي اليوم لترسل صاحبها إلى محكمة مجرمي الحرب في لاهاي[5].

**محمد شحرور ونظرية داروين**

بعد كل ما مضى لم يعد غريباً أن نسمع من محمد شحرور قولاً تمجّه العقول السليمة؛ فالرجل ينتصر لنظرية داروين في أصل الإنسان، بل بلغ به الحد أن جعل داروين خير من فسر نظرية الخلق، فيقول: (وخير من أول آيات خلق البشر عندي هو

(١) نحو أصول فقه جديد، ص ٣١٥.
(٢) تجفيف منابع الإرهاب، ص٢٧.
(٣) المصدر السابق، ص ٤١.
(٤) المصدر السابق، ص ٨٤.
(٥) المصدر السابق، ص ٢٤٩.

العالم الكبير تشارلز داروين، فهل عرف داروين القرآن؟ أقول: إنه ليس من الضروري أن يعرف، فقد كان داروين يبحث عن الحقيقة في أصل الإنسان، والقرآن أورد حقيقة أصل الإنسان، فيجب أن يتطابقا إن كان داروين على حق، وأعتقد أن نظريته في أصل البشر في هيكلها العام صحيحة لأنها تنطبق على تأويل آيات الخلق) [1].

ويقول شحرور: (إن هذا الفهم المادي لنظرية المعرفة القرآنية يرد على أوهام ذوي الفهم المثالي للقرآن، الذين يرفضون نظرية التطور والارتقاء ويسخرون من نظرية داروين بزعم أنها غير علمية، وحجتهم في ذلك قائمة على التساؤل التالي: لماذا تطور الإنسان من القرد، وبقي القرد قرداً؟! وجوابنا هو أن الله تعالى نفخ الروح في البشر «وهو فصيلة من المملكة الحيوانية» فأدى ذلك إلى أنسنته وارتقائه عن عالم المملكة الحيوانية. ولو أنه نفخ الروح في فصائل أخرى لارتقت أيضاً. إن نفخة الروح هي الحلقة المفقودة في نظرية داروين حول الأنسنة) [2].

وهذا الكلام باطل ويصادم صريح آيات القرآن الكريم الذي ينفي كون البشر من الحيوانات لأنه خلق بشكل مباشر من الله عز وجل من الطين، ولكن لأن غاية شحرور تحريف القرآن والإسلام لصالح العلمانية وأساطيرها فإنه يحاول بكل قوة تطويع الآيات لأوهامه وخيالاته.

## نماذج من تحريفات محمد شحرور

إن هذه الفتاوى الشاذة او المنحرفة لمحمد شحرور تكشف حرصه على محاربة الإسلام من داخله وعن مدى خبث تنظيراته التي قد يخفى على بعض الناس مراميها السيئة، لأن الحرب على الثوابت الدينية جزء لا يتجزأ من منظومة متكاملة لحرب الإسلام.

(١) الكتاب والقرآن، ص ١٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٣.

قال محمد شحرور: (علينا اعتبار كل الأحاديث المتعلقة بالحلال والحرام والحدود، التي لم يرد نص فيها في الكتاب، على أنها أحاديث مرحلية مثل الغناء والموسيقى والتصوير واعتبارها أحاديث قيلت في حينها حسب الظروف السائدة، وعلينا أيضاً اعتبار كل أحاديث الغيبيات التي لا تتطبق مع القرآن مثل عذاب القبر والروح على أنها سر الحياة، على أنها أحاديث ضعيفة أو موضوعة وعدم الأخذ بها) [3].

وجرياً على هذه القاعدة لم يكن من الغريب محاولات محمد شحرور العديدة لحرف البوصلة، فهذا هو المطلوب والمراد، الطعن في الموروث الفقهي والتراثي الإسلامي بشكل كلي، بحجة أو شبهة؛ سخيفة أو مضحكة، ليتوصل من خلال ذلك لهدم قدسية القرآن الكريم وأحكامه!!

ومن تحريفاته أيضًا:

❖ أن الآية التي ذكرت المحرّمات في القرآن ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ إنما ذكرت الحد الأدنى من المحرمات التي لا يجوز النقص فيها، لكن يمكن الزيادة عليه في العدد على سبيل الاجتهاد، كتحريم بنات العم وبنات الخال، في مصادمة لقول الله تعالى: ﴿وتلك حدود الله فلا تعتدوها﴾ [4].

❖ ذكر ضمن فلسفته في قضية الحد الأدنى أن الآية القرآنية: ﴿للذكر مثل حظ الانثيين﴾، إنما تفيد جواز الزيادة في الميراث للحد الأدنى الذي هو الانثى، والإنقاص من ميراث الذكر على افتراض أنه الحد الأعلى، وعلى هذا فيجوز سنّ قانون التسوية في الميراث بين الذكر والأنثى [5]!!

❖ يزعم شحرور أن نهيَّ النبي ﷺ عن شيء ليس

(٣) المصدر السابق، ص ٥٧٢.

(٤) المصدر السابق، ص ٤٥٣.

(٥) المصدر السابق، ص ٤٥٣ وما بعدها.

تحريماً؛ لأنه ليس شموليا ولا أبديا [(١)].

❖ يزعم شحرور أن مسيلمة الكذاب لم يكن كاذباً، بل كان صادقاً فيما قال، ومثاله الآيات التي نسبها مسيلمة الكذاب لله: (الفيل❖ وما الفيل❖ له خرطوم طويل) [(٢)].

❖ يزعم شحرور أن حد السرقة ليس المقصود به قطع اليد كما هو متبادر إلى الذهن بل المقصود بها قطع يده عن المجتمع؛ أي عزله عن المجتمع[(٣)].

❖ يزعم محمد شحرور أن العبودية لله غير مطلوبة، وأن الصلاة ليست عبادة[(٤)].

❖ يزعم محمد شحرور أن الخمر ليست حراما لذاتها، إنما حرمتها بما يطرأ عليها من الإسكار[(٥)].

❖ يدعو شحرور إلى حصر التعددية الزوجية بالأرامل ذوات الأيتام، وأن الزوجة الثانية لا ترث[(٦)].

❖ يزعم محمد شحرور أن الأوثان والأصنام ليست محرمة لذاتها، إنما تكون محرمة لما يطرأ عليها من الشرك فقط[(٧)].

الظاهر على مجموع هذه المسائل والفتاوى هو الضرب الواضح لقيم وتعاليم الإسلام، بل هدم لأركان التعظيم لله ولرسوله، وهي جزء لا يتجزأ من دعوى الانحلال الخلقي في المجتمعات الإسلامية!

## الخاتمة

محمد شحرور شخصية تم تناولها في عشرات الكتب والمقالات، وكان غالب التركيز في نقده على كتابه الأول (الكتاب والقرآن) الذي هو باكورة أعماله وبالتالي فإن الكتب التي تلته لم تلق من العناية في النقد ما لاقاه كتابه الأول.

فالرجل دعوته خطيرة من جهة المآلات، وفي المقابل لا يتقن صناعة الرد على خصومه لأنه لا يمتلك الأدوات المعيارية لنقدهم، وغالباً ما يتعذر بأنه أخطأ أو أنه قد بقيت فيه رواسب من التراث.

فالواجب على عقلاء الأمة الذود عن حياض هذا الدين بالكتابة فيه وفي أمثاله إبراءً للذمة بين يدي الله عزوجل.

---

(١):https://www.youtube.com/watch?v=sbw6rUmvCsA
(٢) https://www.youtube.com/watch?v=WyhSKtvQTII
(٣) https://www.youtube.com/watch?v=qAxsEwMSp 2Q&spfreload١٠=.
(٤) https://www.youtube.com/watch?v=omfgSLnko8E
(٥) نحو أصول فقه جديد، ص ١٤٧- ١٤٨.
(٦) المصدر السابق، ص ٣٨٢.
(٧) المصدر السابق، ص ١٤٨.

## ٤- ثورات الخوارج
## اغتيال الخليفة الرابع

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

**بعد هزيمتهم في موقعة النهروان،** سنة ٣٨هـ، على يد علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، صمّم الخوارج على اغتياله، إضافة إلى صحابيين آخرين هما معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، رضي الله عنهما، ويبدو للوهلة الأولى أن اختيار هذه الأسماء الثلاثة للاغتيال جاء بناءً على حادثة التحكيم، التي تداعى لها المسلمون بعد القتال الذي نشب بينهم في معركة صفّين، حيث عليٌّ خليفة المسلمين وقائد جبهة العراق، وفي الطرف الآخر معاوية أمير الشام، وقائد الجبهة الأخرى، وقد انتدب من طرفه عمرو بن العاص حكمًا، فيما انتدب عليٌّ أبا موسى الأشعري، رضي الله عنه.

**وبدلاً من أن يفرح الخوارج بلجوء الطرفين المتحاربين من المسلمين للتحكيم من أجل حقن دمائهم،** ووقف القتال والخلاف في صفوفهم، إذا بهم يخرجون بأمر غريب، ورأي عجيب، وهو أن هؤلاء الذين لجؤوا للتحكيم إنّما حكّموا الرجال في دين الله!! وقد أشركوا بالله بسبب ذلك، وحكَموا على عليٍّ بالشرك والكفر، وطالبوه بالتوبة، وبأن يشهد على نفسه بالكفر[1]، وصاروا يرفعون بوجهه شعار «لا حُكم إلاّ لله»، وهو يقول لهم إنها «كلمة حق أُريد بها باطل»[2].

**وهكذا هم الخوارج على مرّ الزمن،** من لم يلتزم بفهمهم فهو كافر، ومن لم يوافقهم في اجتهادهم فهو مشرك، حتى لو كان خليفةَ المسلمين، وابن عمّ النبي ﷺ، وزوج ابنته، وأحد الذين بشّرهم بالجنة، وليت الأمر يقتصر عندهم على الفكر والاعتقاد، إذ سرعان ما يتحول الاعتقاد عندهم إلى قتال للمسلمين واستباحة للدماء التي حرّمها الله وللأموال والأعراض، ولذلك لا نستغرب تكفير افراخهم اليوم للكثير من العلماء والمجاهدين الذين يخالفونهم!

**وقد مرّ بنا من قبل أن الخوارج كانوا يقاتلون الصحابة ويكفّرونهم،** وهم يعتقدون أنهم يتقربون بذلك إلى الله، ففي النهروان خرج قائدهم ليقول لعليٍّ: يا ابن أبي طالب، لا نريد بقتالك إلاّ وجه الله والدار الآخرة، وعليٌّ يقول لهم: بل مَثلكم كما قال الله عزوجل ﴿قل هل نُنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يَحسبون أنهم يُحسنون صُنعًا﴾[3]، وفي

(*) كاتب أردني.

(١) د. عطا الله المعايطة، جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة، ص ٤٩٢.
(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٠٩.
(٣) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٨٠.

تلك المعركة كانوا يصيحون ويهتفون: الرّواح الرّواح إلى الجنة»[1].

### وما يحصل اليوم من الخوارج المعاصرين لا يكاد يختلف عن أسلافهم بشيء،

فالواحد منهم يَقتل الأبرياء، وهو يظن أنه سيذهب إلى الجنة بصنيعه هذا، وثانٍ يفجّر نفسَه وسط سوق أو تجمع فيه النساء والأطفال والشيوخ الأبرياء، أو في تجمع للمجاهدين، ثم تجده يهتف «فزتُ وربّ الكعبة»، وثالث استحوذ عليه الشيطان، وأوهمه أن الحور العين باتت أقرب إليه من شراك نعله، وما علم أن النار مثل ذلك.

### التخطيط للمؤامرة

بدأ التخطيط لاغتيال الخليفة الرابع، علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، بالتقاء ثلاثة من الخوارج وهم: عبد الرحمن بن عمرو، المعروف بابن ملجم، والبرك بن عبد الله التميمي، وعمرو بن بكر التميمي، اجتمعوا فتذاكروا قتل عليٍّ إخوانهم من أهل النهروان فترحّموا عليهم، وقالوا: ماذا نصنع بالبقاء بعدهم؟ كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم، فأرحنا منهم البلاد وأخذنا منهم ثأر إخواننا.

فقال ابن ملجم: أما أنا فأكفيكم علي بن أبي طالب.

وقال البرك: وأنا أكفيكم معاوية.

وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص.

فتعاهدوا وتواثقوا أن لا ينكص رجل منهم عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه، فأخذوا سيوفهم فسمّوها، وتواعدوا لسبع عشرة من رمضان لينفذ كلّ واحد مهمته، فأما ابن ملجم فسار إلى الكوفة، حيث مقرّ الخلافة آنذاك، فدخلها وكتم أمره، حتى عن أصحابه من الخوارج الذين هم بها[2].

ومِمّا زاد من عزم ابن ملجم على تنفيذ جريمته بعد وصوله إلى الكوفة، أنّه رأى امرأةً أُعجب بجمالها، وخطبها إلى نفسه، فاشترطت عليه من ضمن المهر أن يَقتل عليًّا، حيث كان أبوها وأخوها من ضمن قتلى النهروان، فوافق ابن ملجم على شرطها هذا فورا، وقال لها: والله ما جاء بي إلى هذه البلدة إلا قتل عليّ، فتزوجها ودخل بها، ثم أخذت تحرّضه على ذلك، واقترحت له رجلا من قومها يقال له وردان، ليعاونه في جريمته.

حاول ابن ملجم أن يستميل شخصًا آخر، يُدعى شبيب، لتنفيذ الجريمة، لكنه واجه مشقّة في إقناعه، فقد كان شبيب في بادئ الأمر يهاب من الإقدام على قتل رجل بفضل عليٍّ ومكانته، حيث دار بين ابن ملجم وشبيب الحوار التالي:

- هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟
- وما ذاك؟
- قتل عليّ.
- ثكلتك أمك! لقد جئتَ شيئا إدًّا، كيف تقدر عليه؟
- أكمن له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجونا شفينا أنفسنا وأدركنا ثأرنا، وإن قُتلنا فما عند الله خير من الدنيا.
- ويحك لو غير علِيٍّ لكان أهون علَيَّ، قد عرفت سابقته في الإسلام وقرابته من رسول الله ﷺ، فما أجدني أنشرح صدرا لقتله.
- أما تعلم أنه قتل أهل النهروان؟
- بلى.
- فنقتله بمن قتل من إخواننا[3].

وبعد هذا الحوار وافق شبيب على معاونة ابن ملجم ووردان، وفي الليلة المحددة لتنفيذ الاغتيال،

(١) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥١٤.

(٢) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٣٨.

(٣) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٣٨.

وهي السابع عشر من شهر رمضان، من سنة ٤٠هـ، جاء هؤلاء الثلاثة ومعهم سيوفهم، يترقبون خروج عليّ لصلاة الفجر، فجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها عليّ، فلما خرج جعل يُنهض الناس من النوم إلى الصلاة، ويقول: الصلاة الصلاة، فثار إليه شبيب بالسيف فضربه، ثم أتبعه ابن ملجم بضربة أخرى بالسيف على قرنه، فسال دمه على لحيته، رضي الله عنه.

ولما ضربه ابن ملجم قال: لا حُكم إلا لله، ليس لك يا عليّ ولا لأصحابك، وجعل يتلو قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد﴾. ونادى عليّ بالناس: عليكم به، وهرب وردان فأدركه رجل فقتله، وذهب شبيب، وأُلقي القبض على ابن ملجم، وقدّم عليّ رجلاً فصلى بالناس صلاة الفجر، وحُمل علي إلى منزله، وحُمل إليه عبد الرحمن بن ملجم فأوقف بين يديه وهو مكتوف، فقال له: أي عدوّ الله ألم أُحسن إليك؟

قال: بلى.

قال: فما حملك على هذا؟

قال: شحذته[1] أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه.

فقال له علي: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلق الله.

ثم قال: إن متّ فاقتلوه، وإن عشتُ فأنا أعلم كيف أصنع به[2].

ثم قُبض رضي الله عنه، وغسّله ابناه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، رضي الله عنهم، وصلى عليه الحسن، ويذهب ابن كثير إلى أنه دُفن بدار الإمارة بالكوفة، خوفاً عليه من الخوارج أن ينبشوا عن جثته، ما ينفي أن يكون مدفونا في مقامه الذي بالنجف، ويقول: «وما يعتقده كثير من جهلة الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له، ويقال: إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة»، ثم يروي ابن كثير قول القائل: «لو علمت الشيعة قبر هذا الذي يعظمونه بالنجف لرجموه بالحجارة، هذا قبر المغيرة بن شعبة» [3].

أما المجرم فقُتل جرّاء جريمته، ومن عجيب ما يُذكر أنّ ابن ملجم قبل إقامة الحدّ عليه، قام عبد الله بن جعفر بقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فلم يجزع، وأخذ يقرأ القرآن، ثم جاؤوا ليقطعوا لسانه فجزع وقال: إني أخشى أن تمر عليّ ساعة لا أذكر الله فيها[4]!!

ويتعجب الشيخ عثمان الخميس، كما نتعجب نحن، من ذلك الذي يقتل علي بن أبي طالب، ويخشى أن تمرّ عليه لحظة بدون ذكر لله، فيقول: «سبحان الله!! هذا هو الضلال المبين والعياذ بالله، يستبيح دم وليٍّ من أولياء الله ثم يخشى أن تمرّ عليه لحظة لا يذكر الله فيها»[5]، ولذلك فإن تلبس بعض خوارج عصرنا من داعش وأمثالها بالعبادة والطاعة لا يعني سلامتها من الانحراف والإجرام كحال ابن ملجم والذي وصفه النبي ﷺ بكونه أشقى الناس لقتله على رضي الله عنه!

ولأن المؤامرة لم تقتصر على عليّ، إذ كانت تقتضي قتل معاوية وعمرو بن العاص أيضا، فإن الذي وُكّل بقتل معاوية هجم عليه وهو خارج إلى صلاة الفجر في اليوم المحدد، فضربه بالسيف، وقيل: بخنجر مسموم، فجاءت الضربة في وركه فجرحت إليته، ومُسك الخارجي فقتل.

وأما الآخر، فإنه كمن لعمرو بن العاص عند خروجه إلى الصلاة، فاتفق أن عرض لعمرو بن العاص مغص شديد في ذلك اليوم فخرج نائبه، وهو خارجة بن أبي حبيبة، فحَمل عليه الخارجي فقتله

(١) أي سنّ السيف.
(٢) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٣٨ – ١٥٣٩.
(٣) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٤٠.
(٤) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٤١.
(٥) حقبة من التاريخ، ص ١٩٩.

وهو يعتقده عمرو بن العاص. فلما أُخذ الخارجي قال: أردتُ عَمراً وأراد الله خارجة[1].

فرح الخوارج لموت عليّ، فهكذا هو دأبهم، يقتلون الصالحين، ويَفرحون لموتهم، وقد أنشد أحد شعرائهم فيما بعد يثني على ضربة ابن ملجم، ويقول:

يا ضَربةً مِن تَقي ما أرادَ بها
إلاَّ لِيَبْلُغَ مِن ذي العرشِ رِضْوانا
إنّي لأَذْكُرُهُ يَوماً فَأَحْسَبُهُ
أَوْفَى البَرِيَّةِ عِندَ اللهِ ميزانا[2]

لكن على الجهة الأخرى، وهناك في المدائن التي نُفي أو هرب إليها، كان عبد الله بن سبأ، صاحب الدور الأكبر والأخطر فيما سبق بقتل الخليفة الثالث، عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وإيقاع الخلاف والفتنة بين المسلمين، يخرج بزندقة جديدة، وبدعة جديدة تضاف إلى بدَعه السابقة، ليقول إن عليّا لم يمت، وردّ على الذي أخبره بموته بقوله: «كذبتَ يا عدو الله! لو جئتَ لنا بدماغه في صرة، وأقمت على مقتله سبعين عدلاً ما صدّقناك»[3].

واستمرّ ابن سبأ في غيّه، فزعم أن المقتول لم يكن عليًّا، وإنما كان شيطانا تصور للناس في صورة علي، وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم، عليه السلام، وقال: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصبُ والخوارجُ في دعواها قتل علي، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلوباً شبّهوه بعيسى، كذلك القائلون بقتل علي رأوا قتيلا يشبه علياً فظنوا أنه علي، وعلي قد صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه[4].

ترتب على تلك البدعة (إنكار موت علي، وضرورة رجعته إلى الدنيا) إبطال الآخرة[5]، وبذلك يكون ابن سبأ قد أضاف للتشيع بدعة جديدة، ولا عجب في ذلك، فالسبئية هي الصورة الأولى من صور التشيع، التي انتسبت إلى عليٍّ، رضي الله عنه، بالغلو، والتأليه، والأكاذيب المختلفة[6].

## المراجع


١- الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢- د. عطا الله المعايطة، جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة والردّ على الفرق حتى نهاية العصر الأموي، الدار الأثرية للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ (٢٠١٦م).

٣- الشيخ عثمان بن محمد الخميس، حقبة من التاريخ، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية (مصر)، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م).

٤- علاء الدين البصير، ابن سبأ الشبح المخيف (للفكر الجعفري ولمرتضى العسكري)، مركز إحياء تراث آل البيت وشبكة البرهان، ١٤٢٩هـ (٢٠٠٨م).

٥- عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، دار المعرفة، بيروت.


(١) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٤٠.
(٢) البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ١٥٤٠.
(٣) علاء الدين البصير، ابن سبأ الشبح المخيف، ص ٣٥.
(٤) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٣٣ – ٢٣٤.
(٥) د. عطا الله المعايطة، جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة، ص ٥٧٦.
(٦) د. عطا الله المعايطة، جهود الصحابة والتابعين في تقرير العقيدة، ص ٥٧٧.



## الإعلام الشيعي الموجه للأطفال...
## خطورة التحديات وسبل المواجهة

فاطمة عبد الرؤوف(*) – خاص بالراصد

**أطفال كل أمة هم كنزها الاستراتيجي،** فمستقبل الأمم مرتبط أشد الارتباط بتلك التربية التي يتلقاها صغارها، لذلك فلا عجب إن وجدنا الفلاسفة والمصلحين منذ القديم يعتنون أشد العناية بنمط هذه التربية، ويكفي في هذا الصدد أن نذكر تلك التفاصيل الدقيقة التي وضعها أفلاطون كمنهجية لتعليم وتربية الأطفال.

**اهتم الإسلام اهتماما فائقا بالأطفال،** بدايةً من اتخاذ قرار الزواج حيث أن الأب الصالح والأم الصالحة هما حجر الأساس المتين الذي تبنى عليه شخصية الطفل، والمتأمل للسيرة النبوية يدرك الكمّ الكبير الذي أولاه النبي ﷺ للأطفال فكان يؤذن في أذن الطفل ويحنكه ويتحدث مع كل فئة عمرية بما يناسبها بداية من الفطيم وحتى الطفل في مرحلة طفولته المتأخرة قبيل البلوغ.

**الأذان الذي يؤذن به في أذن الطفل اليمنى هو أول رسالة إعلامية يسمعها الطفل المسلم وهي رسالة العقيدة وأصول السلوك القويم،** وعلى هدى هذه الرسالة تتعدد التطبيقات التي يقوم بها المربون وفقا لعمر الطفل وشخصيته، تلك التطبيقات التي أخذت شكلا مغايرا في العصر الحديث، عصر السماوات المفتوحة التي كان يمكن لها أن تكون إحدى أهم الوسائل في صقل وصياغة شخصية الطفل المسلم، ولكن للأسف ما حدث هو العكس تماما فالطفل بطبيعته ينبغي أن يكون مُعظم تعليمه عن طريق اللعب والمرح في حين أن تجربة الفضائيات الإسلامية تصب غالبيتها في أشكال تقليدية للغاية، وعندما بدأت بعض الفضائيات الإسلامية في بث مواد ملائمة للطفل المسلم بدا واضحا أن هذه الفضائيات تسير بخطى هزيلة جدا لا تنافس بقية القنوات الموجهة للطفل.

**واجه المربي المسلم المعاصر مشكلة كبيرة فهو لا يستطيع منع طفله من مشاهدة قنوات الأطفال،** خاصة تلك التي تعرض الكارتون، بينما يجد القنوات العربية التي تقدم مثل هذه النوعية من المواد تنقل من الكارتون العالمي المليء بالسحر والشعوذة بل والوثنية، وعلى الجانب السلوكي تطفح بالعنف والدماء الذي أثبتت الدراسات النفسية الحديثة بما لا يدع مجالا للشك أنها مسئولة عن كثير من السلوك الجامح للأطفال وضعف تركيزهم وفرط حركتهم.

**في هذا الخضم الإعلامي الموجه للطفل،** والذي يريد صياغة عقله ووجدانه حيث يتبنى معظم علماء النفس نظرية مفادها أن ٩٠٪ من شخصية الإنسان تتكون خلاله سنواته الأولى، نجد أن هناك خطرا داهما يزحف نحو الطفل المسلم بنعومة فائقة قد يصعب اكتشافها، ذلك هو خطر قنوات الأطفال الشيعية الناطقة باللغة العربية، وسأكتفي هنا بتحليل قناة طه الشيعية حتى نعرف مدى الخاطر الداهم الذي يواجهه أطفالنا الذين لا يمتلكون العقل النقدي الذي يمكّنهم من المقاومة.

(*) كاتبة مصرية.

## الأشهر الهجرية

الأشهر الهجرية هو نشيد من أناشيد قناة طه يعرّف الطفل المسلم بأسماء الشهور الهجرية لكن الخبث الشيعي يربط بين هذه الشهور وبين مناسبات شيعية، تقول كلمات النشيد:

هذا محرم الحرام

فيه الحسين انتصر (راية فوق مسجد مكتوب عليها: يا حسين وفتيان وفتيات يرتدون السواد ويلطمون صدورهم).

جمادى الأول فيه مولد الحوراء

ومن جمادى الثاني شعت أنوار الزهراء

شهر شعبان في نصفه خلق المنتظر

(ويهتف الأطفال) اللهم عجّل فرج مولانا صاحب العصر والزمان

عجل الله فرجه الشريف

ذو الحجة

ها الشهر الفرحة بتزيد

تتغنى بأفضل عيد

عيد الغدير الأغر

ها الشهر الفرحة بتزيد (تقف لافتات بالرايات الخضراء مكتوب عليها الغدير).

وهكذا بين التبشير بإمامهم الغائب وبين جعل عيد الغدير أهم أيام ذي الحجة ولا يذكر يوم عرفة ولا أي من مناسك الحج ولا حتى عيد الأضحى.

## لطميات أطفال

الطفل الذي يتابع قناة طه سيتعرف على معنى فن اللطميات فهناك ما يسمى لطميات أطفال وهي تحمل نفس أفكار اللطميات الأخرى، ولكن كلماتها سهلة لتكون مناسبة للطفل ولحنها خفيف نوعا ما ويؤديها أطفال ومنها هذه اللطمية:

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت هادينا

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت هادينا

طاف الهدى لمرآك نارا تكويني

هان الردى للقاك يا نور ديني

كل يوم جرحه بات يدميني

فيه قطب النداء قم يا مهدينا

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت فادينا

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت فادينا

كان القوم في سبات ردحا طويلا

كان الدين في الحياة يحيا ذليلا

كنت أنت يا حسين صدق سبيلا

صار الموت في رضاك دربا مبينا

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت هادينا

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت هادينا

يا لصيحة الحوراء في أرض الطفوف

تبكي أمها الزهراء والحشد ألوف

جل بأمي العزاء في أقسى الحتوف

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت هادينا

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت هادينا

يا لثارات الحسين يا مؤمنينا

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت هادينا

بايعناك يا إمامي أنت والينا

في كربلاء يا حسين أنت هادينا

والفيديو المصاحب للّطمية: طفل يرتدي السواد واقف في صحراء تحت راية مكتوب عليها (الحسين) ثم تنتقل الكاميرا لضريح فسيح يقف فيه أطفال يرتدون السواد والقليل منهم يرتدي اللون الأخضر وفتيات يرتدين الجلباب الأسود يرددون النشيد، وهم يقومون باللطم على صدورهم، ويقف بعض الأطفال تحت ضريح مكتوب عليه (السلام عليك يا خولة بنت الحسين)، وبين الحين والآخر ترفرف راية سوداء مكتوب عليها (يا حسين) ويظل هذا اللطم طوال النشيد، وفي النهاية يقترب المنشد من الضريح ويتمسح فيه بحزن ويمسح رأسه وجبهته وسائر وجهه، ويبقى السؤال: ممن سيؤخذ ثأر الحسين؟ وأي رسالة ثأرية موجهة للأطفال؟

## لطمية لبيك لبيك

لبيك لبيك أبا عبد الله

خير لهم نفوس اشتاقت الخلودا
لم ترض إلا دينا أن يبقى أو تبيدا
فأصبحت ضحايا وأرضت المجيدا
لبيك لبيك أبا عبد الله
فالشيخ قد تهادى حب الحسين فخري
والطفل قد تنادى حسين ذا أميري
وحرة تنادي في الحشر أنت ذخري
والعبد راح يرجو مسكا سيغدو عطري
لبيك لبيك أبا عبد الله
ولو ترى سعيدا حيث غدا يحامي
ويدفع السهام والصدق في القيام
ومذ هوى صنيعا بالنبل والسهام
أتى بعزم ليث وفيت يا إمامي
لبيك لبيك أبا عبد الله
لبيك لبيك أبا عبد الله
والحر جال يزهو في الحرب زان بدرا
لم أرضَ إلا دربا حيث الجنان تشرى
حتى هوى عسيرا بالتبر صار تبرا
وفي هوى الحسين قد عاش يوما حرا
لبيك لبيك أبا عبد الله
والكل منهم يسعى لينصر الصلاحا
وفي خطا الحسين رأوا بها الفلاحا
وفي سبيل الله قد عانقوا الصفاحا
حتى مضوا كراما وأثخنوا جراحا
لبيك لبيك أبا عبد الله
ومذ ثووا على الأرض وعطروا ثراها
شاقت لهم جنان وأشرقت رباها
لهفي له وحيدا قد ظل ابن طه
نادهم سلام قد نلتم مناها
لبيك لبيك أبا عبد الله

في هذه اللطمية التي يغنيها ثلاثة اطفال تشتد فيها أصوات اللطمات التي يؤديها أطفال يرتدون الجلابيب السود وقد ربطوا على رؤوسهم عصائب مكتوب عليها (عشاق الحسين)، وفي بداية الفيديو المصاحب للطمية يأخذ كل منهم قطعة تربة من تلك التي يطلق عليها التربة الحسينية ثم يصلون ويسجدون عليها.

### السم والعسل

لو أن قناة طه تم تخصيصها للطميات الأطفال لكفانا القوم محاولة كشف خداعهم لأن الأطفال ببساطة لا يستسيغون مثل هذه اللطميات الغارقة في الحزن والألم وصعبة الكلمات، لكن الحقيقة أنه وبمهارة شديدة تم إخفاء هذه اللطميات بين الكثير والكثير من الأناشيد الممتعة والكارتون المميز والبرامج الجذابة، فاللطميات لا تحتل إلا جزءا صغيرا على القناة واحدة بين الحين والآخر لتقوم بعمل التطبيع الوجداني مع هذا اللون من الفن وما يطرحه من قضايا، ومن الأناشيد الجذابة والممتعة على قناة طه نشيد جحا مثلا المميز بالرسوم المصاحبة له ولحنه الخفيف المرح.

### أنشودة جحا

الشمس خرجت تبتسم
من خلف الجبال
هنا فلاح يحرث
هنا تلميذ يدرس
هذا جحا
جحا على ظهر الحمار
والولد كما كل الصغار
ولكن في منتصف الطريق
لمحوا نظرات تلتمع
سمعوا همسات ترتفع
ما أقسى هذا الإنسان
تاركا ابنه يسير
الناس على حق يا ولدي
سيقال عني في بلدي
أني ظالم أني قاس
وقد يشكوني للحاكم
تعال اركب مكاني
وبعد مئات الأمتار
سمعوا همسات تنتشر
وجدوا نظرات تلتمع
هذا الولد يبدو قويا وأبوه لم يعد فتيا
ماذا سنفعل يا ولدي سيقال عنك في بلدي
أنت الصغير لا تشفق على الكبير
ركبا معا
وما هي إلا دقائق حتى
سمعوا همسات ترتفع

لمحوا نظرات تلتمع
مسكين هذا الحمار
فليشفق الإنسان على ضعف الحيوان
فلنحمل نحن الحمار
ولنرجع إلى أرض الدار
تعالت الضحكات
هذا هو جحا المجنون
مجنون فعلا في الأساس
من يظن أنه قادر أن يرضي كل الناس

## أناشيد أطفال صغار

هناك مجموعة كبيرة من الأناشيد الخفيفة الموجهة للأطفال الصغار حتى يتم اجتذاب جميع الأطفال من جميع مراحل الطفولة مثل أغنية (السيارة رشيقة) التي يصاحبها كارتون حلو لسيارة حمراء تتحرك وبداخلها الأب والأم المحجبة وطفلان صغيران في الخلف والنشيد له لحن خفيف يناسب الأطفال الصغار ومرحلة الطفولة المبكرة. أيضا نشيد حيّنا الجميل، ونشيد الصرصور والنملة.

هناك مجموعة أخرى من الأناشيد الموجهة للطفل في مرحلة الطفولة المتوسطة مثل نشيد حسان وهناك أناشيد توجه لأطفال الطفولة المتأخرة لأنها ذات طابع تعليمي ممزوج بمتعة الأناشيد مثل نشيد (لغتي ما أحلاها) والفيديو المصاحب عبارة عن مجموعة من التلاميذ في مدرسة ومعهم معلم يشرح بعض قواعد اللغة بطريقة محببة، فهناك على السبورة صور جميلة وكلمات بارزة يقول النشيد:

لغتي لغتي ما أحلاها
يا أستاذي ما أبهاها
قرآنا يهدي الأجيالا
اسم فعل حرف
يحلو فيها الوصف
هي ألفاظ العرب فلنحفظها يا أطفال

وتستمر الأغنية للتعريف بالأفعال وأنواعها والحروف.

ومن الأناشيد الموجهة لأطفال مرحلة الطفولة المتأخرة أيضا نشيد (يلاّ نصنع طيارة) التي تتحدث عن الجدار العازل حيث الأطفال يلعبون سويا وفجأة يفصل بينهما الجدار العازل لكن الأطفال يصنعون طائرة ورقية عليها علم فلسطين وعلم لبنان وتستطيع طائرات الأطفال عبور هذا الحاجز وتبدأ كلماتها:

يلاّ نصنع طيارة
ونغني للريح

كما تقدم القناة عددا من البرامج الناجحة كالطفل والمحتل ونادي طه، كما تنتج القناة أيضا بعض أفلام الكارتون كمسلسل حامل المسك، وهكذا قد يخدع المربي في هذه القناة ويظنها قناة هادفة وممتعة لأنه لن يصطدم بهويتها الشيعية من مجرد مشاهدة بعض فقراتها، وربما لهذا سيطمئن ويترك للطفل أمر اكتشافها، وهنا سيبتلع الطفل السم بينما يعتقد المربي أنه يأكل العسل.

## الكارتون بيننا وبينهم

بينما تهتم قناة طه بإنتاج كرتون خاص بها على درجة كبيرة من الحرفية نجد أن قنواتنا الإسلامية لا تزال تحبو في هذا المجال، ومن المعروف أن الكارتون من المواد المحببة للغاية للأطفال والتي نفتقدها بشدة في القنوات الإسلامية فقناة مثل «طيور الجنة» وبقدر ما أحدثت من زخم كانت تفتقد لهذه النوعية من المواد، وقناة المجد للأطفال هي قناة مشفرة ولا تصل للكثير من أطفال العالم العربي، أما قناة سمسم فقد استطاعت عرض قدر معقول من المواد الكارتونية التي جذبت الأطفال إلى شاشتها، وقد تطورت كثيرا منذ نشأتها الأولى وحتى اللحظة الراهنة فقد كانت بداياتها بالغة الضعف وكان الإقبال على مشاهدتها ضعيفا للغاية وكان من الصعب إقناع أي طفل للتخلي عن قنوات الأطفال التقليدية لصالح (سمسم) التي لم يكن فيها إلا مجموعة من الأناشيد التي تَستخدم لغة غير متناسبة مع الأطفال وألحانا ثقيلة جدا ومجرد طفل يؤدي ولم تكن تستخدم المؤثرات الصوتية إلا بشكل بدائي.

الآن أصبحت (سمسم) واحدة من القنوات المؤثرة والتي يستطيع المربي المسلم ترك أطفاله أمام شاشتها وهو لا يخشى من المحتوى الفاسد، وفي الوقت ذاته تستطيع جذب انتباه الطفل بل وتعليمه العديد من القيم النبيلة، وتبث القناة بعض الكارتون العالمي الشهير مثل توم وجيري لكن الرقابة الشرعية للقناة حذفت الموسيقى واستبدلتها بمؤثرات صوتية أخرى كما أنهم لا يقدمون الحلقات التي تحتوي على مخالفات شرعية.

كما عرضت أيضا مسلسل (عدنان ولينا) وهو مسلسل ياباني مدبلج إلى العربية ويقع المسلسل ضمن إطار ما بعد نهاية العالم.

لكن المشكلة لم تحل بعرض كارتون عالمي لا تظهر فيه مخالفات جلية بل ينبغي توخي الحذر عند اختيار الكارتون لأنه يعبر عن ثقافة المجتمع وإن كان الكارتون الأمريكي مليئا بالعنف وبعض المشاهد التي تخدش الحياء، فالكارتون الياباني أيضا يحمل رؤية المجتمع الوثني الذي أنتج الكارتون وأفكاره فيما يخص المستقبل، البعث، الحياة الثانية، نهاية العالم، وهكذا.

### طريق المواجهة

التحذير من خطر قنوات الأطفال الشيعية لا يكفي لمنع الخطر لأن الواجب أن يكون هناك مقابل يملأ فراغ الأطفال، وليس من المعقول أن يظل أطفالنا محاصرين بين الكارتون العالمي بانحلاله وعنفه وأساطيره وبين كارتون الشيعة وما فيه من فساد في العقيدة، حتى لو كان الكارتون خاليا من الخطأ، فالتطبيع مع القنوات الشيعية سيجعل الطفل يدمنها ويشاهد برامج أو أناشيد أو لطميات تحمل أصول المذهب، وبالتالي لا حلّ إلا بإنتاج كارتون خاص بنا معبر عن هويتنا الحضارية.

بالتأكيد هو أمر ليس بالسهل، سواء على المستوى الفني أو المادي، ولكن لماذا لا نأخذ درسا من اليابانيين الذين بدأوا إنتاج أفلام الكرتون سنة ١٩٧٥ وكانت بداية متواضعة للغاية والآن هم ينافسون بشراسة على المستوى العالمي، نجحوا حتى غيروا المصطلح فهم لا يطلقون على إنتاجهم لفظة «كارتون» وإنما «إنمي» والسبب في ذلك هو دعم الحكومة اليابانية لمنتجي أفلام ومسلسلات الكارتون حيث يتم دعمهم بنسبة ٥٠٪ إلى ٧٠٪ من تكاليف الإنتاج، والأمر نفسه يحدث في فرنسا حيث تحصل شركات إنتاج الكارتون على دعم يصل لـ ٥٠٪ إلى ٦٠٪. وهو الشيء ذاته الذي تقوم به الحكومة الإيرانية، إنها ليست بالمعركة البسيطة إنها معركة الهوية الحضارية، معركة بالغة النعومة والتي لا يكون ضحاياها إلا من الأطفال.

## السياسية المصرية... هل فقدت البوصلة؟

**أسامة الهتيمي(*)– خاص بالراصد**

**من الطبيعي أو ربما من المشروع لدى البعض أن تطرأ تغيرات على السياسة الخارجية لأي بلد ما** لكل مرحلة أو فترة زمنية إذ يتوقف هذا على طبيعة النظام الحاكم والتوجهات السياسية والأيدلوجية التي يتبناها هذا النظام بين الحين والآخر، والتي بها يحدد ما يرى له أنه يمثل ويحقق المصلحة العامة لهذا البلد، وهي الفلسفة التي ارتكزت عليها واتخذتها العديد من الأنظمة العالمية ومن ثم فإن المعيار الرئيس لتحديد هذه السياسيات الخارجية في عرف هذه الأنظمة يكون في الغالب هو المصلحة بمختلف أشكالها بعيدا عن الالتزام أو بالأحرى التقيد بأية معايير أخرى سواء كانت قيمية أو أخلاقية أو حقوقية أو ما شابه مما يمكن أن يكون - وفق تصورهم - عقبة أمام تحديد المواقف والسياسات، بل على العكس فإن هذه المعايير تكون أحيانا مجرد أدوات أو وسائل يتم توظيفها والتستر خلفها لتحقيق المصلحة، والمصلحة فقط.

**وعلى الرغم من أن هذا المنهج البراجماتي ربما يحقق بعض المصالح بالفعل** لبعض الوقت إلا أنه يصبح فخا كبيرا تقع فيه أية دولة من الدول فتفقد الكثير من مصداقيتها فيما تقتصر لغة خطاب الآخرين معها على المصلحة أيضا وهو ما يدفع هؤلاء إلى السعي لامتلاك «أوراق ضغط» بكل السبل المشروعة وغير المشروعة حتى لا يصبح الآخرون مجرد «مفعول بهم» فحسب حيث يؤمرون فينفذون فيتم استخدام تلك الأوراق بطريقة تختلف من بلد إلى بلد حسب قوته وحجمه وقدرته على التأثير فتكون بين الأقوياء محاولة لتحقيق التوازن في القوى وتكون من قبل الضعيف في مواجهة القوي كمحاولة لانتزاع بعض المكاسب التي تحفظ له ماء وجهه أو تضمن له البقاء حتى حين.

---

(*) كاتب مصري.

## بين البراجماتية والتناقض

وبعيدا عن التطرق إلى الملاحظات والانتقادات التي وجهت إلى الفلسفة والسياسة البراجماتية إلا أنها أضحت واحدة من الأسس المتعارف عليها في السياسة الدولية، فضلا عن التحليل السياسي، حيث يقوم المحللون السياسيون بالاستناد إليها في تفسير الكثير من السلوك السياسي لبعض الأنظمة.

غير أن ثمة فارقا بين البراجماتية وبين التناقض في المواقف السياسية يدركه المتابعون والمراقبون فالبراجماتية التي يمكن أن تتعامى عن المبادئ والقيم وشعارات الحرية والديمقراطية وغيرها أو اتخاذ مواقف فردية وأنانية تصل إلى حد التدخل العسكري من أجل تحقيق المصلحة شيء فيما أن التناقض الذي يدفع صاحبه إلى قول أو فعل الشيء وعكسه في وقت واحد شيء آخر، وعليه فإن انتهاج سلوك «التناقض السياسي» لا يعكس إلا حالة من التخبط والعبث التي يمارسها أي نظام سياسي وبالتالي فإن أية محاولات لإدراج هذه التناقضات تحت لافتة البراجماتية ليست إلا مغالطات تستهدف التخفيف من وطأة رد الفعل الرافضة لهذا «التناقض السياسي».

فالولايات المتحدة الأمريكية مثلا يمكن أن تغضّ الطرف عن الممارسات الديكتاتورية وغير الحقوقية التي يرتكبها نظام من الأنظمة السياسية الحليفة لها بل ويمكنها أن تواصل دعمها لهذا النظام لكنها تظل وحتى اللحظة الأخيرة في حالة عمل دائم على أن تبدو وكأنها تدافع عن الديمقراطية والحريات بل وتحرص على أن تمارس صورا من صور الضغط، ولو ظاهريا، من أجل دفع هذا النظام للالتزام بقيم الديمقراطية والحريات وحقوق الإنسان.

كما أنه، وفضلا عن أن ممارسة «التناقض السياسي» تُفقد من يتبناه المصداقية، فإنه يعرضه أيضا لمخاطر شديدة أقلها انعكاس ذلك على علاقاته الخارجية التي يغيب عنها مع تراكم المواقف الاحترام المتبادل الذي من المفترض أن يظلل هذه العلاقات ليجد هذا الطرف نفسه بعد فترة في عزلة دولية فرضها هو نفسه على نفسه أو يصبح في الحد الأدنى مجرد أداة تتلاعب بها القوى الكبرى بعد أن فقد الحلفاء الداعمين له.

## التناقضات والمشهد المصري

بذل المتابعون والمراقبون للمشهد السياسي في مصر جهدا مضنيا منذ اندلاع ثورة الخامس والعشرين من يناير في محاولة لتفكيك هذا المشهد وطرح السيناريوهات المستقبلية التي يمكن على أساسها أن تؤول إليه الأوضاع فانصبت أغلب الرؤى على توقعات بترجيح النظام السياسي ما بعد الثورة لانحيازات سياسية على حساب سياسات أخرى ربما كانت عنوانا بارزا لنظام الرئيس المخلوع حسني مبارك، في حين رأى آخرون أن النظام الجديد سيكون أكثر انفتاحا ويحاول معالجة الأخطاء التي وقع فيها نظام المخلوع ويحاول في إطارها أن ينهض بالدور المصري إقليميا ودوليا بعد تلك الحالة التي أصابته حيث تراجع هذا الدور بشكل كبير خلال نحو ربع قرن من الزمان سواء كان على المستوى العربي أو الإفريقي أو حتى على مستوى المحيط الإسلامي.

والحقيقة أن ما ذهب إليه هؤلاء المراقبون مع تباينه كان يصادف في أحيان كثيرة واقع السياسة المصرية منذ تنحي مبارك وحتى الشهور الأولى من تولي عبد الفتاح السياسي لمقاليد الحكم في البلاد إذ حاولت السياسة الخارجية المصرية أن تمارس دورا يرقى بعض الشيء إلى تطلعات الجماهير المصرية حتى لو كان هذا الدور يثير حفيظة البعض، وهو أمر طبيعي في ظل الاختلافات والتباينات الأيدلوجية.

ونظرا لطبيعة الظرف السياسي الذي كانت تمر به البلاد بعد إزاحة الدكتور محمد مرسي في عام ٢٠١٣ وحتى انتخاب السيسي في ٢٠١٤ حيث تصاعد حالة الاستقطاب السياسي الحاد في هذا الوقت نتيجة الصراع بين مؤيدي السيسي ومعارضيه فقد كانت السياسية الخارجية المصرية في حالة انحياز شبه كامل لمواقف البلدان التي لم تتردد في دعم السيسي ماليا وسياسيا.

فلم يكن من اللباقة أو الكياسة أن تتباين وجهة النظر المصرية مع ما تتبناه هذه البلدان حول العديد من القضايا والملفات الرئيسة والبارزة في المنطقة، وكان من الطبيعي أن تتعاطى مصر مع هذا الواقع وفق ثلاثة مناهج، تمثل الأول في إعلانها مرارا عن متانة علاقاتها مع أغلب بلدان الخليج وبعض القوى الإقليمية التي دعمت وأيدت المسار السياسي في البلاد وأبرزها المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة فيما تمثل الثاني في

عدم ترددها في أن تتخذ مواقف مناوئة لبعض البلدان والقوى التي رفضت هذا المسار وعارضته وأبرزها تركيا وقطر، فيما تمثل المنهج الثالث في حرص النظام وحتى اللحظة الأخيرة على أن يخاطب ودّ بعض القوى التي آثرت أن تجلس في مقعد المراقب والمتابع ليكسب هؤلاء إلى صفه عبر مخاطبتهم بلغة المصالح وعقد الصفقات الاقتصادية والتجارية وأبرزهم فرنسا وألمانيا وبريطانيا وروسيا.

### لا للسلة الواحدة

بشكل براجماتي كان كل ما مارسته السياسة الخارجية المصرية خلال تلك الفترة يلقى قبولا لدى البعض معتبرين أنه يسير وفق المنطق ذلك أن أكثر ما كان يشغل النظام آنذاك هو ترسيخ أقدامه في الحكم والتخفيف من وطأة الاستقطاب السياسي والعمل على منع التواصل بين القوى الإقليمية والدولية من ناحية، وبين دعم المعارضة المناوئة لهذا النظام من ناحية أخرى، وانتزاع الاعتراف الدولي به فلا يتعرض لعزلة تضعفه وتقوي من شوكة هذه المعارضة.

غير أنه لم تكن تمرّ شهور على استتباب الأمور للنظام المصري الجديد فضلا عن تراجع الحراك السياسي المناهض لهذا النظام حتى بدأت تطرأ على سياسته الخارجية حزمة من التغيرات الشديدة جدا والتي حملت تناقضات وتباينات بالجملة أوجدت حالة من الحيرة وعدم الفهم لدى الكثير من المراقبين الذين استشعروا إزاء هذا الوضع أنهم فقدوا الأدوات التي يمكن عبرها فهم وتحليل ما يدور، فضلا عن استقراء سيناريوهات المستقبل.

وبدا أن النظام السياسي لا يتردد في الإدلاء بتصريحات وفعل ما يناقضها في ذات الوقت بل واتخاذ مواقف تتباين أشد التباين مع ما كان قد أعلن عنه قبل فترة وجيزة وهو ما وسع الفجوة بينه وبين أطراف كانت بالأمس القريب أقرب ما تكون له لتتحول هذه العلاقة الوطيدة إلى حالة من العداء الخفي ثم وفي لحظة يتم رصد مواقف أخرى تندرج تحت بند محاولات التقارب وإزالة التوتر، وهكذا دواليك.

وبالطبع، وفي سياق محاولات البعض لتجميل الصورة والتخفيف من حدة هذه التناقضات فقد فسر هؤلاء هذا السلوك بأنه عمل بالمبدأ القائل «لا تضع البيض كله في سلة واحدة» وأن مصر وفي هذه المرحلة بالذات يجب أن تسعى إلى الانفتاح على كل القوى حتى يمكنها أن تقيم جسورا من التواصل الذي سيفرز بكل تأكيد تنسيقا وتعاونا يساهم في عملية إعادة البناء والتنمية على مختلف المستويات.

### نماذج بارزة

ويأتي التقارب المصري مع كل من روسيا وإيران خاصة فيما يتعلق بطريقة التعاطي مع ملفي الأزمة السورية والحرب في اليمن كنموذج يكشف بجلاء عن حالة «التناقض السياسي» في مصر ذلك أن هذا التقارب جاء في الوقت الذي يفترض فيه أن القاهرة أعلنت قبل ذلك التقارب وبفترة وجيزة عن انحيازها وتبنيها لرؤية محددة عكستها تصريحات لا لبس فيها، كأن يجيب السيسي وبلغة حاسمة عندما سئل عن الذي يمكن أن تفعله مصر إذا تم تهديد أي دولة عربية؟ فقال: «مسافة السكة.. آه محدش يتهدد وإحنا موجودين ..لأ.. مش هيحصل.. أبدا»[1] ، في إشارة إلى أنه لن يتردد في أن يقدم يد العون والمساعدة لأية دولة تتعرض للتهديد وهي التصريحات التي فهم الجميع وقتها أن المقصود بها دول الخليج التي كانت تتعرض لتهديدات إيرانية إذ لم يكن هناك أي دول أخرى تتعرض لتهديدات.

غير أنه ورغم هذه التصريحات لم تتحرك مصر بالشكل الذي كان ينتظره عرب الخليج يوم أن انطلقت عاصفة الحزم في مارس عام ٢٠١٥ إذ يعلم الجميع أن مشاركتها كانت مجرد مشاركة شكلية وليست عملية فيما أجرت القاهرة وبشكل مباشر حوارات مع الحوثيين فضلا عن أنها سمحت لوسائل الإعلام الرسمي منها والخاص بأن تهاجم عاصفة الحزم بلا هوادة وهو ما أثار استياء الكثير من المتابعين والمراقبين السعوديين الذين اعتبروا أن هذه الهجوم يعكس الموقف الرسمي.

وعلى كلٍّ فقد جاء هذا الموقف بالطبع كاشفا إلى حد كبير عن حقيقية السياسة الخارجية المصرية فها هي دولة عربية هي المملكة العربية السعودية تتعرض لتهديد صريح من قبل المتمردين الحوثيين في اليمن الذين هددوا المملكة بصراحة بضرب أراضيها واحتلال مكة

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=0b51JH8jCRs

المكرمة قبيل عاصفة الحزم وبعدها إذ وفي ١٢ مارس ٢٠١٥ قام مسلحو جماعة أنصار الله الحوثيين بإجراء مناورات عسكرية بمعدات عسكرية ثقيلة على الحدود السعودية فيما صرح القيادي الحوثي، محمد البخيتي، بأن الحوثيين سوف يحررون نجد والحجاز وأن قواتهم جاهزة لمواجهة أي هجوم سعودي وأنهم لن يتوقفوا إلا في الرياض في حين أعلنت قيادة قوات تحالف دعم الشرعية في اليمن نهاية شهر أكتوبر ٢٠١٦ اعتراضها لصاروخ باليستي أطلقته المليشيات الحوثية من محافظة صعدة باتجاه منطقة مكة المكرمة.

ولا يختلف الأمر كثيرا فيما يخص الأزمة السورية، فالموقف المصري وحتى انتخاب السيسي رئيسا للجمهورية كان قريبا إلى حد كبير من الموقف العربي الذي يرى أن بقاء بشار الأسد يشكل تهديدا لأمن واستقرار المنطقة ومن ثم فلا بد من إزاحته وعدم القبول بأن يكون طرفا في العملية السياسية في البلاد غير أن مصر وبدون تنسيق مع بقية القوى العربية الفاعلة في الملف السوري تبنّت خيارا جديدا يرى أن بقاء الأسد هو الضمانة لبقاء سوريا موحدة ومن ثم لم يتردد السيسي في أن يعلن عبر تصريحات متعددة دعمه لجيش بشار الأسد ومن ذلك ما جاء على لسانه خلال مقابلة مع تلفزيون البرتغال خلال زيارته لها في نوفمبر ٢٠١٦ حيث قال ردا على سؤال حول إمكانية إشراك قوات مصرية في عمليات سلام بسوريا: «من المفضل أن القوات الوطنية للدول هي التي تقوم بالحفاظ على الأمن والاستقرار في مثل هذه الأحوال حتى لا يكون هناك حساسيات من وجود قوات أخرى تعمل لإنجاز هذه المهمة»، مضيفا: «الأَولى لدينا أن ندعم الجيش الوطني على سبيل المثال في ليبيا لفرض السيطرة على الأراضي الليبية والتعامل مع العناصر المتطرفة وإحداث الاستقرار المطلوب ونفس الكلام في سوريا حيث ندعم الجيش السوري وأيضا في العراق».

وبغضّ النظر عن صحة ما قيل بعد ذلك حول وجود أسلحة مصرية الصنع بيد قوات الجيش السوري أو وجود طيارين مصريين في بعض المدن السورية فإن تصريحات السيسي كانت واضحة وتؤكد أنه بالفعل أصبح هناك انحياز لبشار الأسد في معركته ضد الثورة السورية ومن ثم فإنه انحياز لوجهة النظر الروسية والإيرانية اللتي تتبنى الدفاع عن الأسد وتصرّ على بقائه رئيسا لسوريا مهما كانت الكلفة المالية والبشرية وهي وجهة نظر تبتعد كثيرا عن الرؤية العربية التي تبنتها جامعة الدول العربية من قبل وتجسدت في أن المعارضة السورية هي التي احتلت مقعد سوريا في الجامعة.

وهنا يجدر بنا الإشارة إلى مسألة في غاية الخطورة تتعلق بالأمن القومي العربي ففضلا عن أن إيران نجحت بالفعل في أن تحدث شرخا في العلاقات بين أهم القوى العربية فإنها أخضعت مفهوم الأمن القومي إلى التفكيكية والنسبية فلم يعد ثمة توافق عربي على هذا المفهوم فما تراه الرياض تهديدا للأمن القومي لم تعد تراه القاهرة تهديدا، والعكس بالعكس، ما يعكس إلى أي مدى غابت قنوات الحوار والتشاور والتنسيق المشترك سواء بشكل مباشر أو عبر جامعة الدول العربية التي ورغم ترهلها تمثل الإطار الجامع للدول العربية.

### ماذا يجري؟

بلا شك فإن هذه التطورات الحادثة تطرح سؤالا مهما وهو «ماذا يجري وما تفسيره؟» والحقيقة أن الإجابة ليست سهلة فهي معقدة ومركبة لأقصى درجة فهي في جانب تحتاج إلى فهم الموقف المصري مما يجري في سوريا ومدى تغير وجهة النظر المصرية وإعادة تقييمها للربيع العربي الذي يبدو أنها باتت تراه وفق تصريحات عدد ليس بالقليل من المسئولين المصريين بأنه جزء من الفوضى الخلاقة التي كانت قد أعلنتها وزيرة الخارجية الأمريكية رايس خلال زيارتها للقاهرة في العام ٢٠٠٥، ومن ثم فإن انتصار هذه الثورة على الأسد يعني أن تنسحب هذه الحالة على بلدان أخرى، وهو ما لا يجب أن يحدث.

كذلك فإن ثمة جانبا يتعلق بمساعي مصر إلى أن تفتح آفاقا من التعاون مع روسيا التي هي العدو اللدود للولايات المتحدة الأمريكية، فمن ناحية تمثل هذه العلاقات المصرية – الروسية ورقة ابتزاز للإدارة الأمريكية بقيادة باراك أوباما الذي لم يكن راضيا بشكل كامل عن الأوضاع في مصر ويمارس ضغوطا تتعلق بالحريات وحقوق الإنسان فيما كانت مرشحة حزبه الديمقراطي للرئاسة هيلاري كلينتون تنظر إلى جماعة الإخوان المسلمين المناوئة للنظام السياسي المصري نظرة تتعارض مع النظرة المصرية الرسمية.

ومن ناحية أخرى فإن التقارب مع روسيا يعني أن يكون متاحا أمام مصر مصدر آخر للسلاح غير التقليدي

فضلا عن إقناع الجانب الروسي بإعادة تسيير الرحلات الجوية للسياحة الروسية في مصر حيث كان عدد السائحين الروس في مصر هو الأعلى بين كل الجنسيات الأخرى.

أما فيما يخص التقارب مع إيران فإن الجانب المصري ينظر إلى ذلك من عدة زوايا أيضا أبرزها أن التلويح بهذا التقارب مثّل وسيظل يمثل ورقة ضغط على البلدان الخليجية التي تخشى من هذا التقارب إذ يمنح ذلك إيران ضوءا أخضر بأن تصعد من تحركاتها في المنطقة وهي التحركات التي تأتي في إطار مشروع توسعي عدواني.

وعلى الرغم من أن التخوف المصري من المشروع الإيراني في المنطقة لا يقل عن التخوف الخليجي إلا أن القاهرة تستهدف من وراء التقارب مع طهران أن تؤكد أولا على استقلالية قرارها وأنها ليست تابعة لأي طرف كان حتى لو كان هذا الطرف من الداعمين لها، وثانيا أن تبعث برسالة للداعمين بأن هذا الدعم لا يجب أن يكون مشروطا، غير أنه فاتها أن مثل هذه الخطوات تمثل خطرا كبيرا لا يمكن تدارك تداعياته على المنطقة برمتها.

فالدولة الإيرانية ليست بالسذاجة التي تسمح فيها أن يتم توظيف علاقات معها دون أن يكون لهذا ثمنه الباهظ، فالمعروف أنها لا تضيع فرصة إلا واستغلتها لتحدث ثغرة يمكن من خلالها أن تنفذ لما تريد وهو ما حدث بالفعل مؤخرا فما أن قرأت توتر العلاقات المصرية السعودية حتى سارعت بشتى الطرق إلى أن تزيد من هذا التوتر وتعمل على الاستفادة منه لتحقيق أهدافها وهو ما أكدته الأنباء التي تواردت نهاية ديسمبر من العام الماضي عن استثمارات إيرانية جديدة في مصر فيما رحبت الحكومة العراقية القريبة الصلة بطهران بإمداد مصر بالاحتياجات النفطية وهو ما دفع وزير النفط المصري طارق الملا إلى زيارة العراق لتوقيع اتفاقية يتم بموجبها توريد كميات من النفط بديلا عن شحنة النفط الشهرية التي كانت تقدمها شركة النفط السعودية «أرامكو» وتوقفت منذ شهر أكتوبر ٢٠١٦ ردا على موقف مصر المتناقض في مجلس الأمن الدولي حيث أيدت مصر مشروعين متعارضين بمجلس الأمن بخصوص حلب السورية أحدهما تقدمت به روسيا والآخر تقدمت به فرنسا إذ كانت السعودية تتوقع من مصر أن تعترض على المشروع الروسي وهو ما لم يحدث، الأمر الذي دفع ممثل المملكة إلى أن يعتبر ذلك أمرا مؤسفا ومؤلما.

كذلك فإن ثمة زاوية أخرى تدفع القاهرة إلى التلويح بالتقارب مع طهران تتعلق بتعاون اقتصادي بين البلدين خاصة وأن طهران لم تفتأ بين الحين والآخر تعرض هذا التعاون على القاهرة منذ نجحت ثورة يناير في الإطاحة بالرئيس مبارك وقد برز في هذا مثلا موضوع السياحة الإيرانية لمصر والذي أثير في عهد الدكتور محمد مرسي وفشل نتيجة الضغوط الشعبية الرافضة لهذا المشروع.

ولنا هنا أيضا أن نتساءل: هل يمكن أن تقدم إيران على المستوى الاقتصادي ما قدمته وتقدمه دول الخليج لمصر؟ الإحصائيات المتباينة تقول إن البلدان الخليجية قدمت لمصر خلال نحو ثلاثة سنوات من ٢٣ إلى ٤٠ مليار دولار ما بين منح وقروض وتسهيلات ائتمانية، وهو بالطبع رقم كبير جدا ما كان لإيران أن تقدمه، إذ المعلوم أن الناتج المحلي لإيران لا يتجاوز ٣٦٤ مليار دولار سنويا في حين أن الناتج المحلي للملكة العربية السعودية لوحدها نحو ٦٤٦ مليار دولار فيما أن إيران تعاني من مشكلات اقتصادية كبيرة لذلك ووفق خبراء اقتصاديين فإن أقصى ما يمكن أن تقدمه إيران لمصر سنويا لا يتجاوز ٥ مليارات دولار كقروض أو تسهيلات ائتمانية فضلا عن أن هذا سيكون له مقابله الذي بلا شك سيمثل خطورة على الأمن القومي المصري.

### الانعكاس على الداخل

الوضع في الداخل المصري لم يختلف كثيرا حيث العديد من القرارات والتحركات التي أثارت لغطا كبيرا في الشارع المصري وأفقدت المراقبين مرة أخرى البوصلة التي على أساسها يمكن تحليل هذا المشهد، فبعد أن وقّعت الحكومة المصرية اتفاقية ترسيم الحدود مع السعودية والتي بموجبها تسلم مصر جزيرتي تيران وصنافير تراجعت الحكومة نتيجة ضغط شعبي حيث رفض البعض الاتفاقية فيما رفض البعض الآخر الطريقة التي اتبعتها الحكومة في توقيع اتفاقية على قدر من الأهمية وهو ما دفع البعض للتظاهر رفضا لهذه الاتفاقية ما كان سببا في احتجاز العشرات ثم جاء الحكم القضائي الذي ألغى العمل بالاتفاقية لتطعن الحكومة، فيما تم الإفراج عن المحتجزين على خلفية تظاهرات رفض الاتفاقية.

ثم يتصور الناس أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد حيث من المرجح أن يكون الحكم النهائي تأييدا للحكم الأول فضلا عن أن الفترة الأخيرة شهدت حملة إعلامية شديدة اللهجة ضد السعودية وهو ما أكد لدى البعض أن ثمة نية تتجه إلى التراجع عن الاتفاقية غير أن الحكومة وفي خطوة مفاجئة وقبيل أيام من صدور الحكم النهائي أحالت الاتفاقية إلى مجلس النواب للتصويت عليها وفي ذات الوقت تدفع بإبعاد بعض الإعلاميين المعروفين بانتقادهم الشديد للمملكة العربية السعودية وسياساتها وتعتقل عددا ممن شاركوا في تظاهرات رافضة للخطوة الحكومية فضلاً عن الإعلان عن تخصيص أرض لجامعة الملك سلمان في شبه جزيرة سيناء وتوقعات بزيارة قريبة لخادم الحرمين الشريفين لمصر وهو ما أثار من جديد العديد من التساؤلات في الشارع المصري حول دوافع ما يتم اتخاذه من سياسات أو قرارات.

وبعيدا عن مناقشة الاتفاقية وقضية الجزيرتين فإن دلالة ما حدث هو أن حالة من التناقض تتسم بها كل ممارسات هذه الحكومة وأن التخبط يظلل كل تحركاتها، الأمر الذي يعكس أمرين مهمين أولهما عدم امتلاك مشروع سياسي يمكن أن يمثل دليلا إرشاديا يرجع له لاستقراء واستشراف السياسات ويكون المشترك الجامع لكل القوى والشخصيات الداعمة للنظام السياسي، وثانيهما هو وجود حالة من التنازع داخل مؤسسات اتخاذ القرار حيث انتقلت حالة الاستقطاب السياسي وإن كان بشكل جزئي إلى هذه المؤسسات وهو التنازع الذي إن استمر فسيرجح معه أن تتواصل هذه الحالة من التخبط لفترة مقبلة.

## الوجود التركي بالعراق
## خدم المصالح العراقية والتركية الوطنية

**سمير الصالحي(*)– خاص بالراصد**

**لا يختلف اثنان على أن مصالح إيران مقدمة على مصالح العراق عند أغلب البرلمانيين الشيعة العراقيين،** وأن النادر من ساسة الشيعة بالعراق مَن هو خارج أطر السيطرة الإيرانية، حتى أصبح كثير منهم بمثابة الناطق باسم مصالح إيران في العراق، ومما يثبت ذلك ويكشفه بوضوح طريقة تعامل هؤلاء الساسة الشيعة مع قضية تواجد قوات تركية في شمال العراق، والتي دار حولها جدل وخلاف علني بين الحكومة العراقية والحكومة التركية.

**وكان الأتراك قد دخلوا إلى شمال العراق بطلب رسمي عراقي،** من رئيس الوزراء حيدر العبادي، وموافقة رئيس البرلمان العراقي سليم الجبوري، ومسعود برزاني رئيس إقليم كردستان، ومحافظ نينوى أثيل النجيفي، لكن عند اقتراب موعد معركة الموصل طلبت الحكومة العراقية - بتحريض إيراني- من القوات التركية الخروج من الأراضي العراقية.

**فهاجم البرلمان العراقي التدخل التركي ورئيس وزراء تركيا والرئيس التركي بفجاجة ووقاحة** رغم أن الوجود التركي عبارة عن قوات محدودة العدد بالقياس للتدخلات الإيرانية وغيرها.

**ولقد أدركت تركيا أبعاد هذا الهجوم فأدانت الخارجيةُ التركية قرار مجلس النواب العراقي** الذي رفض تمديد بقاء القوات التركية داخل الأراضي العراقية، وأعربت عن احتجاجها بشدّة على ما ورد فيه من افتراءات واتهامات باطلة.

(*) كاتب عراقي.

**وقال بيان للوزارة التركية: ندين القرار الذي صدر عن مجلس النواب العراقي،** ونحتج بشدّة على القسم الذي تضمّن افتراءات مشينة ضد رئيس الجمهورية رجب طيب أردوغان، ونعتبره مسألة غير مقبولة بتاتا. وأضاف أن الخارجية تعتقد بأن القرار لا يعكس آراء شريحة كبيرة من الشعب العراقي الذي وقفت تركيا إلى جانبه لسنوات عديدة، وسعت لدعمه بكافة الوسائل المتاحة.

**وعندما شعرت إيران بصلابة موقف الرفض التركي،** حرّكت أذرعها المباشرة في العراق؛ فهدد القيادي في كتائب سيد الشهداء، رضا الساعدي، بضرب المصالح التركية في العراق قائلاً: إن كافة الفصائل المقاتلة المنضوية تحت منظومة الحشد الشعبي اتفقت على ضرب المصالح التركية في العراق، وإنها بصدد أن تعمم بيانات في الأسواق عامة وبين المواطنين تدعو إلى مقاطعة البضائع التركية.

**أما هادي العامري،** القائد الميداني لهذه الميليشيات، فسارع إلى تهديد الأتراك الموجودين في شمالي العراق بأن يدمر دباباتهم فوق رؤوسهم، إذا لم يغادروا المناطق العراقية التي دخلوها.

**ودعا زعيم التيار الصدري،** مقتدى الصدر، مجلس الأمن الدولي لإصدار قرار يلزم تركيا بإخراج قواتها من العراق.

## خلفيات تشدد تركيا ببقاء قواتها في العراق

إن تمسك تركيا بالبقاء في معسكر بعشيقة بالعراق ناتج من أن تركيا اليوم تشعر أن العراق والمكون السُّني فيه سيكون بالكامل تحت الهيمنة الإيرانية مما يهدد أمنها القومي، ولا تريد أن تكرر خطأها في سوريا بعدم المبادرة لحماية أمنها بنفسها، حيث تستشعر تركيا أن العراق - بتوجيه إيراني- أصبح حاضنة لإرهاب حزب العمال الكردستاني Pkk ضد أمن تركيا، ويعد Pkk منظمة إرهابية عند تركيا وأكثر دول العالم، حيث تمارس الاغتيالات والتفجيرات التي أودت بحياة ٤٠ ألف تركي منذ تشكل الحزب بصورة سرية سنة ١٩٧٨م، وهو يستند لأفكار ماركسية لينينية، وفي تاريخ عدائه لتركيا خدم وتعاون مع دول متعددة؛ منها إسرائيل والنظام السوري وإيران وروسيا.

وفي الآونة الأخيرة، وبعد الثورة السورية، أصبح هذا الحزب مدعوما من قبل أمريكا بحجّة محاربة داعش، في تقاطع بين سياسات نظام بشار وأمريكا، حيث أكد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بأن الأسد قد أودع المناطق الكردية السورية تحت عهدة حزب العمال الكردستاني، ويقوم النظام السوري بتدريب الحزب عسكريا.

ويبدو أن توظيف PKK في العراق ضد تركيا هو جزء من منظومة أكبر لإضعاف تركيا بقيادة حزب العدالة والتنمية، وهذه المنظومة تتقاطع فيها مصالح جهات متعددة منها؛ أمريكا وأوربا من جهة وإيران وسوريا والعراق وروسيا من جهة أخرى، والانقلاب الفاشل الأخير في تركيا جزء من هذه المنظومة.

من هنا شعرت تركيا مؤخراً أن التمدد الإيراني في سوريا والعراق، والتعاون الأمريكي الإيراني في عهد أوباما يستهدف تركيا ليجعلها بلدا غير مستقر؛ ولذلك تكاثرت العمليات الإرهابية فيها في السنتين الأخيرتين، في تمهيد لتمزيق تركيا مستقبلا.

من أجل التصدي لهذا السيناريو قامت تركيا بعدم الانسحاب من العراق ومحاولة عرقلة المخطط الإيراني فيه قبل أن يصل إلى الأراضي التركية عبر موجة النازحين العراقيين، كما حدث مع النازحين السوريين.

صحيح أن التدخل التركي جاء متأخرا، شأنه شأن الدول العربية؛ لكنه خدم المنطقة والعراق، وهو وجود إيجابي وليس وجودا سلبيا كالوجود الإيراني، فتركيا والدول العربية لا تريد إقصاء الشيعة ولا تريد تغيير البنية الديمغرافية كما تفعل إيران وأحزابها في داخل العراق، وفي داخل إيران نفسها؛ وقد كشف منسق مكتب الأمم المتحدة للشؤون الإنسانية في العراق مؤخراً عن إحصائية لسكان العراق تقول إنّ السُنّة أغلبية في العراق بواقع ١٦ مليون شخص، والشيعة تعدادهم ١١ مليون مواطن، مما يبطل مزاعم الشيعة بأنهم الأكثرية المظلومة!

## لماذا تدعم إيران حزب العمال الكردستاني في العراق:

مصلحة إيران الإستراتيجية أن لا تدعم انفصالا كرديا في أي بلد؛ لأن ذلك ينعكس عليها سلبا، لكن إيران تتلاعب بالمكونات الكردية الخارجية حتى لا تتحالف مع أكرادها، ومن جهة أخرى توظفهم في تحقيق

مصالحها في الدول المجاورة؛ ولذلك دعمت حزب العمال الكردستاني ضد تركيا، حيث سيطرت إيران على حزب جلال طالباني في السليمانية «الاتحاد الوطني الكردستاني»، والذي يدعم حزب العمال، بينما تمتلك تركيا علاقات وثيقة مع مسعود برزاني، رئيس إقليم كردستان.

ولذلك يدعم قائد فيلق القدس الإيراني، قاسم سليماني، تواجد حزب العمال في شمال العراق، وطلب منه المشاركة في استعادة الموصل، ليكون ورقة ضغط ضد تركيا في سوريا والعراق، وورقة ضغط ضد الحزب الديمقراطي الكردستاني بقيادة بارزاني.

## الحكومة العراقية وحزب العمال الكردستاني:

هل من المصلحة العراقية وجود حزب العمال الكردستاني؟

من المنطقي أن الجواب لا؛ لأن العراق في حرب مع داعش، ولايريد فتح جبهات ضده مثل تركيا، لكن الحكومة العراقية دائما تؤكد أنها تابعة غير مستقلة، تعمل لمصلحة غيرها وعلى الأخص إيران؛ لذا ساهمت بإدخال حزب العمال لمدينة سنجار (١٢٠ كم عن مدينة الموصل) للسيطرة عليها، لذا اتهم رئيس مجلس قضاء سنجار ويس نايف الحكومة بالتخطيط مع الحشد الشعبي لإدخال حزب العمال وتأسيس مقاطعة له على الحدود السورية العراقية.

وهذا الملف يقوده رئيس الوزراء السابق نوري المالكي؛ لأن من مهامه زعزعة منطقة كردستان، ودعم حزب العمال بأوامر إيرانية، ويساعده في ذلك فالح الفياض وبعض العملاء السنة من بقايا الصحوة.

لذلك كان رئيس الوزراء التركي بن علي يلدريم واضحا عندما صرح من كردستان أن حزب العمال لن يستطيع التخفي تحت عناوين مختلفة، هو ومنظمات مثل PYD، وYPG، فهي تعتبر واحدا بالنسبة لتركيا، مؤكداً رفض بلاده تواجد «العمال الكردستاني» في سنجار شمال غرب العراق.

## مدينة تلعفر صراع تركي إيراني (سني شيعي):

مدينة تلعفر تقع غرب الموصل بـ ٦٠ كم، وأكثر أهلها من التركمان، يتراوح السنة فيها بين ٧٠- ٨٠ ٪ والبقية شيعة، ومخطط الشيعة منذ زمن هو فصل تلعفر كمحافظة مستقلة لخلق جيب شيعي في الشمال (السني)، وهذا كان واضحا من توجه قوات الحشد الشعبي تجاه مدينة تلعفر بعد أن أصرّت تركيا وغيرها بشكل قوي وعلني على أن الحشد الشيعي يجب أن لا يدخل مدينة الموصل؛ لذا كانت وجهة الحشد لتلعفر بعد أن عجزت إيران عن فرض رغبتها، ولما حاولت قوة من الحشد الشيعي مخالفة ذلك تعرضت لضربات أمريكية فتراجعت، كما كانت الطائرات التركية تحوم فوق سماء تلعفر لمنع الحشد الشيعي من التقدم داخل المدينة، التي يتواجد اليوم بها التركمان السنة فقط، أما الشيعة فقد هاجروا للمحافظات الشيعية بعد دخول داعش.

في تلعفر هدف إيراني آخر، وهو مطار تلعفر لأنه يؤمن لإيران خطًا لنقل الأسلحة إلى سوريا ونقل الجنود بصورة مباشرة، وإيران تريد ربط العراق بها وبسوريا كي يكون خطا مستمرا.

لذلك كانت عرقلة الأتراك وتهديداتهم ضد الممارسات الطائفية رسالة قوية لإيران برغم المصالح الاستراتيجية الحقيقية لتركيا مع إيران والتي لا تريد فقدانها كالغاز الإيراني والتعامل الاقتصادي الكبير.

## هل الوجود التركي هو لمصلحة تركيا فقط أم لمصلحة العراق أيضًا؟:

ربما يقول القائل إن تركيا تفكر بنفسها من خلال تواجدها في العراق، نقول حتى لو كان ذلك صوابا؛ فالعراق اليوم بلاد مستباح لا سيادة لديه، وعبارة عن مجموعة قطع على رقعة الشطرنج تتلاعب بها إيران وأمريكا وغيرهما، فالكلام على السيادة له وقت آخر، والعراق كله وليس السنة فقط بحاجة لقوة تحدث التوازن به، وتركيا تساعد على ذلك.

إن تركيا والدول العربية لم يسبق لها أن طمعت في العراق، وفكرت في التدخل به كما تفعل إيران، لذلك العراق بحاجة لدول الأقليم كي توجد توازنا حقيقيا به أمام الهيمنة الإيرانية، فضلا عن صراع الدول الكبرى على أرض العراق.

لذا فإن الوجود التركي الداعم للسُنة مهم جداً لموازنة الوجود الإيراني؛ حيث تواصل إيران ألاعيبها الخبيثة بشراء قادة سنة جددا لتجذير نفوذها وهيمنتها عبر واجهات سنية عميلة وتابعة لها، لذا يحتاج العراقيون جميعا للدور التركي المتأخر، وللدور العربي الغائب لحد الآن.

وقد ساهمت تصريحات تركيا القوية والعلنية والمتكررة، خاصة تصريحات الرئيس التركي أردوغان، المحذرة من الممارسات الطائفية في تحرير الموصل في لجم الميليشيات الشيعية والقوى الطائفية في الجيش العراقي عن كثير من جرائمها، والتي شهدتها مدن أخرى كالفلوجة وغيرها.

والتدخل التركي يلقى قبولا من قبل أهالي الموصل، وهم كلهم سُنّة، ومن قبل بقية سنة العراق، ومن قبل شرفاء العراق أجمعين، كرئيس إقليم كردستان الذي أحسّ بأن وقوف تركيا إيجابي حتى للكرد لفرض التوازن بين الصراع الكردي الكردي، ولفرض التوازن ضد رغبة إيران بالسيطرة على كردستان.

ولا يضر الوجود التركي رفض مجاميع تتصادم مصالحها الشخصية أو الطائفية أو الفئوية مع مصلحة العراق عموما، والسنة خصوصا، بتقليل وتحجيم النفوذ الإيراني الطائفي من أمثال:

❖ سُنة المالكي عموما، وبضعة نواب محافظة نينوى خصوصا؛ أمثال عبد الرحمن اللوزي، وعبد الرحيم الشمري، وأحمد الجبوري وأقرباءه الذين شاركوا المالكي في مؤامرته بإدخال داعش للموصل، ووقفوا ضد الوجود التركي الرمزي والمحدود متجاهلين السيطرة الإيرانية التي تشمل كل العراق!؟

❖ مجموعة جلال طالباني التابعة لإيران، ومنهم رئيس الجمهورية فؤاد معصوم، الذي يقبل بالهيمنة الإيرانية العسكرية والسياسية علنا حتى على المنطقة الخضراء!

❖ ساسة الشيعة لأنهم تبع لإيران من جهة، ولأنهم يدركون أن التدخل التركي يقوي سُنّة العراق ويضعف هيمنتهم.

### مطلوب تدخل عربي مساند للأتراك:

تحتاج تركيا إلى مساندة عربية وخاصة من المملكة العربية السعودية، القوة الإسلامية المعنوية والمادية، بعمقها الديني والاقتصادي، وكذا قطر وجميع دول الخليج، والأردن، فعلى الجميع أن يساندوا تركيا في موقفها تجاه العراق؛ لأن تركيا الأقدر على مساندة إيران داخل العراق، وليس مساندتها في العراق وحسب بل في أمور شتى منها الاقتصاد، وتشكيل حلف جديد سني عربي إسلامي يواجه التحديات الإيرانية.

إن مواقف دعم تركيا للعراق قوية جدا، فهي المحتضن لأكبر جالية عراقية، وأكثرهم من أهل السنة، كما أن تركيا لها مصالح قوية في العراق؛ لذا من الصعب على الأمن القومي التركي أن يترك العراق لأن مردود ذلك سلبيا على تركيا نفسها، والعراق من المفترض أن يستفيد من هذه المصلحة، فالوجود التركي وجود إيجابي، يحتاج إلى مساندة، وفي هذا مصلحة للجميع.

---

## خطواتك الخمس
## لبناء وعي سليم بالأحداث والوقائع

**أسامة شحادة(❖)– خاص بالراصد**

---

**تختلف الآراء والتحليلات حول الكثير من الأخبار والأحداث والوقائع لدرجة التناقض التام،** وبسبب كثير من التحليلات الخاطئة اتخذت الكثير من المواقف والقرارات التي تسببت بخسائر فادحة وكوارث ضخمة، ولذلك أصبح من الضروري إعادة النظر بطرق التفكير والتحليل والفهم، من أجل تلافي الأخطاء السابقة والوصول لحالة وعي صحيح تجاه الأحداث والوقائع.

**وفي ما يلي خطوات خمس منهجية مقترحة للوصول إلى وعي ناضج وسليم لفهم وتحليل الأخبار والأحداث والوقائع.**

### ١. سلامة المنهج

كشفت دماء آلاف الأبرياء من الأطفال والنساء والرجال والمسنين على يد الميلشيات الشيعية والإيرانية في عدد من دولنا كالعراق واليمن وسوريا والبحرين والسعودية وغيرها أن الانخداع بإيران والشيعة كان خطأ فادحا، وأنه تكرار لكوارث التاريخ الدامية.

علّق الإمام الذهبي على خطورة مسار أهل البدع حين لخص كارثة انخداع وتقريب أبي جعفر المنصور لمؤسس منهج المعتزلة عمرو بن عبيد، بقوله: «اغتر بزهده وإخلاصه، وغفل عن بدعته»، وبعد هذا التقريب

---

(❖) كاتب أردني.

للمعتزلة واختراقهم للدولة بسنوات، شهدت الأمة إرهاب المعتزلة بإلزام المسلمين كافة بعقيدتهم الباطلة (خلق القرآن) بالبطش والعدوان، وفي سبيل ذلك قتلوا العلماء وسجنوهم حتى سجنوا الإمام أحمد بعد ضربه وتعذيبه.

وفي هذا الوقت تتكرر الكارثة، فقد غفل البعض عن بدعة الخميني وبدعة البغدادي، واغتروا بشعاراتهما البراقة حول نصرة المستضعفين ومحاربة الكفار والمعتدين، ولكن الحقيقة أن بدعتيهما جلبتا الكوارث على بلاد الإسلام.

إن التبين والتفحص لسلامة المنهج هو الخطوة الأولى لسلامة المستقبل، وأن لا تضيع جهودنا هباء، وأن لا نكون ضحايا لفئات مجرمة قد نكون بسذاجتنا ساهمنا بنموها وانتشارها.

وهذا يلزم معرفة قادة العمل الإسلامي لحقيقة الأفكار المحركة للطوائف والتجمعات، وأبعاد آلياتها وأساليبها في التغلغل والتسرب بيننا لإيذائنا والسيطرة علينا، والسبيل لذلك اعتماد العلم والمعرفة ومطالعة التاريخ والواقع في بناء القناعات والمواقف والاعتماد على أهل التخصص الثقات، وعدم الاغترار بالقناعات العاطفية والشعارات الجذابة والتفرد بالقرارات.

لقد عانت أمتنا في السنوات الأخيرة من بروز وتلميع ودعم بعض الشخصيات بسبب طلاوة لسانها وبريق شعاراتها وجاذبية أطروحاتها، وبرغم تحذير بعض العلماء والعقلاء من هذه الشخصيات مبكراً إلا أن الغفلة وحسن الظن ونقص الحزم ساهمت في تصاعد شعبيتها، ولما تعرضت الأمة للمحنة وجدنا هذه الشخصيات في صفوف الأعداء! ومن هذه الأمثلة أبو القعقاع محمود قولا غاصي في حلب، وعلي الجفري في اليمن، وعلي جمعة وعمرو خالد في مصر، وعدنان إبراهيم، الفلسطيني الأصل، من المهجر، وغيرهم كثير.

أمتنا اليوم تُشن عليها حرب أفكار معلنة، ويجب على قادة العمل الإسلامي أن يكونوا على قدر المعركة بالوعي العلمي المعرفي وإسناد المهمة لأهلها من العلماء والمفكرين الحقيقيين، والاستعداد لمقارعة مختلف الأفكار والشبهات، والبدء بتحصين الأمة فكرياً، من خلال الاستثمار الأمثل لموارد وطاقات الدعوة الإسلامية، وهي موارد كبيرة جداً تحتاج إلى قيادة واعية وخطاب صحيح.

على عاتق نخب أهل السنة اليوم مسؤولية قيادة الأمة، فهل يكونون على قدر المسؤولية ويأخذوها بحقها، ويتبعوا فيها السنة النبوية بتوسيد الأمر لأهله، ولذلك كان سيف الله هو خالد، وليس الصديق.

### ٢. دقة المعلومة وسلامة التحليل

سجل الملا عبد السلام ضعيف، أحد قادة طالبان، في كتابه «حياتي مع طالبان» أن عدم تقبل الملا عمر، زعيم طالبان، للمعلومات التي قدمها إليه بصفته سفير طالبان في باكستان وسوء تقديره لحقيقة نية أمريكا بالهجوم على أفغانستان عقب حادثة ٩/١١ في نيويورك كان سبباً في زوال إمارة طالبان، وهو تكرار لسوء تقدير صدام حسين بخطورة وحماقة غزو الكويت وردة فعل العالم، وأمريكا تحديداً.

ولا يزال كثير من العمل السياسي في عالمنا الإسلامي على مستوى الحكومات والمعارضات، ومنها التيار الإسلامي، يعاني من معضلة ضبابية وعدم دقة وموثوقية المعلومة من جهة، ومن سوء التعامل معها وتحليلها بشكل غير سليم من جهة أخرى، مما يتسبب بكوارث ضخمة ويلحق خسائر بالغة وفادحة لمسيرة النهضة والبناء على كافة الأصعدة.

ولذلك بعد سلامة المنهج لا بد من الحرص على دقة المعلومة باعتماد مصادر سليمة وموثوقة في أمانتها وفي وعيها، فبعض الناس هو محب للخير لكنه غير دقيق أو غير ذكي، لا يفرق بين الحقيقة والانطباع والزيف والتزوير، وكما عرفنا في علم الرجال التفريق بين الأمانة والضبط في الحفظ، ونحتاج اليوم إلى معيار في التفريق بين الأمانة والضبط في الوعي لسلامة المعلومة.

وبعد الحصول على المعلومة السليمة يجب التعامل معها بطريقة سليمة وموضوعية بحسب المناهج العلمية المختصة بها، وهذا هو السبيل لبناء قرار سليم.

في غزوة بدر، وهي الغزوة الأولى للمسلمين، كان النبي ﷺ وأصحابه بحاجة لمعرفة حجم جيش قريش ليخططوا للمعركة، وتمكن بعض الصحابة من

الإمساك بغلام لقريش فحاولوا استنطاقه عن عدد قريش فقال لهم: هم كثير، فأخذ الصحابة يضربونه!

ولكن النبي ﷺ استطاع الوصول للمعلومة حين سأله: «كم ينحرون من الجزور»، فقال: عشرًا كل يوم، فقال رسول الله ﷺ: «القوم ألف، كل جزور لمائة».

بهذه المنهجية يمكن الوصول لبناء الخطط والقرارات والتصورات، لكن البقاء في مدارات الظنون والخيالات والمعلومات المشوشة والناقصة والمغلوطة، والتعامل معها بسطحية وسذاجة وطيبة في عالم السياسة المعقد والمركب اليوم هو انتحار سياسي، ولعل كتاب «الخيال السياسي للإسلاميين ما قبل الدولة وما بعدها» للدكتورة هبة رؤوف يقدم نموذجا واضحا لضعف المعلومة وتشوشها في قضية مركزية في خطاب الإسلاميين وهي قضية الدولة، وللأسف يتكرر هذا في قضايا أخرى دون تعلم أو اعتبار اللاحقين من السابقين، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

### ٣. معرفة الخصوم ومكائدهم من علامات الوعي

بعد سلامة المنهج ودقة المعلومة وسلامة التحليل يلزم المؤمن العاقل النبيه معرفة خصومه ومكائدهم، وقد ذكر الله عز وجل ذلك فقال: ﴿وكذلك نفصّل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين﴾ [الأنعام: ٥٥]، وذلك أن أعداء الإسلام عبر العصور يكيدون للإسلام ﴿وقد مكروا مكرَهم وعند الله مكرُهم وإن كان مكرُهم لتزول منه الجبال﴾ [إبراهيم: ٤٦].

ولذلك؛ من يتأمل واقعنا المعاصر على مستوى الدول أو الحركات والمعارضة يجد أن هناك فجوة كبيرة في وعي دولنا وحركاتنا ومعارضتنا تجاه خطط خصومنا ومكائدهم وصفقاتهم ومفاوضاتهم، ويمكن أن نرى هذا بوضوح في كلام د. كامل أبو جابر الذي يقول: «كنتُ في مؤتمر مدريد رئيساً للوفد الفلسطيني الأردني كوزير للخارجية، وسمعتُ كلاماً في ذلك المؤتمر من شامير، رئيس وزراء الكيان الصهيوني، ورئيس الوفد في مؤتمر مدريد، حيث قال: «سندخل مفاوضات ولو استمرت لعشر سنوات، ... قبل أيام بدأت أراجع ما تم الحديث عنه في مؤتمر مدريد العام ١٩٩١، ولم أعِ ما قاله شامير تماماً، إلا الآن»!!

وتركيا اليوم تواجه وضعا صعبا بسبب أنها لم تدرك مبكراً -كما تصرح- أبعاد توريط إيران وأمريكا وروسيا لها في سوريا، مما عقّد وضعها الداخلي وأربك دورها المطلوب في سوريا.

وبسبب الغفلة والجهل عن مخططات واستراتيجيات نظام الملالي الشيعي انساقت جماعات إسلامية متعددة وشخصيات فكرية خلف شعارات التقارب والوحدة السنية الشيعية، فاخترق الشيعة أغلب الجماعات الإسلامية وكسبوا ولاء قادة وأفرادا فيها انشقوا عن إخوانهم، وأعلن بعضهم تشيعه، وبعضهم أسس تنظيمات شيعية، وعبر غفلة وغباء هذه الجماعات تنامى الحضور الإيراني في المجتمعات السنية، وباجتماع الغفلة الرسمية والشعبية تمكّن الحرس الثوري الإيراني من تكوين الخلايا الإرهابية النائمة في بلاد سنية متعددة وتكوين أحزاب شيعية تهدد السلم والأمن المجتمعي كما في العراق ولبنان واليمن والبحرين.

إن معرفة طرق وأساليب ومخططات الخصوم قضية ليست مستحيلة، ولكنها تحتاج إلى سلامة المنهج أولاً، ودقة المعلومة، وسلامة التحليل، وثقافة واسعة ومعرفة بالتاريخ وتبصر بمجرياته، ومتابعة للواقع وتطوراته، وعندها تتكشف المؤامرات وتسقط الفخاخ.

### ٤. الرؤية الشاملة والواسعة ضرورة

نحن نعيش في عالم كبير من جهة، وصغير من جهة أخرى، بسبب تشابك وسهولة المواصلات والاتصالات حتى سمي القرية الكونية، ولذلك حتى تكتمل دائرة الفهم المتمثلة بسلامة المنهج ودقة المعلومة وحسن التحليل ومعرفة الخصوم ومكائدهم يلزم توسيع دائرة النظر في التاريخ والجغرافيا والعلاقات لأي أمر ندرسه.

فالنبي ﷺ وجّه أصحابه لخارج الجزيرة العربية نحو الحبشة حين ضاقت بهم بطاح مكة وبرر ذلك بقوله: «إن فيها ملكا لا يُظلم عنده أحد»، وفي هذا دلالة واضحة على مدى اتساع دائرة الرؤية التي كان النبي ﷺ

يمتلكها عن واقعه برغم صعوبة المواصلات والاتصالات في عصره.

واليوم كم سبّب ضيق الرؤية من مصائب وكوارث، حيث لا ينتبه أولو الأمر من العلماء والأمراء لما يجري في حدائقهم الخلفية من قبل الأعداء، وبرغم تكرار هذه المكائد إلا أن اليقظة والمعالجة دون المأمول في أفضل الأحوال! فقد سبق لدولة اليهود أن اخترقت دول أفريقيا، وحتى الإسلامية منها، عبر المساعدات التقنية وتبادل المعرفة لتكسب نفوذا سياسيا في الأمم المتحدة وتكسب من خيراتها الكثيرة.

وعلى درب اليهود سار ملالي الشيعة في طهران، فتسللوا إلى أفريقيا وآسيا باسم المساعدات والاقتصاد، وتكررت زيارات رؤسائهم للقارة الأفريقية وتزايدت سفاراتهم فيها ومؤسساتهم الشيعية التبشيرية، بينما تقلصت السفارات والمؤسسات الدعوية السنية، وغابت القيادات السنية عن زيارة أفريقيا، مما زاد نفوذ اليهود والشيعة وإيران في أفريقيا على حساب المسلمين والسنة!

من مشاكل غياب الرؤية الواسعة والشاملة عدم الاستفادة من التجارب السابقة، والبقاء في دائرة تكرار تجارب الفشل دون التقدم لخطوة إضافية، أو تغيير طريقة التعاطي مع الأحداث، اليوم ومع توجع القلب لما حدث في حلب من فشل، يجعلنا نستذكر مآل ثورات سابقة في تونس والمغرب وليبيا والجزائر ضد الاستعمار، وكيف أن ما يحدث في سوريا اليوم يشبه كثيراً ما سبق أن حدث، من إطالة أمد الصراع وبثّ الفرقة في صفوف الشعب وتعارض مصالح الدول المتنفذة مع مصلحة الشعب، والعمل على صناعة بديل من الثورة يقبل بمراعاة مصالح الدول الخارجية وعند ذلك تنجح الثورة!

ولنا في تجربة د. توفيق الشاوي الطويلة، والتي دوّنها في كتابه الضخم «مذكرات نصف قرن من العمل الإسلامي ١٩٤٥- ١٩٩٥» بيان عملي لكل تلك الخطوات في ثورات تحرر دول شمال أفريقيا.

كما فيها عبرة هامة لخطورة خلل الفكر السياسي الإسلامي الموروث لدى الحركات الإسلامية المعاصرة، كما ظهر في الربيع العربي والتي عبر عنها الشاوي بقوله: «إن التيار الإسلامي لا يطفو على السطح، ولم يستطع أن يحافظ على مركزه القيادي في مرحلة الكفاح الوطني بالأساليب السياسية، لأنه لا يتقنها، ولكن عندما يفتح باب المجابهة بالقوة وتلجأ الحركة الوطنية إلى اقتحام ميدان الفداء والاستشهاد ففي هذه الحالة يتقدم الإسلاميون الصفوف» صفحة ٣١٦.

والدكتور الشاوي كان عضوا في قسم الاتصال بالعالم الإسلامي بجماعة الإخوان المسلمين منذ عام ١٩٣٧م وتولى متابعة ودعم الثورات التحررية لدول شمال أفريقيا، لكنه افتتح مذكراته بقوله: «أعتذر لكثير من إخواني الذين طالما عابوا عليّ التعاون مع مَن كانوا يعتبرونهم غير جديرين بالثقة التي أوليتها لهم... وكنت أقنع نفسي أن الوطنية تكفي لكي تجمعني بهم في ساحة الكفاح الوطني ... الآن اكتشفت أن هذا النقد الذي وجّه إليّ كان صحيحاً، وأن كثيراً من الوطنيين الذين وثقت فيهم ... لم يكونوا جديرين بهذه الثقة»، وللأسف لا يزال الكثير منا يكرر هذه الثقة في غير محلها من الشيعة وإيران والماركسيين واليساريين والعلمانيين الذين انقلبوا لشبيحة يؤيدون الطائفية والاستبداد والدموية، برغم علمانيتهم.

### ٥. فهم القضايا المركبة والمتعددة الأبعاد علامة النضج الفكري

بعد خطوات سلامة المنهج، ودقة المعلومة، وصوابية التحليل، وإدراك حقيقة الخصوم ومكائدهم، وسعة النظرة، يلزم امتلاك الرؤية المعمقة التي لا تكتفي بالنظرة المسطحة الواسعة للأشياء بل تغوص في عمقها وتكشف عن طبقاتها وارتباطاتها وعواملها المتعددة ومآلاتها القادمة.

لقد استشرف النبي ﷺ ضرر قتل رأس المنافقين ابن أبي سلول على مسيرة ومستقبل الدعوة الإسلامية، فقال: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»، وهو مراعاة لمآلات الحدث ويقظة لأهمية الإعلام والرأي العام ووجوب أن نقطع أسباب التشويش الإعلامي على المصالح الإسلامية من قبل خصوم الإسلام، وهو ما تتفنن داعش في القيام به بإصداراتها المتقنة مما شوه صورة الإسلام بطريقة لا مثيل لها من قبل!

ولنا في قصة الفاروق ومعاوية رضي الله عنهما مثال على تعقد القضايا، فقد عاتب الفاروق معاوية على اتخاذه

موكباً في تحركاته، فبرر معاوية ذلك بقوله: «يا أمير المؤمنين: إنّا بأرضٍ جواسيسُ العدو فيها كثيرة، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يكون فيه عز للإسلام وأهله ويرهبهم به، فإن أمرتني فعلت، وإن نهيتني انتهيت. فقال الفاروق: لا آمرك ولا أنهاك».

وفي عالمنا اليوم تعقدت القضايا وتركبت بشكل أصبح يُشْكل على كثير من العقلاء والأذكياء وليس عامة الناس وبسطائهم فحسب، فمن تعقيدات وتركيبات الثورة السورية أن الإجرام الإيراني والشيعي في سوريا يهدف للاستيلاء على سوريا موحدة وليست مقسمة بحسب ما ترغب أطراف أخرى، لأن تقسيم سوريا وظهور دويلة كردية جديدة يهدد وحدة إيران ويعزز انفصال أكرادها ويفتح الطريق لبقية القوميات للمطالبة بالانفصال والعودة للاستقلال الذي فقدته على يد والد الشاه في عشرينيات القرن الماضي!

فالحرص الإيراني على وحدة سوريا ليس حباً بسوريا والسوريين والوحدة، بل حرصاً على أنفسهم وكيانهم، وهذا الحرص على وحدة سوريا ومنع قيام دويلة كردية تتقاطع فيه مصلحة إيران وتركيا برغم تناقض رؤيتهم حول مستقبل سوريا والأسد.

من تعقيدات الثورة السورية أيضا أن ما أنقذ بشار الأسد لليوم هو عدم توفر بديل عنه في الثورة يمكن أن يرضى به الفرقاء في الداخل والخارج، فمع الأسف قرار مستقبل سوريا ليس بيد السوريين!

إن فهم تعقيدات المشهد يحتاج إلى توظيف كل الخطوات السابقة التي أشرت لها لفصل طبقات المشكلة وتحديد تقاطعات أطرافها وموازنة أضرارها وفوائدها، ومن ثم تحديد أقل الخسائر في حالات الضعف، أو أعلى المكاسب في حالات القوة، وعندها نكون قد وصلنا إلى مرحلة النضج والبناء المتدرج وتجاوزنا حالة ردود الأفعال أو التهور والمغامرة.

### خاتمة

أحسب أن توظيف هذه الخطوات الخمس من قبل المشتغل بالتحليل والفهم للأحداث والوقائع سيكون لها انعكاس إيجابي في تطوير دقة الرؤية وعمقها واقترابها من الصواب أكثر، وتجنب كثير من الأخطاء والكوارث، وسيكون للممارسة والوقت دور في التطوير والإضافة لها لتكون أفضل وأحسن.

## مسيرة القاعدة وداعش في الصومال... قراءة في المآلات والنتائج

**محمد خليفة صديق(*) – خاص بالراصد**

### مقدمة:

تعود جذور فكر الغلو في التربة الصومالية إلى نهاية ثمانينيات القرن الماضي مع مشارف نهاية الحكم العسكري للرئيس محمد سياد بري، حيث تم افتتاح أول معسكر جهادي في الصومال من قبل شباب الاتحاد الإسلامي الصومالي بمدينة كسمايو في فبراير ١٩٩١م، وتتابع تأسيس المعسكرات بصورة دراماتيكية في كل من طوبلي، وراسكمبوني، ومركا، ومقديشو، وقو، إلى جانب محافظة جذو، وقد تميزت تجربة الاتحاد الإسلامي بالتوسع أولا، ثم الانحسار الدراماتيكي السريع نتيجة للعقبات العشائرية والمناطقية المتفجرة، كما عانت أيضا تجربة الاتحاد الاسلامي من المعارك غير المخطط لها، والاستهداف الخارجي الكثيف، مما أجبر الوجود الجهادي على الانزواء في مناطق محدودة مثل لاسقوري بالساحل الصومالي.

يتتبع هذا المقال وجود التنظيمات الجهادية في الصومال من تنظيم القاعدة وحركة الشباب المجاهدين والمحاكم الصومالية، وصولا إلى ظهور داعش، ومن ثم يناقش مسيرة العنف والدماء التي ولغت فيها هذه التنظيمات ضد الشعب الصومالي، بجانب تجاوزاتها الأخرى على المستوى المحلي والاقليمي.

### بين القاعدة والمحاكم والشباب وداعش .. في الأرض الصومالية:

أول وجود لعناصر تنظيم القاعدة في الصومال يعود لعام ١٩٩٢، وانصبّ تركيز القاعدة حينها على دعم الاتحاد الإسلامي ومعسكراته بالمدربين، لكن تلك

(*) كاتب سوداني.

العلاقة لم تتخذ شكلا عميقا بسبب التباين الواضح في الاستراتيجية الحركية بين القاعدة (الجهاد العالمي) والاتحاد (الجهاد القطري المحلي)، ولكن مع مرور الوقت أنشأت القاعدة تحالفا أعمق مع طرفين على هامش الاتحاد الإسلامي، أحدهما مجموعة حسن تركي في محور الجنوب الأقصى، الذي أثمرت العلاقة معه عن تجهيز أول معسكر جهادي عالمي في الصومال، وثانيهما مجموعة القيادي عبد الله أحمد سهل بمحور مقديشو، والتي لعبت دورا ملموسا في ضرب القوات الأمريكية بمعارك مقديشو، وشكلت فيما بعد أولى بذور تجربة حركة الشباب المجاهدين.

لم يكن للعنصر الجهادي ذي الأشواق العالمية دورا يذكر كثيار متمايز في تأسيس المحاكم الإسلامية في الصومال في مرحلتها الأولى سنة ١٩٩٨، وفي مرحلتها الثانية بعد فشل مؤتمر عرتا في جيبوتي، لكنه شكّل إحدى القوى الضاربة بعد اندلاع معارك الحسم العسكري بمقديشو في مارس ٢٠٠٦، ولهذا بالتحديد كان بإمكان هذا العنصر الدخول في تشكيلات ومجالس المحاكم الإسلامية.

ثم ظهرت حركة الشباب المجاهدين كتطور للحركات الصومالية المرتبطة بالقاعدة في بداية عام ٢٠٠٤، وكانت الذراع العسكري لاتحاد المحاكم الإسلامية التي انهزمت أمام قوات حكومة الصومالية آنذاك، غير أنها انشقت عن المحاكم بعد انضمامها إلى ما يعرف بـ «تحالف المعارضة الصومالية»، وبعد ذلك انهار اتحاد المحاكم الإسلامية وانقسم لعدة حركات تحمل السلاح في وجه الدولة والمجتمع، وقدر عدد المنتمين لحركة المحاكم الإسلامية آنذاك بين ٣ آلاف إلى ٧ آلاف عضو تقريبًا.

ونفذت الحركة عدة عمليات وتفجيرات أهمها اغتيال وزير الداخلية الصومالي السابق عمر حاشي أدن في ١٨ يونيو ٢٠٠٩، ومعه ٣٠ شخصًا على الأقل، وتهاجم الحركة الفتيات في الشوارع؛ بسبب عدم ارتدائهن زيًّا مناسبًا، على حد وصفها، وتعادي الغرب وتقاتل ضده وضد من تعتبرهم موالين له من حكومات وأنظمة أو مواطنين مسيحيين، حيث تقتلهم على المذهب والديانة والهوية، كما تتشدد ضد مرتكبي المعاصي، وتعتبر ممارسة الرياضة معصية.

أما ظهور داعش في الصومال؛ فكانت النواة الأولى له في منتصف شهر أكتوبر ٢٠١٥، بعد أن أعلنت مجموعة مسلحة منتمية لحركة الشباب الصومالية يقودها عبدالقادر مؤمن، أحد القيادات البارزة للشّباب، ولاءها ومبايعتها لداعش، وتتمركز هذه المجموعة في جبال غالغالا وهي المنطقة الشرقية لجمهورية أرض الصومال غير المعترف بها دوليا، ثم تبعتها مجموعة مسلحة أخرى من حركة الشباب تنطلق في مناطق جوبا الواقعة بأقصى جنوب الصومال أعلنت ولاءها لداعش ومبايعة أبي بكر البغدادي، علما بأن أفكار تنظيم داعش كانت موجودة أصلا في الساحة الصومالية عند بعض المجموعات ذات الصلة بالقاعدة مثل الاتحاد الإسلامي وحركة الشباب المجاهدين قبل اغتيال زعيم حركة الشباب أحمد عبدي غودني، الذي كان يتبنى سياسة القبضة الحديدية لإدارة مجريات حركته ومنع تسريب هذه الأفكار إلى عناصره وقياداته الميدانية.

إعلان بعض فصائل حركة الشباب عن انضمامها إلى داعش كشف عن الخلافات والانقسامات الحادة في صفوف حركة الشباب، حيث قررت الحركة مواجهة عناصرها الذين انضموا إلى داعش عسكريا؛ فخاض الجانبان (الفصيل الموالي لتنظيم القاعدة وأنصار داعش) مواجهات مسلحة أسفرت عن قتلى وجرحى في صفوف الجانبين. وهددت حركة الشباب على لسان ناطقها الرسمي علي محمود راغي (علي طيري) أكثر من مرة بقطع رأس أي عنصر ينشق عنها للانضمام إلى داعش.

بعد مقتل العديد من أنصار داعش على يد أنصار القاعدة، فرت بعض القيادات المنشقة عن الحركة والمنتمين لداعش من القبضة الحديدية التي يتعرضون لها، وسلموا أنفسهم إلى الحكومة الصومالية هربا من قمع أنصار القاعدة واغتيال العديد من قياداتهم.

ومن بين القيادات الموالية لداعش، والتي استسلمت للحكومة مالك عبد الوهاب، الذي يحمل الجنسية الأميركية، والذي يطلق عليه اسم «جونز»، حيث سلم نفسه للقوات الحكومية المتمركزة في مدينة براوي، وتشير بعض التقارير إلى أنه خضع للاستجواب لدى

الاجهزة الأمنية التابعة للحكومة، وتشير بعض المعلومات إلى أن مالك عبد الوهاب سلّم نفسه للقوات الحكومية بعد مراجعات داخلية أثناء اعتقاله، حيث تقبل الدولة كل من يستسلم، وتخضعه لعملية تأهيل ومراجعة لأفكار الغلو.

وعلى الرغم من الضغوط التي تعرضت لها الفصائل الموالية لداعش الصومال؛ إلا أنها تمكنت من السيطرة على بعض البلدات بجنوبي الصومال، كما أن عناصر داعش الموجودين في جبال غالغالا بشمال شرقي البلاد قاموا بعدة تحركات في محاولة لبسط سيطرتهم في تلك المناطق، وتشير بعض المعلومات إلى تمركز عناصر داعش في محافظات جوبا السفلى والوسطى بولاية جوبالاند، كما أنه يوجد عناصر أخرى في المحافظات الشرقية لولاية بونتلاند وفي محافظة بكول بولاية جنوب غرب الصومال. وتمثل مناطق جوبا المعقل الرئيس لعناصر داعش في الصومال.

إلا أن نشاط التنظيم تعرض للانحسار والتراجع عقب تصاعد العمليات العسكرية للقوات الصومالية والإثيوبية المدعومة دوليًا، والتي أسفرت عن انسحاب التنظيم من مناطق تمركزه في محيط العاصمة الصومالية وجنوب ووسط الصومال.

وفي هذا الصدد يمكن اعتبار موجة تصاعد الهجمات التي نفذها التنظيم في الآونة الأخيرة ضد القوات الصومالية وقوات الاتحاد الإفريقي، بمثابة محاولة لمحاكاة نموذج «داعش»، حيث استهدفت التفجيراتُ الانتحارية التي نفذها محيطَ القصر الرئاسي والبرلمان ومركز العاصمة منذ مطلع أكتوبر ٢٠١٤، مما أسفر عن سقوط عشرات القتلى، فضلا عن قصف التنظيم لموقع هبوط طائرة الرئيس الصومالي حسن شيخ محمود لتفقدِ القوات الصومالية عقب السيطرة على ميناء براوي الاستراتيجي في ١١ أكتوبر ٢٠١٤.

ترى بعض الدراسات أنّ رقعة عناصر داعش في الصومال تزداد وتتّسع يوما بعد آخر في المرحلة الراهنة رغم كل الضّغوط العسكريّة والضّربات القاسية التي تتلقاها من قبل عناصر حركة الشباب الموالية للقاعدة، وذلك لأسباب عديدة، لكن بروز داعش كتنظيم جهادي مسلح جديد، واندلاع جبهات قتالية أخرى في البلاد يعني بالنسبة للصوماليين مزيدا من التأزيم للوضع الأمني والاقتصادي بالبلاد، وخطف آمال ومستقبل بقية الأجيال التي بقيت من آثار الصراع الطاحن الذي شهده الصومال على مدار أكثر من عقدين من الزمان.

## مصائب داعش والقاعدة في الصومال:

وجود القاعدة وداعش في الصومال جرّ على البلاد مزيدا من المشكلات والمصائب، تزيد من التركة المثقلة للبلاد التي ترزح في إشكالات متعددة منذ غياب الدولة فيها منذ أكثر من عقدين، ومن أبرز تلك التداعيات السالبة والحصاد المر للقاعدة وداعش في الصومال، ما يلي:

❖ فشلت القاعدة وداعش وبقية فصائل التطرف من تقديم البديل للشعب الصومالي الذي عانى من فساد وظلم وفشل نظام سياد بري، وحالة الفوضى التي أعقبت سقوطه، فهذه التنظيمات أيضاً لم تجلب الأمن والاستقرار للبلاد، بل ساهمت بقوة في زيادة الاضطرابات والتفجيرات والاغتيالات، ومن ذلك:

٦. استباحة حركة الشباب المرتبطة بالقاعدة لدماء المسلمين بحجة أنهم مرتدون وموالون للغرب.

٧. اغتيال حركة الشباب لعلماء ومثقفين وقيادات المجتمع في الصومال داخل المساجد منهم العلامة الدكتور أحمد حاج عبد الرحمن في ديسمبر ٢٠١١م، والشيخ عبد القادر فارح نور في فبراير ٢٠١٣م.

٨. إعدام المواطنين بمجرد تهمة تعاونهم مع الحكومة الصومالية في مقديشو.

٩. استباحة حركة الشباب لدماء الجبهات الإسلامية المسلحة في الصومال، كالحزب الإسلامي في أكتوبر ٢٠٠٩م، لفرض أجندتها ورؤيتها الفكرية والسياسية والإدارية بالقوة العسكرية على الساحة.

١٠. تصفية أبرز قيادات تنظيم القاعدة – من العرب والأفارقة – وأبرزهم إبراهيم أبو طلحة السوداني في يناير ٢٠٠٧م، وصالح علي نبهان الكيني في ١٥ سبتمبر٢٠٠٩م، وفضل عبدالله في ٨ مايو ٢٠١١م، وهو من جزر القمر على يد أجنحة في حركة الشباب نتيجة خلافات داخلية.

١١. نفذت حركة الشباب عمليات إعدام ميدانية وهجمات ضد أفراد كانوا قد بايعوا تنظيم الدولة في مناطق بإقليم شبيلي السفلي جنوب الصومال، حيث كانت الحركة توعدت كل من يعلن ولاءه لداعش أو حتى يُبدي تعاطفه معه، وهو الوعيد الذي تمثَّل في تنفيذ تلك العمليات.

١٢. أعدمت حركة الشباب أحد قيادييها، وهو المهندس السوداني محمد مكاوي إبراهيم نهاية ديسمبر عام ٢٠١٥ الذي فر من معتقله بسجن كوبر في الخرطوم قبل تنفيذ حكم بالإعدام صدر بحقه وآخرين في أعقاب إدانتهم بقتل دبلوماسي أميركي بالسودان، حيث أكد أحد رفقاء مكاوي في تدوينة على الانترنت، دون أن يفصح عن هويته، أن الشاب اغتيل على يد منتسبين لتنظيم القاعدة في الصومال، بعد أن أظهر رغبته في الانسلاخ والانضمام لتنظيم الدولة الإسلامية «داعش»، وقال: «عندما بزغ نور الخلافة، وأبت قيادة الحركة أن تنصاع للحق وأن تصلح المسير، أظهر رغبته للّحاق بدولة الإسلام، وما كان يظن أن الحال وصل بحركة الشباب إلى هذا القاع من الفساد».

١٣. تستخدم كل من القاعدة وداعش في الصومال الأساليب المرعبة ضد المواطنين مثل قطع الرؤوس، الأمر الذي أدى إلى زرع الخوف والرعب في نفوسهم.

١٤. تستخدم كل من القاعدة وداعش في الصومال الأساليب المروعة التي تشوه صورة الإسلام والمسلمين والتي لا تلقي بالاً لمراعاة فقه المصالح والمفاسد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

❖ لم تقدم هذه الجماعات شيئا يذكر في رتق النسيج الاجتماعي أو المساهمة في التعليم أو الصحة أو أي نوع آخر من حاجات المجتمع الضرورية، ولا البناء والإعمار.

❖ كما أن هذه التنظيمات المسلحة لم تسمح بالمشاركة السياسية للإسلاميين كجزء من النسيج المجتمعي الصومالي، بل استهدفتهم بالتخوين والتكفير والقتل والاغتيال وتشريدهم والتنكيل بهم.

❖ كان لها دور كبير لا يخفى في تدمير اقتصاد البلاد ومعاش الناس وإفقار الشعب وتجويعه وتشريده، كما أن من تداعيات وجود داعش في الصومال تضرر فئة المستثمرين العائدين من دول المهجر لبلادهم، وهم الفئة الأكثر تضررًا في حال دخل التنظيم بشكل فعلي على خطوط الحرب مع الحكومة الفيدرالية والقوات الإفريقية، باعتبارهم جزءًا من الثورة الاقتصادية التي شهدتها العاصمة في الفترة الأخيرة بسبب تحسن الأمن فيها، وسيضطر هؤلاء إلى الهروب إلى الخارج مجددًا ومعهم رؤوس الأموال التي حاولوا استثمارها في بلادهم.

❖ كما لعبت كل من القاعدة وهذه الحركات المسلحة دورا ملموسا في تحويل الصومال كمركز للقرصنة البحرية، مما يجعلها دولة إرهابية ويضر بمصالح المواطنين الأبرياء.

### مخاطر مستقبلية

صارت الصومال بسبب نشاط القاعدة وداعش بمثابة أهم مصادر السلاح للتنظيمات الجهادية في دول الإقليم، مما قد يجعل تنظيم «داعش» يعتمد على الصومال في توفير احتياجات خلاياه، سواء في سوريا والعراق أو في شمال إفريقيا واليمن، من السلاح في حالة تشديد الحصار الدولي المفروض على تدفقات السلاح العابرة للإقليم.

وأيضا ساهم تمركز تنظيم الدولة في جبال غالغلا، وطول أمد بقائه في تلك المناطق، في تنشيط القرصنة البحرية؛ فالموقع الجغرافي المهم لهذه المناطق وإطلالتها على ساحل المحيط الهندي دفع هذه الحركات إلى محاولة التواجد في الموانئ والمدن الساحلية، نظرًا لأهمية تلك المواقع بالنسبة له في نقل الأفراد والسلاح والأموال إلى مجموعاتها المختلفة، وهو ما يعني بقاء احتمال استخدام تلك المناطق في تهديد الملاحة الدولية مستقبلا.

كما أن هناك تخوفا مشروعا من احتمال تطوّر حركة الشباب في ظل تركيبتها الحالية، لتمثل دور «حركة طالبان» في أفغانستان وباكستان لكن بطريقة أكثر «أفريقية»، وتستمر في سعيها لمشروع توسعي لن يتوقف قبل السيطرة على القرن الأفريقي كله.

ويعني كل ما سبق اتساع دائرة الخطر على منطقة جنوب البحر الأحمر، خصوصاً في القسم الشمالي من الصومال، في (جمهورية أرض الصومال) غير المعترف بها دولياً، وإلى أي مدى ستكون قادرة على مواجهة أي

تقدم لـ «حركة الشباب» أو غيرها من دون دعم خارجي. حيث يعني سقوط (أرض الصومال) في يد هؤلاء إمكانية تغلغل هذه الحركات في دولة جيبوتي المجاورة، وهي الجزء الأضعف على ساحل البحر الأحمر، والجزء الأهم لإطلالها على باب المندب، ولدورها اللوجستي في أزمة اليمن، كما أنها تمثل واحة مستقرة في محيط يغلي بالأزمات.

وتبقى احتمالات التدخل الإثيوبي والكيني في الساحة الصومالية واردة من حين لآخر، خصوصاً أن التداخل الديمغرافي بين الصومال وبين هذين البلدين، يشي بمثل هذا الاحتمال الذي قد يكون مشتركاً، وبمساندة محدودة من الاتحاد الأفريقي.

مع العلم أن أديس أبابا ونيروبي تجدان نفسيهما وسط ساحة صراع أفريقي - أفريقي، من السودان إلى بوروندي، في غياب أي أفق تصالحي. وسيؤدي غرقهما في المستنقع الصومالي إلى نشوب مشاكل أخرى داخلية، قد تؤدي إلى ازدياد مخاطر الانقسام الداخلي، أو على الأقل مطالبة بعض المجموعات الصومالية في داخل كينيا وإثيوبيا بالانفصال أو بالحكم الذاتي.

## خاتمة:

يمكن القول إن ثمة مؤشرات عديدة تدعم من احتمالات اتجاه بعض التنظيمات الجهادية في الصومال، وفي مقدمتها حركة شباب المجاهدين، إلى تعزيز علاقاتها مع تنظيم داعش، سواء من خلال مبايعة التنظيم وقياداته، أو عبر التنسيق بين الطرفين للتغلب على الحصار الإقليمي الذي يتعرضان له، وهو ما يمكن أن يفرض تداعيات سلبية ليست هينة على أمن ومصالح دول المنطقة، مع بقاء احتمالات الحرب بين الفريقين وإمكانية تحقيق داعش لانتصارات عسكرية ضد حركة الشباب يظل واردا في الوقت المنظور.

من المؤكد أن وجود تنظيم داعش في الصومال سيضيف للمنطقة مآسي وانتهاكات غير إنسانية جديدة أكثر مما تمارسه حركة الشباب ضد الشعب الصومالي، كما أن داعش لديها نوايا ومطامع اقتصادية واستراتيجية بالاستفادة من الخيرات الطبيعية في باطن الأرض الصومالية، وقد يحتاج الأمر لإجراء مزيد من البحوث والدراسات حول شأن داعش في الصومال للعثور على معلومات إضافية ومتابعة عملياتها في الصومال.

كما يتطلب الأمر تجفيف منابع ومصادر التمويل الاقتصادي لداعش وحركة الشباب في الصومال والتي تعتمد على الدعم الخارجي في تسيير نشاطها، وتوعية المجتمع وتحذير الأهالي من المعتقدات الخاطئة المخالفة للعقيدة الصحيحة والممارسات غير الإنسانية التي يرتكبها تنظيم داعش في العالم، سيما في بلاد العراق وسوريا وليبيا ونيجيريا وغيرها.

## مراجع:


١. أبعاد التقارب المُحتمل بين «داعش» والتنظيمات الإرهابية في الصومال، مركز الروابط للدراسات السياسية والاستراتيجية:
http://rawabetcenter.com/archives/1506

٢. شافعي أبتدون، تنظيم الدولة في الصومال: بين الوهم والحقيقة، مركز الجزيرة:
http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2016/05/160531061345557.html

٣. هل يتمدّد تنظيم داعش إلى الصومال، صومالي تايمز:
http://www.somalitimes.net٠١/١٢/٢٠١٦/

٤. تنظيم الدولة وحركة الشباب.. جذور التأسيس ومسارات التقاطع، الإسلام اليوم:
http://somaliatoday.net/%D8%AA%D٩








## نقد الليبرالية

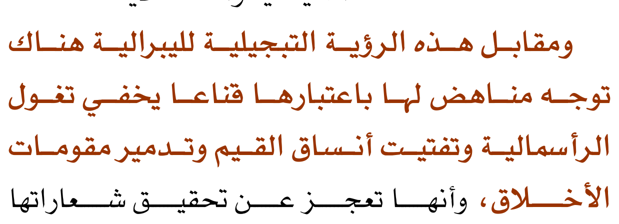
عرض أسامة شحادة(*) – خاص بالراصد

صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة كتاب **البيان رقم ١٠٩**، عن مركز البيان للبحوث والدراسات، وكانت طبعته الأولى قد صدرت سنة ٢٠٠٩م، وجاء في ١٩٠ صفحة من القطع الكبير، أما مؤلف الكتاب د. الطيب بو عزة فهو دكتور في الفلسفة من المغرب، وله عدد من المؤلفات.

**في المقدمة** يبين المؤلف أن الهدف من هذا الكتاب الذي يبحث عن معنى الليبرالية وقيمها ومبادئها وتطبيقاتها المجتمعية هو أن الليبرالية تقدم اليوم بوصفها الحل والنموذج الوحيد في مجال السياسة والاجتماع بدون منازع ومنافس وعلى مستوى العالم!

**ويبين أنه سيقوم بنقد الليبرالية من خلال مقاربة فلسفية تتناول أسسها النظرية لكشف زيف المزاعم الليبرالية الكبرى**، وبنقد لواقع تطبيق وتطورات الليبرالية عبر التاريخ والحاضر، مع التنبيه أن نقد الليبرالية لا يعني نقد الحرية أو تمجيد الاستبداد، بل هو نقد لحصر الحرية بالليبرالية دون دليل، بل إن المؤلف يرى أن الحرية اليوم هي تحرير الإنسان من الليبرالية!

**في الفصل الأول من فصول الكتاب الستة يناقش المؤلف دلالة مفهوم الليبرالية**، حيث يرصد أن صعود الليبرالية لواجهة المشهد الثقافي جاء في تسعينيات القرن الماضي بعد انهيار المعسكر الشيوعي والفكر الماركسي فأعلنت الليبرالية كنموذج فكري وسياسي أقدر على تنظيم الاجتماع وإدارة المشكلات السياسية والاقتصادية.



**ومقابل هذه الرؤية التبجيلية لليبرالية هناك توجه مناهض لها باعتبارها قناعا يخفي تغول الرأسمالية وتفتيت أنساق القيم وتدمير مقومات الأخلاق**، وأنها تعجز عن تحقيق شعاراتها

(*) كاتب أردني.

الاقتصادية كالرفاه لأن ذلك يتناقض مع واقع الجشع الرأسمالي القائم على الحرية والفردية دون ضابط أخلاقي.

**يحاول الليبراليون تعريف الليبرالية بأنها الحرية**، وهذا تزييف، فالحرية ادّعتها كثير من المذاهب والفلسفات، وليس هناك تعريف متفق عليه لليبرالية وفي الحقيقة هناك ليبراليات متعددة، وبالعودة للمعاجم والتاريخ نجد أنها من اللفظ اللاتيني «ليبراليس» وتعني الشخص الكريم النبيل الحر، وحتى نهاية القرن الثامن عشر لم يعرف لفظ الليبرالية، بل عرفت كلمة «ليبرال» التي تعني المتحرر فكرياً، لكن في نهاية القرن التاسع عشر ظهرت لفظة الليبرالية بوصفها دالة على رؤية مذهبية لها أساسها الفكري ونظريتها السياسية والاقتصادية.

**ولكنها كانت رؤى متغايرة متنوعة يجمعها أنها فلسفة/ فلسفات اقتصادية وسياسية،** ترتكز على أولوية الفرد بوصفه كائناً حراً، حيث تعني من الناحية الفكرية حرية الاعتقاد والتفكير والتعبير، وحرية الملكية الشخصية في الجانب الاقتصادي، وحرية التجمع وتأسيس الأحزاب، واختيار السلطة من الناحية السياسية. وبذلك تكون الليبرالية تكونت في الواقع قبل تشكل المصطلح.

**فانفتاح الوعي الأوربي على عوالم خارج النص الكنسي كالعالم العربي والإسلامي والإغريقي والروماني أحدث دهشة وصدمة للعقل الأوربي القرطوسي**، وأحدثت فيه النزعة الإنسانية، ومع توسع حركة التجارة وظهور طبقة التجار ثم حركة الصناعة والصناعيين سيتغير النظام الإقطاعي السائد، إذ التجارة والصناعة تحتاجان إلى عمال وزبائن، لذلك يجب تحرير العبيد ليصبحوا عمالا، وبذلك يرى المؤلف أن الليبرالية لم تنشأ بوصفها توكيدا لحرية الإنسان، بل بوصفها توكيدا للحاجة لاستغلاله بطرائق تناسب الثورة الصناعية! ولذلك ترافق مع انهيار نظام الإقطاع إبادة الهنود الحمر واستعباد شعوب أفريقيا ونهب خيراتها على يد النظام الليبرالي الرأسمالي، وقامت البرلمانات الليبرالية بتشريع ذلك! مما ينزع عن الليبرالية وهْم تحرير الإنسان، وأن الحرية ترتبط بالليبرالية حصرا كما يزعمون.

**في الفصل الثاني يتناول د. بو عزة النظرية السياسية لليبرالية** من خلال الصيرورة التاريخية لها وللمحددات المفاهيمية لها ويركز على الدور المركزي لثلاث شخصيات هي: ميكافيلي، لوك، مونتيسكيو.

**حيث قام ميكافيلي بترسيخ فكرة الفصل بين السياسة والأخلاق كجزء من الفكر الواقعي الذي جاءت به الميكافيلية** لتأسيس عصر الحداثة الذي يقوم على القطيعة مع العصور الوسطى ذات الخلفية الدينية، والفصل بين السياسة والأخلاق ظاهر في الليبرالية الكلاسيكية والليبرالية الجديدة، ولذلك يَعد المؤلف ميكافيلي أول منظر للسياسة الليبرالية بخلاف ما هو شائع.

**أما دور جون لوك في السياسة الليبرالية فهو ترسيخ البعد الفردي**، وأنه الأساس في الوجود بما يلغي قيمة الجماعة ومصالحها، وينبّه المؤلف لمفارقة التناقض في الفكر الليبرالي في شخصية لوك، فبينما كان ينظر لحق الإنسان بالحرية ويدعو للفردية فقد كان يعمل في تجارة العبيد!

**أما مونتيسكيو فقد رسخ في السياسة الليبرالية الفصل بين السلطات في الدولة**، وأن الحرية السياسية تكون في إطار القانون وأن حرية الفرد مقصورة على الفرد المالك بالمفهوم الاقتصادي وليس عموم الأفراد!

**وجاء الفصل الثالث ليفحص النظرية الاقتصادية لليبرالية**، والتي تقوم على مفهوم مادي للإنسان، كما عبر عنها فوكوياما في كتابه «نهاية العالم» (الإنسان هو بالأساس حيوان

اقتصادي)، وقد أصبحت هذه الرؤية أسلوب عيش وأسلوب تفكير، ويراد لها أن تسود رؤية البشر في العالم! وهذه رؤية تصطدم بحقيقة كينونة الإنسان التي تتجاوز المادة لتجمع الروح معها، وهذا ما تتجاهله الليبرالية.

**سبق أن نبّه المؤلف إلى أن الليبرالية - بوصفها فكرا بشريا- في الحقيقة هي ليبراليات،** فبداية الليبرالية كانت في فرنسا وكانت ذات بُعد فلسفي فكانت ضد حركة التصنيع بخلاف ما هو متوقع! ثم عقب الثورة الفرنسية والتمرد على الإقطاع ظهرت مبادئ الملكية الخاصة وحرية الفرد في التصرف في ملكيته ورفض تدخل الدولة بالاقتصاد، وذلك على أرضية تعظيم دور الأرض كمصدر للثورة.

**لكن آدم سميث سيقدم تطويرا لليبرالية بنقل مصدر الثورة من الأرض للعمل،** ولذلك لمزيد من التنمية لا بد من مزيد من العمل مع الادخار للفائض لمزيد من الاستثمار، ولذلك كان الاستهلاك مرفوضا ليبراليا بخلاف الليبرالية الجديدة اليوم المسمّاة النيو ليبرالية! وفي كل هذه الأعمال لا قيمة للأخلاق أو مصلحة المجموع والمجتمع، بل القيمة للمصلحة الفردية بأي شكل!

**وبذلك تكتمل الحلقة الضارة بالبشر** حيث تم تحويل البشر لحيوانات مفترسة لا أخلاق لها تسعى نحو مصالحها الخاصة فقط مهما أضرت بالبشر أو البيئة.

**التعريف والنقد لليبرالية الجديدة كان موضوع الفصل الرابع،** فبعد ظهور الليبرالية في القرن الثامن عشر إلا أنها توارت للوراء وبقيت في الزاوية منذ مطلع القرن العشرين بعد صعود الماركسية وقيام الاتحاد السوفيتي وظهور الأنظمة الفاشية، التي حققت نجاحات اقتصادية مع تخلف وانحطاط في مستوى الحريات، حيث انصب النقد الموجه إليها على الحد من حرية الفعل الاقتصادي، واعتبار الليبرالية نظاما قديما فقد صلاحيته! ولذلك كان الخطاب الليبرالي في ذلك الوقت خطابا انهزاميا، بخلاف خطابها اليوم الذي يزعم أنها الحل الوحيد ونهاية التاريخ!

**وبعد أزمة العالم الاقتصادية عام ١٩٢٩م تنبهت الرأسمالية لوجوب تدخل الدولة في الاقتصاد على يد جون كينز،** وعرف هذا التعديل بالنظرية الكينزية، حيث انتقد فردية الليبرالية وفوضى الحرية التي أنتجت البطالة، وبعد حرب ١٩٧٣ وارتفاع سعر البترول ظهرت مجددا مشكلة البطالة والتضخم، وكان الحل المقترح هو التراجع عن تدخل الدولة والنظرية الكينزية والتي سميت بالليبرالية الجديدة! واعتمدت من قبل المنظمات الاقتصادية الدولية كصندوق النقد، وجاء انهيار الاتحاد السوفيتي ليعطي الليبرالية الجديدة قوة دفع باسم العولمة لفتح الأسواق وتعميم نظرتها إلى العالم، مع تعديل طفيف بجعل المنفعة هي محدد القيمة وليس العمل كما قررت الليبرالية في القرن التاسع عشر على يد سميث.

**ومن جديد كسرت الضوابط والقيود،** أما جشع رأس المال الباحث عن منافعه ومصالحه الفردية دون اعتبار للدولة أو المجتمع أو الآخرين، حتى أصبح السوق كيانا مقدسا يحرم التدخل فيه، بحيث أصبح كوَثن جديد مقدس، واعتبار أي نقد لاقتصاد السوق بأنه نابع من نقص الإيمان بالحرية!

**لكن تناقضت هذه الليبرالية الجديدة مع نفسها** حين آمنت بحرية فتح الأسواق والحدود أمام البضائع ولكنها رفضت حرية مرور العمال عبر حدودها! وقد تبدى هذا واقعا بالرفض للمهاجرين عموما واللاجئين السوريين خصوصا، وتتناقض الليبرالية مع نفسها مرة أخرى حين تفرض حرية تنقل بضائعها دون منح الآخرين حرية عدم تنقلها كما تمنع هي حريتهم في التنقل كأفراد!

**وهذا جعل من حرية السوق وتنقل البضائع** أن تنعكس على تشكيل النسق النفسي والقيمي للمجتمعات والشعوب لتعيد تشكيلها بما يحقق مصالح أصحاب السوق خاصة مع تطور أساليب

الدعاية وتعظيم قيمة اللذة مما يحول الإنسان لمستهلك، بل مستهلك من الأشياء، بما يعظم مرابح وثروات الرأسماليين العابرين للحدود والدول!

**الليبرالية والأخلاق هما موضوع الفصل الخامس،** الحرية المطلقة وهْم لا وجود له، فالإنسان محكوم بحتميات بيولوجية ومجتمعية رضي أم أنكر، وحتى الليبرالية تعترف بهذا مرغمة فتنكر حرية الأطفال والمجانين.

**والحرية مفهوم غير متفق على مدلوله،** وقد بدأ في الفكر الغربي من خلال حركة الإصلاح الديني، بمعنى فتح المجال للتفاعل مع النص المقدس مقابل احتكار الكنيسة للتعاطي معه، ثم مع تحطم احتكار ودور الكنيسة أصبحت الحرية الليبرالية تعني حرية الفرد بوصفه مالكا اقتصاديا بعد أن كان عبداً في نظام الإقطاع، وبذلك هي تستبدل استبداد الإقطاع باستبداد رأس المال.

**ولذلك فإن الحرية في المفهوم الليبرالي الذي يعظم المنفعة واللذة الفردية تتصادم مع الأخلاق التي هي إلزام وقيد،** ولذلك تتحرر الليبرالية من الأخلاق ولا تحفل بها وتهتم بما يحقق الرغبات مهما كانت عبثية وتافهة إذا حققت منفعة صاحبها ولذته، وهذا ما يفسر تصاعد موجة الانحلال في الإعلام والمنتجات.

**وكان الفصل الأخير حول الخطاب الليبرالي العربي،** ويقسمه المؤلف لخطاب عربي كلاسيكي قديم تعامل مع الليبرالية في لحظة غزو أوربا للعالم العربي وكانت الفلسفة الليبرالية هي المهيمنة، وخطاب عربي معاصر.

**ويعتبر المؤلف أن الخطاب العربي القديم كان تعاطيه معها أفضل من الخطاب المعاصر،** إذ غالبهم تفاعل مع الليبرالية باعتبارها رؤى وأفكارا ومفاهيم يعاد تأصيلها من الدين والتراث ولا يتعاملون معها كنسق جاهز متكامل كما يفعل رواد الليبرالية العرب اليوم.

**كما يشير المؤلف إلى أن رواد الليبرالية في عالمنا العربي** برغم مرور خمس عشرة سنة على تنظيراتهم فإنهم لم ينتجوا بحثا محترما عن الليبرالية التي ينادون بها!

**ويختم المؤلف كتابه بالتأكيد على زيف زعم الليبراليين** أن الليبرالية هي الحل لمشاكل العالم، وأن الليبرالية هي في الحقيقة موضة سرعان ما تزول كغيرها من الشعارات، وأن ربط الحرية بالليبرالية هو ربط زائف.

**نعم،** لليبرالية دور في بيان فضل الحرية والعقلانية والكرامة، لكنها حرفت هذه المعاني بربطها بالمادة فقط، وحررت الإنسان من سلطة السياسة لتسقطه تحت سلطة الاقتصاد.

**وبهذا يبقى الباب مفتوحا لعودة البشرية للدين،** ولكن البشر يحتاجون من أهل الدين تقديم رؤى مفصلة تعالج تعقيدات الحياة.



## ١٩٠ ألف قتيل فقط!

**قالوا:** كشفت وثائق «ويكيليكس» أنه من مجموع ٢٨٤ ألف ضحية في العراق، فإن ١٩٠ ألفا قُتلوا على يد ميليشيات المالكي، كما اعتمدت سياسة المالكي على تصفية خصومه السياسيين التابعين للحلف السني، حيث قام بقتل ٥ قيادات سنية في ٢٠٠٩، وعلى رأسهم محافظ مدينة نينوى.

**نجاة المضحكي –**
**البلاد البحرينية ٢٠١٧/١/١٩**

## أوربا مسلمة بعد ١٠ سنوات

**قالوا:** إن القارة الأوروبية التي تعيش اليوم بنمط ملحد وثني، ستتحول إلى الإسلام في غضون ١٠ سنوات بسبب غبائها، نتيجة للاجئين المسلمين المتدفقين على أوروبا والتيار الإلحادي المتزايد بسرعة بين الشعوب الأوروبية، خصوصا أن المسلمين ينجبون الأطفال، وهو الأمر الذي نفتقر إليه نحن الأوروبيين.

وأضاف أن أوروبا بدأت التحرك بصورة تتلاءم مع الاعتقاد الوثني في الوقت الذي يتم فيه تطوير قوانين معادية للذات الإلهية، مشيرا إلى أن هذا الانهيار الأخلاقي والديني يعود بالنفع على الإسلام مع ضعف الاعتقاد المسيحي وعدم عمل الكنائس بصدق وخلو الندوات التي تعقدها.

وذكر ليبراتي أيضا أن المناطق في أوروبا التي يباشر فيها القساوسة تعاليمهم الدينية ما زالت تحافظ على هويتها الدينية إلا أنه يجب العودة إلى تطبيق تعاليم المسيحية.

ووفقاً لآخر إحصائية من عام ٢٠١٠، قام بها معهد بيو، فقد وصل عدد المسلمين في كل أوروبا، عدا تركيا، إلى ٤٤ مليون نسمة، أي ما يُشكل حوالي ٦٪ من إجمالي سكان أوروبا.

**كارلو ليبراتي،**
**رئيس أساقفة مدينة بومبي الإيطالية**
**موقع النشرة ٢٠١٧/١/١٩**

## لهذا يقتلون ويضطهدون المسلمين

**قالوا:** وذكر إحصاء منتدى «الدين والحياة» العامة التابع لمركز أبحاث «بيو» الأمريكي، أن عدد المسلمين في العالم، سيرتفع من ١,٦ مليار نسمة إلى ٢,٧٦ مليار بحلول ٢٠٥٠، كما سيرتفع عدد المسيحيين من ٢,١٧ مليار إلى ٢,٩٢ مليار نسمة، وسيتقلص عدد اليهود حينها بمعدل النصف، في وقت يشكلون فيه حالياً نسبة ٢٪ من سكان العالم.

وأضاف أن نسبة المسلمين في العالم ستصل من ٢٣,٢٪ في ٢٠١٠م إلى ٢٩,٧٪ بحلول ٢٠٥٠م، في حين ستبقى نسبة المسيحيين دون تغيير عند ٣١,٥٪.

وأشار إلى أن المسيحيين في الولايات المتحدة، سيتراجع عددهم من ثلاثة أرباع السكان إلى الثلثين فقط في ٢٠٥٠م، ولن تكون الديانة اليهودية وقتها هي الأكبر بعد المسيحية هناك، بل سيتعدى عدد المسلمين عدد اليهود.

**موقع النشرة ٢٠١٧/١/١٦**

## هذه حقيقة عدالتهم وعلمانيتهم

**قالوا:** أوضح تقرير نشره مكتب المساواة الحكومي (GEO)، أن ٢,٧ مليون مسلم في بريطانيا يواجهون صعوبات بالغة، تحول دون حصولهم على فرص عمل أو أجور مناسبة، مقارنةً بالبريطانيين الذين يعتقون الديانة المسيحية أو غيرها.

وأضاف، أن «عدم وجود بيانات شاملة ومتكاملة تساهم في قبول المزيد من المسلمين في التعليم العالي، تنعكس سلبًا على فرص حصولهم على فرص عمل». وأوصى الحكومة بتحديد خطة لمواجهة حالات عدم المساواة، والعنصرية التي يواجهها مسلمو البلاد في قطاع العمل.

وكشفت دراسة حكومية بريطانية أخرى، في شهر ديسمبر الماضي، أن النساء المسلمات من الأقليات البنغالية والباكستانية يواجهن عنصرية شديدة في أماكن العمل ويصعب عليهن الالتحاق بالمناصب الإدارية.

**موقع النشرة ٢٠١٧/١/١٦**

## إيران تعبث بتركيبة ديالي الديموغرافية

**قالوا:** رفضت مليشيات الحشد الشعبي عودة نازحي محافظة ديالى إلى مدنهم بعد مرور أكثر من عام ونصف العام على استعادتها من سيطرة تنظيم الدولة، حيث لم يسمح لعودة أكثر من ٢٠٠ ألف نازح يتواجدون في مخيمات النزوح بعد نزوحهم من مدن «جلولاء، السعدية، المقدادية، الخالص، أبي صيدا، منصورية الجبل»، رغم التعهدات التي أبدتها السلطات الأمنية في المحافظة قبل نحو شهرين من نهاية العام الماضي بإعادة النازحين خلال مدة أقصاها ٦٠ يوما، إلا أنه لم يتغير شيء على أرض الواقع بعد مرور ١٩ يوما على انقضائها.

وقال مستشار مؤسسة أبعاد للأبحاث، المحلل السياسي وسام الكبيسي: إن محافظة ديالى منطقة إستراتيجية مهمة جدا بالنسبة للعراق ولمشروع ولاية الفقيه في المنطقة، لأنها أقرب نقطة تصل إلى بغداد، وعندما ننظر إلى الحدود العراقية- الإيرانية ونجد هذا المشروع الذي يريد التمدد في المنطقة ويستعمل العراق كنقطة انطلاق لمشروعه فإن محافظة ديالى هي التي تفصل بينه وبين بغداد.

فمحافظة ديالى هي ذات غالبية سنية سواء من العرب والكرد والتركمان، مع نسبة من الشيعة، فبالتالي من مصلحة مشروع ولاية الفقيه أن يعمل على هذه المحافظة بشكل كبير جدا، وإيران بدأت من ٢٠٠٣ في المحافظة واستغلت تنظيم الدولة لتحقيق أهدافها في المحافظة.

يشار إلى أن محافظ ديالى مثنى التميمي هو أحد قياديي مليشيا بدر بزعامة هادي العامري الذي يسيطر على القرار الأمني والسياسي في المحافظة، حسبما ذكر مراقبون.

عربي ٢١، ٢٠١٧/١/١٩

## متى نفهم!

**قالوا:** قلنا ألف مرة إن هناك جيشا الكترونيا إيرانيا لديه ١٠٠ ألف حساب على تويتر، وفيه فرق للدول والقبائل والسلف والإخوان وأقسام السلف والجهات والحجاز و....

يوسف علاونة،

تغريدة بتويتر

## بالضبط

**قالوا:** لو كان هناك قنوات لمواجهة الفكر المتطرف كما هو حال قنوات الكورة والدوريات لتحقق نجاح كبير في بث الوعي الوسطي والمعتدل.

بدر العامر،

تغريدة بتويتر

## المستور الذي ينكشف

**قالوا:** كشفت صحيفة «وول ستريت» الأمريكية عن زيادة مبيعات تنظيم الدولة، نظام الرئيس السوري بشار الأسد بالنفط. ونقلت الصحيفة في تقريرها عن مسؤولين أمريكيين وأوروبيين تأكيدهم الأمر، بتوفير التنظيم الوقود «المهم للأسد»، مقابل المال «المهم للتنظيم».

ورأت الصحيفة أن العلاقة التجارية بين النظام والتنظيم ساعدت في تثبيت الأخير في مواجهة الضغط العسكري غير المسبوق عليه في سوريا والعراق، مشيرة إلى أن التبادل التجاري جرى رغم الجهود المبذولة من روسيا وإيران للقضاء على التنظيم.

وأوضح المسؤولون أن شراء الأسد النفط والغاز من تنظيم الدولة يعد مصدر التمويل الرئيسي حاليا، وحلت مكان العوائد التي جمعها التنظيم سابقا من رسوم نقل البضائع والضرائب على الأجور داخل مناطق سيطرته.

وقال المسؤول بوزراة الخارجية الأمريكية، عموس هوكشتاين إن «أرباح التنظيم وإنتاجه للطاقة يدعمها حاليا النظام السوري».

وتشير «وول ستريت جورنال» إلى التناقض الحاصل في سلوك الأسد، حيث أن حكومته تحصل على الغاز والنفط من التنظيم، في الوقت الذي تخرج فيه تصريحات معادية له.

وكشف مسؤولون غربيون عمّا يعتقدونه ردة فعل التنظيم على تأخر نظام الأسد، حيث يشكون في أن تنظيم الدولة قام بتفجير حقل غاز سوري منفصل في الأسبوع الأول من الشهر الجاري لإرسال رسالة التأخر بالدفع وضرورة القيام به.

عربي ٢١، ٢٠١٧/١/٢٠

## عجز الثقة

**قالوا:** مد إرهاب الولي الفقيه الصفوي يصل إلى جبل تومور في ألبانيا بتشييد مقام العباس، والمعنيون نيام.

مصطفى كامل،

تغريدة بتويتر

## الحمد لله

**قالوا:** دعاؤكم - يوم كنتم تدعون - لحلب، لم يذهب سدى، قد استجاب الله ضراعتكم وعلم صدقكم، فمن رأى سير الأحداث من بعد، يعلم أنه مجيب دعوة المضطرين.

د. لطف الله خوجة،

تغريدة بتويتر




# حوثنة التعليم
# وخطره على الأجيال الصاعدة في اليمن

أبو مالك ماجد الحكمي – صفحته على الفيس بوك

**السيطره على التعليم وتوجيه بوصلة التعليم في اليمن،** تتصدر اولويات الحركه الحوثية. فبعد تعيين يحيى بدر الدين الحوثي الشقيق الاكبر لزعيم الحركة الحوثيه وزيراً للتربية والتعليم في الحكومة الانقلابية ، بدء اتباع الحركة الحوثية يفرضون أفكارهم المنحرفة وعقائدهم الفاسدة في المؤسسات التعليمية، وسارعوا لتغيير بعض المناهج الدراسية، وقاموا باستبدال مدراء المدارس والمعلمين، بآخرين موالين للحركة ويحملون نفس العقائد والأفكار.

**وقاموا بتدريس (ملازم) المؤسس الأول للحركة الحوثية حسين بدر الدين الحوثي،** وادخالها ضمن المنهج التعليمي، وهم بذلك يشوهون أفكار الطلاب بتعبئة طائفية مقيته ، ويجبرون الطلاب على ترديد الشعارات الحوثية والصرخة بدلاً من النشيد الوطني. ويمنحون شهادات نجاح ومعدلات مرتفعة للموالين لهم.

**وتسعى قيادات الحركة الحوثية إلى إحكام السيطرة على مفاصل التعليم،** عن طريق تعيين مدراء مكاتب ومدراء مدارس من الموالين لهم، رغم أنهم لاعلاقة لهم بالعمل التعليمي.

**كما تصر على استخدام المدارس في الدعاية ونشر أفكارهم بين طلاب المدارس،** وكل ذلك لتنشئة جيل عقائدي موالي لهم. فالتعليم هو أقوى سلاح يمكنك استخدامه لتغيير العالم.

**فلذلك يقوم أتباع الحركة الحوثية، وبتوجية من يحيى بدرالدين الحوثي (وزير التعليم الانقلابي)،** بزرع محتويات مذهبية في مناهج التعليم، وجعل (ملازم) حسين بدرالدين الحوثي تزاحم الكتاب المدرسي.

**وعقب تعيين يحيى بدرالدين الحوثي وزيراً للتعليم في حكومة الإنقلابيين،** شكل لجنة لإعادة صياغة المناهج التربوية، سيما مواد التربية الإسلامية والتاريخ.

**بل وصل الأمر بيحيى بدر الدين الحوثي،** أن وجه بإتلاف كتاب (التربية الإسلامية) داخل مطابع الكتاب المدرسي.

**وكان ذلك بعد ان وجد في الكتاب صورة توضيحية لطفلة تصلي وهي ضامة يديها وليست مسربلة،** واعتبر هذه الرسمة تخدم ما أسماه التوجه (الوهابي).

**وتقوم الحركة الحوثية** بإرسال أتباعها إلى المدارس لتدريس (ملازم) حسين بدرالدين الحوثي - وهذه الملازم تحوي محاضراته التي جمعت- والتي تمثل المصدر الفكري الوحيد المنقول عن مؤسس الحركة، الذي يغذي عقول أتباع الحركة.

**إن التغذية الفكرية لطلاب التعليم في اليمن بالفكر الحوثي،** سيكون ورقة سوداء في قادم الأيام. والجدير بالذكر أنهم يعدون لمنهج تعليمي جديد، ذو صبغة طائفية بامتياز، يسعون لتعميمه في العام الدراسي القادم، في المدارس التي يسيطرون عليها.

**وكل ذلك من أجل الحصول على جيل يمكن أن يدفع مستقبله وحياته بسهولة ثمناً في سبيل ما يعتقد،** وستدفع الأجيال الصاعدة في اليمن ثمن حوثنة التعليم.

## الدعم الغربي للحركات الشيعية المعارضة في الخليج العربي

المرصد الاستراتيجي – ٢٠١٥/٧/١٥

### التدخل في الشؤون الداخلية والدور التأزيمي لبرامج دعم الديمقراطية في دول مجلس التعاون:

تبنت الإدارة الأمريكية السابقة سياسة «دعم الديمقراطية» في الشرق الأوسط باعتبارها أحد أهم ركائز الأمن القومي للولايات المتحدة، وأفضل وسيلة لمواجهة التشدد الإسلامي، حيث عبر الرئيس الأمريكي السابق عن ذلك في خطاب له عام ٢٠٠٣ بقوله:

«منذ ستين عاماً والدول الغربية تغض الطرف عن غياب الحريات في الشرق الأوسط، ولكن هذا التغاضي لم يجلب لنا الأمن، لأنه لا يمكن تحقيق الاستقرار على حساب الحرية، وسيكون من غير المقبول بعد الآن القبول بالوضع الحالي في المنطقة».

ولتحقيق ذلك فقد اعتمدت الإدارة الأمريكية في مطلع عام ٢٠٠٤ برنامجا طموحا يهدف إلى إحداث متغيرات جذرية في بنية الأنظمة العربية وسياساتها الداخلية، من خلال برامج تنفذها مؤسسات دعم الديمقراطية وتتضمن: تنظيم برامج تدريبية، وإقامة ندوات حوارية، وعقد اجتماعات تنسيقية مع الشخصيات السياسية المعارضة بهدف: «نشر ثقافة الديمقراطية» وتدريب: «زعماء المعارضة» على المطالبة بتحسين أوضاعهم وفق المبادئ والأسس الديمقراطية.

وكان من أبرز الجهات المستفيدة من هذه البرامج جماعات التشيع السياسي في الخليج العربي، حيث ظهرت دراسات متعددة تحدد اتجاهات التيارات الدينية والجماعات التي يمكن للإدارة الأمريكية التفاوض معها، وتعتبر الدراسة التي قدمتها مؤسسة «راند» عام ٢٠٠٣ أحد أهم المحاولات التي بذلت لوضع أسس التعاون مع الجماعات الدينية، كما أصدر قسم البحوث والدراسات بالكونجرس الأمريكي دراسة مهمة عام ٢٠٠٦ بعنوان: «سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في دعم الديمقراطية: المعضلة الإسلامية»، واستخدم فيها لأول مرة مصطلح: «المناطق الرمادية» لتحديد مدى اقتراب تلك الجماعات أو ابتعادها عن استحقاقات الدولة المدنية بعداً أو قرباً.

وتزامن صدور هذه الدراسات مع عقد لقاءات بين مسؤولين أمريكيين وقادة جماعات شيعية في عواصم غربية، وعلى إثر تلك اللقاءات تعززت علاقات جماعات التشيع السياسي مع الإدارة الأمريكية التي سهلت لزعمائها فرص المشاركة في برامج تدريب و«تأهيل القادة»، وحظيت هذه الجماعات بتمويل سخي من منظمات دعم الديمقراطية وبالأخص منها: «الوقف القومي للديمقراطية» (National Endowment for Domocracy)، التي تعمل في أكثر من ١٠٠ دولة حول العالم، وقد بلغت ميزانيتها السنوية: ١١٥ مليون دولار عام ٢٠٠٩، و١١٨ مليون دولار عام ٢٠١٠، و١٠٥ ملايين دولار عام ٢٠١١.

أما بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا: فقد بلغ مجموع ما أنفقته (NED) عام ٢٠٠٩ على برامج دعم الديمقراطية: ١٧,٨٢١,٠٠٠ دولار، وأنفقت عام ٢٠١٠ على هذه البرامج ١٥,٤٢٠,٠٠٠ دولار، وكان لمصر والبحرين نصيب كبير من هذا التمويل.

وعلى الرغم من تحفظ (NED) على المبالغ التي تدفعها للمعارضة الشيعية في البحرين على سبيل المثال؛ إلا إنه من الواضح أن: جمعية الشفافية البحرينية والجمعية البحرينية لحقوق الإنسان والمركز البحريني لحقوق الإنسان التي يهيمن عليها كوادر جماعات التشيع السياسي هي من أبرز الجهاز المستفيدة من تمويل هذه المنظمة.

كما عمدت الإدارة الأمريكية إلى تنظيم برامج تدريبية لقادة الجمعيات الشيعية المعارضة في كل من: البحرين، والمغرب، والولايات المتحدة الأمريكية، ومنها برنامج «قادة الديمقراطية» الذي رعته وزارة الخارجية الأمريكية عام ٢٠٠٨، وشارك فيه زعماء من المعارضة الراديكالية في بعض دول مجلس التعاون.

كما حظيت هذه الجماعات بدعم السفارات الأمريكية في دول الخليج العربية التي تدير برامج «مبادرة الشراكة الشرق أوسطية» (MEPI) لتعزيز الديمقراطية، والتي قامت بتنظيم زيارات رسمية لزعماتهم مع مسؤولين وأعضاء في الكونغرس، وربطهم بالصحافة الغربية والمنظمات الحقوقية الرسمية والأهلية.

وقد بدأت هذه المبادرة عملها عام ٢٠٠٤ من خلال تمويل منظمات غير حكومية لدعم حقوق الإنسان في العالم العربي، ومن أبرز الذي عملوا مع هذه البرامج، واستفادوا من تمويلها: رئيس تحرير صحيفة الوسط منصور الجمري، وأمين الجمعية البحرينية لحقوق الإنسان عبد الله الدرازي، ورئيس الجمعية البحرينية للشفافية عبد النبي العكري، وكذلك عبد الهادي الخواجة ونبيل رجب بمركز البحرين لحقوق الإنسان.

وبعد تنفيذ مجموعة برامج مع قيادات المعارضة المحظورة، ركزت (MEPI) على تدريب عناصر شابة من الجيل الجديد، عبر دورات تدريبية تناولت: «التأثير على الرأي العام من خلال الرسائل المصورة»، و«تدريب الصحفيين والمدونين على تحسين حقوق الإنسان وحمايتها»، ومن أبرز الذين استفادوا من هذه البرامج مريم بنت عبد الهادي الخواجة، وزوجها عبد النبي المسقطي، ومجموعة من الصحفيين والمدونين والمسؤولين النقابيين.

ولما اندلعت الأحداث بالبحرين في شهر فبراير ٢٠١١ ظهرت بصمات هذه الخلايا التنظيمية من خلال نشاط المدونين، والنقابيين، وناشطي حقوق الإنسان، وغيرهم من المنضوين لدورات وبعثات برامج (MEPI) ومن الملفت للانتباه أن القائمين على هذا البرنامج قد انبروا لدعم نشاط الخلايا المعارضة في أروقة السياسة الأمريكية، إذ عُينت مريم الخواجة رئيسا على طلبة البرنامج في جورج تاون، واستدعيت لإلقاء كلمة أمام لجنة حقوق الإنسان في الكونغرس، كما نظمت المؤسسة لها مقابلة مع وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلنتون.

وعمدت (MEPI) إلى اعداد برنامج زيارة حافلة لكل من نبيل رجب وعبد الجليل السنكيس، وحظيت شباب البحرين لحقوق الإنسان التي يترأسها محمد المسقطي (زوج مريم الخواجة) بدعم من البرنامج، الذي أمّن للمسقطي تغطية إعلامية غير مسبوقة خلال الأحداث.

في هذه الأثناء نظم المعهد الوطني الديمقراطي (NDI) بالتعاون مع المنظمة الأمريكية الأمريكية للسلام (USIP) ملة عدائية غير مبررة ضد البحرين، تضمنت عقد مجموعة لقاءات متلفزة عبر الإنترنت مع معارضين قاموا بمهاجمة الحكم في البحرين، وشارك في هذه الحملة أعضاء من: جمعية الوفاء، وجمعية وعد، وجمعية البحرين لحقوق الإنسان، والاتحاد البحريني لنقابات العمال، وجمعية شباب البحرين لحقوق الإنسان.

وفي تعليق على النشاط الذي قام به كل من (MEPI) و(NDI) و(IRI) ضد الحكم في البحرين؛ كتب رون نيكسون مقالاً في صحيفة نيويورك تايمز أشار فيه إلى أن الثورة التي وقعت في البحرين كانت من فعل مجموعات ممولة ومنظمة من قبل برامج دعم الديمقراطية الأمريكية، وأكد نيكسون حصول هذه المجموعات على مبالغ وتدريب من قبل الإدارة الأمريكية بهدف شن الحملات، ومخاطبة الرأي العام، والتعامل مع وسائل الإعلام، ومراقبة الانتخابات، وعلى رأس هؤلاء كوادر مركز البحرين لحقوق الإنسان.

وقد ظهر في هذه الأحداث مجموعة من أقطاب هذه البرامج، وعلى رأسهم ليسلي كامبل، الذي كان يترأس برنامج (NDI). ثم انضم إلى فريق (IRI) وقد أكد كامبل أن المعهد قد: «ساعد أكبر مجموعة معارضة في البحرين على تنظيم نشاطها السياسي»، وإجابة على التساؤل حول كيفية الاجتماع مع قادة هذه الجمعية والتنسيق معهم، أجاب كامبل: «لدينا برامج مشتركة معهم، وتترسخ هذه العلاقة من خلال تقديم الدورات التدريبية لهم».

## حركة التشيع السياسي وتقاطعات الدعم الإيراني – الغربي

ويمكن تتبع تقاطعات الدعم والتمويل الإيراني – الغربي لهذه الجماعات من خلال جهود تعزيز الشبكة الشيرازية في المجال الحقوق والتي أنشأت عدة خلايا لهذه الشبكة في تسعينيات القرن الماضي؛ حين قررت «الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين» نشر كوادرها في الغرب، ونجحت في تأسيس قواعد ارتكاز لها في الدنمارك (الذي استقر بها الخواجة وأسس فيها «المنظمة البحرينية لحقوق الإنسان» عام ١٩٩٢) وكذلك في: السويد، وبلجيكا، وبريطانيا، وإسبانيا، والولايات المتحدة الأمريكية التي قدم إليها رجل الدين الشيرازي السيد حسن القزويني عام ١٩٩٣، ونشط في «المركز الإسلامي» بمسجد ديترويت في ولاية ميتشيغن، والذي يمثل أهمية للشيعة في أمريكا بسبب وجود أعداد كبيرة من الشيعة اللبنانيين في تلك المدينة، وقد أعيد بناء المسجد عام ٢٠٠٥ ليصبح أكبر مسجد في الولايات المتحدة بتكلفة قدرها ١٥ مليون دولار.

وعلى إثر إعلان المبادرة الإصلاحية في البحرين؛ قام أعضاء الحركة «الرسالية» بتأسيس «مركز البحرين لحقوق الإنسان» الذي أشهر بالبحرين في يونيو ٢٠٠٢، وكان من أبرز المساهمين في تأسيسه إضافة إلى عبد الهادي الخواجة: رئيس جمعية «الرسالة» الشيرازية جعفر العلوي الذي تولى مهمة تأسيس «اللجنة الوطنية للشهداء وضحايا التعذيب في البحرين»، والرئيس الحالي لجمعية «خلاص» عبد الرؤوف الشايب الذي تولى رئاسة اللجنة التابعة للمركز مدة ثلاث سنوات.

واهتم المركز بتدريب عشرات الناشطين من كوادر الحركة الرسالية، وربطهم بشبكات الحركة في الغرب، واستغل عبد الهادي الخواجة عضويته في مختلف الجهات الحقوقية بالغرب لضم خلايا الحركة الرسالية إلى هذه المنظمات، مستفيداً من الفرص التي توفرت له، وبالأخص منها تكليفه من قبل برنامج (Equitas) الكندي لتعليم حقوق الإنسان بتأسيس شبكة إقليمية لمعلمي حقوق الإنسان عام ٢٠٠٤، وكذلك من خلال عمله في تدريب كوادر حقوقية في البحرين والخليج العربي عامي: ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ لصالح منظمة

Frontline. وعلى الصعيد نفسه نشط برنامج Middle East Partership Initiative بالبحرين في مجال تدريب عناصر شابة من الجيل الجديد، عبر دورات تناولت: «التأثير على الرأي العام من خلال الرسائل المصورة»، و«تدريب الصحفيين والمدونين على تحسين حقوق الإنسان وحمايتها»، ومن أبرز الذين استفادوا من هذه البرامج مريم عبد الهادي الخواجة، وزوجها محمد عبد النبي المسقطي، ومجموعة من الصحفيين والمدونين والنقابيين.

كما أشرف الوقف القومي للديمقراطية National Endowment for Democracy على تقديم الدعم المالية للمنظمات البحرينية المعارضة في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن أبرز المعارضين الذين يتمتعون بدعم هذه المؤسسة: المعارض البحريني حسين عبد الله من خلال مركزه: (Americans for Democracy and Human Rights in Bahrain) الذي يحظى بتمويل NED، وقد كرمته هذه المؤسسة عام ٢٠١١ تقديراً لجهوده في دعم الديمقراطية في العالم العربي.

وكان حسين عبد الله قد قدم إلى الولايات المتحدة لدراسة البكالوريوس ثم الماجستير في العلوم السياسية، وعمل بعد ذلك متدرب في الكونغرس الأمريكي، واستغل عمله لتكوين علاقات مع أعضاء لجنة حقوق الإنسان في الكونغرس الأمريكي، واستغل عمله لتكوين علاقات مع أعضاء لجنة حقوق الإنسان في الكونغرس الأمريكي Congressional Human Rights Commission، وعلى رأسهم: السيد James MCGovern، والسيدة Donna Edwards، اللذين يدعماه في الدوائر الرسمية، ولديهما علاقة وثيقة بلجنة حقوق الإنسان في البرلمان البريطاني والتي كان يترأسه Lord Averbury، حيث عقدوا فعاليات مشتركة في الفترة ٢٠٠٨-٢٠١٠، ضمت عبد الهادي خلف، وحسن مشيمع، ونبيل رجب، وعبد الجليل السنكيس، ومريم الخواجة.

وبالإضافة إلى علاقاته مع شخصيات أمريكية متعاطفة مع اللوبي الإيراني في واشنطن؛ تمتع حسين عبد الله بصلات ويقة مع زعماء التيار الشيرازي، وكذلك مع قناتي: «العالم»، و«المنار» حيث يعد همزة الوصل بين الشخصيات المعارضة في الداخل والنشاط المعارض في الخارج، ويمارس مهمة لتواصل وتبادل المعلومات مع كل من: منظمة العفو الدولية، وهيومن رايتس ووتش، ومنظمة أطباء بلا حدود، والبرلمان الأوروبي، ومنظمة صحفيين بلا حدود.

جدير بالذكر أن حسين عبد الله يمثل نموذجاً لتغلغل كوادر التيار الشيرازي المعارض في النشاط الحقوقي بالولايات المتحدة الأمريكية، وكان أغلب عناصر هذا التيار قد قدموا إلى الولايات المتحدة الأمريكية كطلبة، وحصلوا على بعثات دراسية وتمويل من صناديق ومؤسسات شيعية، كما لعبت بعض المؤسسات الأمريكية دوراً في ابتعاث عدد من الطلبة مثل منحة Fulbrigth، وغيرها من البعثات التي تقدمها مؤسسات دعم الديمقراطية.

وقد شكلت هذه المجموعات مؤخراً: «اللجنة البحرينية للتنسيق» (Bahrain Coordinating Committee) والتي تضم سبع منظمات حقوقية معارضة تهدف إلى توحيد جهود اللوبي وتشكل نشاطا ضاغطا في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي:

Americans for Democracy and Human Rights in Bahrain, Bahrain Watch, Bahrain Witness, Bahrain Human Rights Society, Bahrain Centre for Human Rights, Bahrain Youth Society for Human Rights, Bahrain Forum for Human Rigths.

وقد حظيت هذه اللجنة لدعم وتأييد عشرات منظمات حقوقية غربية وعربية، كما انبرت مجموعة من المنظمات الحقوقية والقنوات الفضائية العراقية للتسويق لهذه اللجنة وإجراء المقابلات مع القائمين عليها، وخاصة في حملاتهم للمطالبة بالإفراج عن عبد الهادي الخواجة، والفعاليات التي يتم تنظيمها للإفراج عن نبيل رجب، إضافة إلى دعوة الإدارة الأمريكية للضغط على حكومة البحرين بهدف الإفراج عن المتورطين في الأحداث الأخيرة.

وتثور فضائح التمويل الإيراني لبعض الشخصيات العلمية بين الفينة والأخرى، فقد تزامن نشر كتاب «بعد الشيوخ: الانهيار القادم للأنظمة الملكية في الخليج» لمؤلفه كريستوف ديفيدسون من جامعة درم البريطانية مع قيام صحيفة «غارديان» بنشر مقال (١٠ فبراير ٢٠١١) تحدثت فيه عن تلقي جامعة درم مبالغ طائلة من الإدارة الأمريكية لإجراء دراسات وعقد فعاليات حول إيران، حيث قامت الجامعة بالتواصل المباشر مع شخصيات دينية متشددة ودعت مسؤولين إيرانيين للمشاركة في هذه الفعاليات.

وبالإضافة إلى التمويل الأمريكي؛ أقر كريستوفر ديفيدسون بأن الجامعة قد تلقت أموالا من الحرس الثوري الإيراني، وكذلك من السفارة الإيرانية وذلك بهدف: «عقد فعاليات تهدف إلى تقريب وجهات النظر بين الغرب ومختلف مؤسسات الحكم في إيران».

وذكرت الصحيفة أمثلة عن مبالغ حصلت عليها الجامعة من الإدارة الأمريكية ومن الحكومة الإيرانية على حد سواء، ومن جملة ذلك مبلغ خمسة آلاف جنيه إسترليني سلمته الحكومة الإيرانية إلى الجامعة لعقد ندوة عام ٢٠١٠.

وأشارت الصحيفة إلى أنه على الرغم من ادعاء ديفيدسون أن هذه البرامج تهدف إلى تعزيز الديمقراطية وتشجيع الحكومة الإيرانية إلى دعم الحريات العامة واحترام حقوق الإنسان؛ إلا أن ديفيدسون في الواقع لا ينتقد الحكم في إيران على الإطلاق، بل يقوم (مع مجموعة من طلابه) بشن حملات إعلامية ضد دول الخليج العربية والبحرين بصفة خاصة، ويبشر في الإعلام الغربي بقرب «سقوط الأنظمة الخليجية»، حيث تحدث في برنامج «سكاي نيوز»، في فبراير ٢٠١٢، عن فرص «السقوط الاقتصادي» لإمارة أبو ظبي بعد الأزمة التي مرت بها دبي.

ورأت الصحيفة أن الدافع الحقيقي لموقف ديفيدسون السلبي من دولة الإمارات العربية المتحدة هو غضبه من مشاركتها في قوات ردع الجزيرة التي دخلت البحرين عام ٢٠١١، كما يقوم عدد من طلاب ديفيدسون بالمساهمة في حملات المعارضة الشيعية ضد الرياض والمنامة ويعملون مع أقطاب المعارضة المتطرفة في بريطانيا وعلى رأسهم سعيد الشهابي وابنته آلاء، حيث يعمل تلميذه «مارك أوين جونز» (Marc Owen Jones) مع آلاء الشهابي في موقع «مراقب البحرين» Bahrain Watch ويشاركهم في إدارة الموقع أمريكي من أصل غيراني وباحثين أمريكيين وباحثين أمريكيين يعملون جميعاً ضمن دائرة اللوبي الإيراني في واشنطن.

كما ينشط عدد من الأكاديميين البريطانيين في لندن ضمن هذه الدائرة من خلال عقد فعاليات في جامعاتهم، ويستفيدون من عضوياتهم في مراكز بحثية بريطانية مرموقة لنشر مادة إعلامية ضد دول الخليج العربي والبحرين بصفة خاصة، ومن ضمن هؤلاء الباحثين «كريستيان أولريكسون» (Kristian Ulrichsen) الذي لم يسمح له بدخول دولة الإمارات العربية المتحدة في ٢٣ فبراير ٢٠١٣ للمشاركة في مؤتمر تنظمه كلية لندن للدراسات الاقتصادية London School of Economics بجامعة لندن بالتعاون مع الجامعة الأمريكية في الشارقة حول التحولات في الشرق الأوسط، حيث يشترك أولريكسون مع ديفيدسون في تهجمه بعلاقات مشبوهة مع الشهابي، إذ إنه يعتبر أحد أبرز المشاركين في الفعاليات التي تنظمها المعارضة الخليجية المقربة من إيران في العاصمة البريطانية لندن.

جدير بالذكر أن الشبهات تحوم هذه الكلية منذ فترة، ففي نهاية التسعينيات تحدثت الصحافة البريطانية حول تغلغل عناصر إرهابية متشددة فيها، وفي الفترة التالية أظهرت فضيحة منح سيف الإسلام القذافي في شهادة الدكتوراه نظير التمويل السخي الذي حصلت عليه من والده معمر القذافي.

وقد أصدر كبير القضاة في بريطانيا اللورد وولف تقريراً في نوفمبر ٢٠١١ أكد فيه إدارة كلية لندن للدراسات الاقتصادية (LSE) بجامعة لندن قد: «ارتكبت أخطاء ووقعت في تجاوزات أساءت كثيرا إلى سمعتها».

## بيان ببغي عصابة جند الأقصى الخارجية ومساندة جبهة فتح الشام لهم

**مجلس شورى أهل العلم في الشام**
**بيان المجلس رقم: ٥٧**

بسم الله الرحمن الرحيم

**الحمد لله رب العالمين القائل:** ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ [البقرة: ٢٧ ].

**والقائل:** ﴿والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمره الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الداء﴾ [الرعد: ٢٥].

**والقائل:** ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون في كل مرة وهم لا يتقون، فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون، وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين﴾ [الأنفال: ٥٨].

**والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين القائل:** «ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه» رواه مسلم.

**والقائل:** «من ضيق منزلا أو قطع طريقا فلا جهاد له» حديث حسن رواه أبو داود في سننه وأحمد في مسنده... أما بعد: **فإن الفصائل الثورية والجهادية في سورية،** التي وقفت في وجه عصابة النظام النصيري وأشياعهم، تتعرض الآن لامتحان صعب، وعقبة كؤود في المناطق المحررة، أمام شدة هجمات الطائرات الروسية والنصيرية، والحشد المجوسي، وأذنابهم من الخوارج كلاب أهل النار من عصابة ما يسمى (جند الأقصى).

**لقد كشرت عصابة جند الأقصى الخارجية الباغية،** منذ أشهر عن أنيابها، ومن قبلها أمها داعش، ضد الفصائل المقاتلة، وارتكبت بحقهم مختلف أنواع الجرائم والفساد، من القتل والاغتيال والسطو المسلح على العتاد والأموال المعصومة، وباتت جرائمها مكشوفة للقاصي والداني، ولم تعد تخفى على أحد.

**وإن حماية جبهة فتح الشام لهؤلاء الأشرار المرة بعد الأخرى**، والحيلولة دون اجتثاثهم، ومنع القصاص من كبراء مجرميهم، لهو أمر يستحق الوقوف عنده، وبيان مخالفته للمنقول والمعقول.

**فإن الفصائل جميعا قد اكتوت بنار هذه العصابة الداعشية الخارجية**، حتى جبهة فتح الشام، وبات محتما على الجميع تخليص الساحة من شرورهم، وملاحقتهم في كل ناحية، وقتلهم قتل عاد، وقد صدر من مجلس شورى أهل العلم قبل أشهر فتوى مطولة، ببيان شرهم وغدرهم بالمسلمين، ووجوب الأخذ على أيديهم، وقتلهم واجتثاثهم (وذلك برقم ٥١، وتاريخ ٦ محرم ١٤٣٨هـ) فحالت دون ذلك فتح الشام عند قبولها ببيعتهم...

**والآن أعادوا تجميع فلولهم**، باسم فتح الشام، وتحت رايتها، وقاموا بضرب أحرار الشام في جبل الزاوية بقرية إبلين وغيرها من جديد.

**لذا فإننا في مجلس شورى أهل العلم نبين ما يلي:**

١- تجميل جبهة فتح الشام المسؤولية لقبولهم بيعة هؤلاء الخوارج الأشرار، ونرى وجوب وقوفها مع الفصائل في جهادهم ضد هذه الشرذمة المارقة.

٢- حماية جبهة فتح الشام لهؤلاء المجرمين، والحيلولة دون القصاص منهم، ثلمة كبيرة في سجل فتح الشام الجهادي.

٣- على جبهة فتح الشام أن تعلن البراءة منهم ديانة، وتترك حمايتهم والدفاع عنهم، ولا يحسن بها الدفاع عنهم أبدا، حتى لا يضيع جهادها، ولا تزرع فتنة صماء في قتال الفصائل المجاهدة، فتبوء بإثم ما يسفك من الدماء المحرمة، ويسلب من الأموال المعصومة، فيتسلط العدو على ما تبقى من المحرر، قال عليه الصلاة والسلام: «لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثا، ولعن الله من غير منار الأرض» رواه مسلم.

٤- إن جبهة فتح الشام قطعت على نفسها منع عصابة جند الأقصى عند مبايعتهم لها من بغيهم وعدوانهم، وأوهمت الفصائل بقدرتها على ضبطهم، والأخذ على أيديهم، فرضيت الفصائل حفظا للساحة، ومنعا للفوضى، التي تضعف الفصائل، وتقوي الأعداء، لكنها لم توف بهذا العهد أبدا، وهذا فيه نكث للعهد، فتطالبها بالوفاء بعهدها، أو رفع حمايتها لجند الأقصى...

٥- إن ساندت جبهة فتح الشام عصابة جند الأقصى، فهي تدخل نفسها ومن معها من الجنود تحت حكم الله تعالى: بالبغي على الفصائل المجاهدة الأخرى، ونقض العهود والمواثيق، وإيواء المحدثين في الأرض، لأجل شرذمة مارقة ليس لها دواء إلا القتل، وترتهن لفتاوى عابرة للحدود في تكفير فصائل الساحة عدوانا وظلما.

٦- إن الأحداث الأخيرة في جبل الزاوية، كشفت لنا تلبيس فتح الشام على الفصائل، وأنها عاجزة عن ضبطهم، والأخذ على أيديهم، وباتت الشكوك تراود الجميع أن فتح الشام ما هي إلا ركن خفي في دعم هذه العصابة المجرمة، وعدوانها على الفصائل، فتطلب منهم إصدار بيان رسمي في هذا، وإلا فإن سكوتهم على عدوان جند الأقصى على الفصائل، وعدم منعهم من ذلك، والتظاهر بموقف المستقل، عند رد الفصائل لهذا البغي، لهو قرينة دالة على مشاركة فتح الشام لهم في هذا البغي والعدوان، وإن لم يصرحوا بذلك، فإن لسان الحال أقوى من لسان المقال.

٧- من حق الفصائل المجاهدة الدفاع عن نفسها، ورد بغي وصيال جند الأقصى، ومن يقف خلفهم سواء كانت جبهة فتح الشام أو غيرها، فهذا حق مشروع كفلته الشريعة الإسلامية، بل واجب لا يحل تركه أبدا.

٨- إذا ثبت أن جبهة فتح الشام هي المحركة لعصابة جند الأقصى في اعتدائها الأخير في جبل الزاوية على الفصائل، فإننا في مجلس شورى أهل العلم ندعو جميع جنود وقادة فتح الشام للانشقاق عنها، وتركها، والالتحاق بالفصائل الأخرى، فلا يحل البقاء معهم، ولا تكثير سوادهم، ولا القتال معهم.

**وإن هذا البيان يشمل كل من يحمل فكر الجند وقد تبنى منهجهم**، وفعل فعلهم، فحكمه حكمهم بأي اسم تسمى فردا كان أو جماعة أو فصيلا.

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**مجلس شورى أهل العلم في الشام**

**الأحد: ٢٤ ربيع الثاني لعام ١٤٣٨ هـ - الموافق: ٢٢ / كانون الثاني/ ٢٠١٧**

## التهجير القسري في سوريا
## السياسات، الأدوات والتبعات

د. ياسر سعد الدين – مركز أمية للبحوث ٢٠١٧/١/٢٠

### التهجير القسري – تعريف وتوصيف

التهجير القسري هو سلوك وممارسة تنفذها قوى حكومية أو شبه عسكرية أو مجموعات متعصبة تجاه مجموعات عرقية أو دينية أو مذهبية، بهدف إخلاء مدن وقرى وأقاليم لإحلال مجاميع ومجموعات سكانية مختلفة عرقيا أو مذهبيا أو طائفيا بديلا عنها، ليصار إلى تغيير سكاني – ديمغرافي.

التهجير القسري يعرّفه القانون الدولي الإنساني بأنه «الإخلاء القسري وغير القانوني لمجموعة من الأفراد والسكان من الأرض التي يقيمون عليها»، وهو ممارسة مرتبطة بالتطهير وإجراء تقوم به الحكومات أو المجموعات المتعصبة تجاه مجموعة عرقية أو دينية معينة، وأحيانا ضد مجموعات عديدة بهدف إخلاء أراضٍ معينة لنخبة بديلة أو فئة معينة، وتعتبر المواد (٢)، (٧)، (٨) من نظام روما الأساسي، التهجير القسري جريمة حرب.

عمليات التهجير القسري، تُعدّ وفق المادة (٤٩) من اتفاقيات جنيف الأربع، المؤرخة في ١٢ أغسطس ١٩٤٩، والبروتوكولان الملحقان بها لعام ١٩٧٧، جرائم حرب دامغة. وتشكل عمليات التهجير القسري انتهاكًا فاضحًا «لاتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية» التي أقرتها الأمم المتحدة عام ١٩٤٨، والتي تعدّ - في مادتها الثانية- أن كل ما يؤدي إلى التدمير الكلي أو الجزئي لجماعة قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية، بمنزلة إبادة جماعية.

### تغيير البنية الاجتماعية في سوريا ما بين التشيع والتهجير

بعد الهيمنة الإيرانية على العراق إثر الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣، اندفع الإيرانيون باتجاه تشكيل مشروع الهلال الشيعي، لتكون العراق وسوريا ولبنان مناطق نفوذ للسياسة الإيرانية وتابعة لها وتدور في فلكها. النفوذ الإيراني في لبنان من خلال حزب الله كان وما زال جليا وصارخا، من هنا عمد الإيرانيون وخصوصا في مرحلة حكم بشار الأسد إلى محاولات للهيمنة على سوريا من خلال تغيير البنية الاجتماعية المذهبية لها عن طريق نشر التشيع في صفوف أبنائها. وقد رصد معارضون وسياسيون نشاطا إيرانيا محموما في هذا الإطار (ما بين عامي ٢٠٠٦- ٢٠٠٧) وصدرت عن «جبهة الخلاص الوطني» المعارضة بقيادة عبد الحليم خدام نائب الرئيس الأسبق بيانات تحذر من خطر التشيع على البنية الاجتماعية والديموغرافية السورية.

تعددت أدوات التشيع وأساليبه في سوريا منها على سبيل المثال: إنشاء عدد كبير جدا من المزارات الشيعيّة في أنحاء مختلفة من البلاد، الإغراءات الماليّة والاقتصاديّة والتعليمية للفقراء، الإعلام الموجه، ونفوذ حزب الله السياسي والعسكري خاصّة بعد حرب لبنان عام ٢٠٠٦، ونشوء الحلف الثلاثي (حزب الله –الأسد –إيران) والذي دفع بعمليات التشيّع والنفوذ الإيراني ليصل إلى أوجه في سوريا.

وكمثال للتغلغل الشيعي فقد أنشئ في منطقة السيدة زينب وحدها أكثر من ١٢٢ حوزة شيعية وثلاثة كليات للتعليم الديني الشيعي، ما بين العام ٢٠٠١ و٢٠٠٦، كما حصلت أول جامعة إسلامية شيعية على ترخيص أمني للعمل في سوريا في عام ٢٠٠٣. وقد كانت عملية التشيع صارخة وفاقعة الأمر الذي حدا بأكثر من ٢٠٠ من كبار علماء الشام وسوريا لإصدار بيانا في تموز٢٠٠٦، موجّها بشكل مباشر وخاص إلى بشّار الأسد، يعبرون فيه عن غضبهم وحنقهم من المد الشيعي الحاصل في البلاد مع إشارات واضحة إلى أنّه يتم برعاية رسمية وبخلاف كل القوانين المعمول بها في البلاد بما في ذلك القوانين والقرارات الحكوميّة والرسميّة والتي تسري حتى على الشأن السنيّ (مجلة المجلة ١٨- ٨- ٢٠١٦، علي حسين باكيير).

وقد صدرت دراسات وكتب عديدة ترصد نشاطات التشيع في سوريا في تلك الفترة وتوثقه منها دراسة نشرت عام ٢٠٠٩ للبروفيسور خالد سنداوي، وهو متخصص في الدراسات الشيعيّة بعنوان «التحوّل الشيعي في سوريا»، ودراسة للمعهد الدولي للدراسات السوريّة في فترة متقاربة بعنوان «البعث الشيعي في سوريا ١٩١٩- ٢٠٠٧».

وفي مرحلة ما بعد اندلاع الثورة السورية ووقوف إيران وحزب الله وميلشيات شيعية عسكريا مع نظام الأسد، تبدلت استراتيجية التشيع والتي تحتاج إلى وقت وجهود لتحل محلها عمليات متسارعة من التهجير القسري والتغيير الديموغرافي. ولم تكن سوريا استثناء فقد سبقتها وما تزال تسابقها عمليات تهجير وتغيير ديموغرافي في العراق تستهدف العرب السنة تحديدا وبشكل واضح وفاضح.

### رأس النظام والتهجير القسري

صدرت عن بشار الأسد مواقف وتصريحات مباشرة وغير مباشرة تتناول مسألة التهجير القسري والتغير السكاني، منها: في كلمة مطولة إلى رجال دين تابعين لنظامه خلال لقاء جمعه بهم في نيسان ٢٠١٤، قال بشار الأسد أنه يوجد عشرات الآلاف من الإرهابيين السوريين (الثوار) وأن خلفهم حاضنة

اجتماعية تقدر بملايين السوريين معتبرا أن ذلك يعني أن البلاد أمام حالة فشل أخلاقي واجتماعي.

خلال كلمة ألقاها الأسد ٢٠١٥/٧/٢٦ أمام وفود رسمية ونقابية، قال إن «الوطن ليس لمن يسكن فيه أو يحمل جنسيته وجواز سفره، بل لمن يدافع عنه ويحميه»، مشيداً بدعم إيران العسكري والاقتصادي والسياسي والمشاركة الفعلية لحزب الله بالقول «إخوتنا الأوفياء بالمقاومة اللبنانية امتزجت دماؤهم بدماء إخوانهم في الجيش وكان لهم دورهم المهم وأداؤهم الفعال والنوعي».

بعيد إتمام عملية التهجير القسري في داريا وعقب أداءه صلاة عيد الأضحى يوم ٢٠١٦/٩/١٢ في المدينة الخاوية على عروشها والمفرغة تماما من أهلها وأبنائها، رد الأسد على سؤال مندوب وكالة سانا عما يتردد عن قضية التغير السكاني في داريا وأمثالها بقوله إن التغيير الديمغرافي يتغير عبر الأجيال لافتا إلى أن ذلك يستند إلى مصالح المواطنين في تلك المناطق. وقال الأسد: عمليا سوريا كأي بلد متنوع، الحالة الديمغرافية تتبدل عبر الأجيال بسبب مصالح الناس الاقتصادية، والحالة الاجتماعية والظروف السياسية تتنوع لذلك لا تستطيع أن ترى مدينة كبرى ولا صغرى طبعا لا أتحدث عن الريف فالقرى وضع مختلف لكن المدن دائما تكون متنوعة وخاصة داريا والمدن التي تكون قريبة من المدن الكبرى كدمشق وحلب فهي مدن متنوعة لا يمكن أن تكون من لون واحد وشكل واحد.

في لقائه مع صحفيين أجانب في ٢٠١٦/١١/١ منهم مديرة مكتب نيويورك تايمز في بيروت آن برنارد قال الأسد: النسيج الاجتماعي في سوريا هو اليوم أفضل بكثير من ذي قبل.

## أساليب ووسائل التهجير القسري والتغيير الديموغرافي

إعادة التنظيم العمراني وإطلاق مشاريع كبرى: بدأت هذه المشاريع فيما مرحلة ما قبل اندلاع الثورة السورية وكانت البداية بمشروع «حلم حمص» بإشراف محمد اياد غزال محافظ حمص السابق والمقرب من الأسد عام ٢٠١٠ وكان المشروع أحد أسباب الاحتقان في حمص والتي أدت لتأجج الاحتجاجات الشعبية. كان المخطط يرمي لتهديم حمص القديمة وبناء مراكز تجارية بقلب المدينة التاريخي وإنشاء أبراج سكنية لمضاعفة الاستيعاب السكاني من مليون إلى ثلاثة ملايين لتغيير التركيبة الديمغرافية لأحياء حمص بجلب سكان من الريف والقرى واسكانهم بالمدينة. تكرر المشهد والمخطط في محيط دمشق وتحديدا في بساتين المزة من خلال المرسوم التشريعي رقم /٦٦/ بتاريخ ٢٠١٢/٩/١٨ والقاضي بإحداث منطقتين تنظيميتين في مدينة دمشق الأولى في منطقة جنوب شرق المزة من منطقتين عقاريتين، الأولى مزة – كفرسوسة والثانية جنوب المتحلق الجنوبي وتضم المناطق العقارية مزة – كفرسوسة – قنوات - بساتين داريا – القدم. تدخل إيران بشكل سافر في موضوع تلك المناطق وإعلانها عزمها على بناء مشروع أبراج سكنية تدعى الأبراج الإيرانية كون تلك المنطقة ملاصقة للسفارة الإيرانية بشكل مباشر، يدخل ضمن إطار المحاولات المحمومة للتغيير الديموغرافي في المنطقة.

شراء العقارات: قام تجار ومقاولون إيرانيين بشراء عقارات وأراض سكنية في مدن السورية بتشجيع ودعم من الحكومة الإيرانية وبتعاون من نظام الأسد. وجندت إيران شبكة من العملاء في المخابرات والأمن ومن تجار العقارات ومجموعات السماسرة وأصحاب المكاتب العقارية في سوريا، عبر ضخها ملايين الدولارات في محاولات محمومة منها لشراء عقارات وأملاك السوريين المنهكين من الحرب والراغبين بالفرار من الموت، لصالح أفرادها وعناصرها في كل منطقة حيوية (الشرق الأوسط ٢٦- ٣- ٢٠١٦). في نفس السياق نشر موقع السورية نت تقريرا ٢٨- ٧- ٢٠١٥ وردت فيه شهادة لاحد سكان دمشق قال فيها أن تجار يتبعون لإيران اشتروا منازل في قلب دمشق بمبالغ كبيرة، وأنه «قد باع منزله في حي المزرعة بـ ٤٠ مليون ليرة لرجل أعمال خليجي، تبين فيما بعد أنه يعمل لصالح شركات إيرانية تعمل على السيطرة على أكبر قدر ممكن من المنازل في دمشق». ويضيف الدمشقي في شهادته «بعتُ منزلي وسافرت إلى تركيا متيقناً أني لن أعود إلى هذه المدينة يوماً لأني لم أكن الأول ممن باعوا بيوتهم لإيرانيين فهناك الكثير من الأمثلة لأشخاص باعوا بيوتهم في العدوي والمزرعة وشارع بغداد».

اقتراف المجازر ونشر الرعب في صفوف المدنيين: اقترفت قوات الأسد العديد من المجازر بحق المدنيين إضافة لإعمال الاعتقال والتعذيب الوحشي والذي كان النظام بتقديري يسرب متعمدا أفلام وصور لها لبث الرعب والخوف في قلوب السكان ودفعهم للنزوح والهروب. ومن أبرز هذه المجازر والتي شكلت علامات فارقة في تتابع الأحداث وما آلت إليه (ساسة بوست ٢٦- ١- ٢٠١٦):

مجزرة الحولة: وقعت يوم ٢٥ مايو ٢٠١٢م في قرية الحولة بريف حمص، ضحاياها ١٠٨ قتيل بينهم ٣٤ امرأة و٤٩ طفلاً. اقتحمت قوات الأمن والشبيحة القرية تحت غطاء من قذائف الدبابات حيث قام الشبيحة باقتحام البيوت وذبح من فيها.

مجزرة القبير: وقعت يوم ٦ يونيو ٢٠١٢م في قرية القبير قرب مدينة حماة، ضحاياها ١٠٠ قتيل بينهم ٢٠ طفلاً و٢٠

امـرأة. اقتحمـت قـوات الأمـن والـشبيحة القريـة وقتلـت مـن سكانها تحت وابل من قصف صاروخي لجيش النظام.

مجزرة داريا: وقعت مـا بـين ٢٠ – ٢٥ أغسطس ٢٠١٢م في مدينة داريا بريف دمشق، ضحاياها مـا بـين ٤٠٠ – ٥٠٠ قتيـل. قامت قوات النظام بشن قصف مدفعي عنيف على المدينة مما أوقـع عـدداً مـن القتلـى. اضـطر الـسكان علـى وقـع القـصف العنيف للهرب منه باتجاه مسجد سليمان الديراني لكـن قوات النظـام حاصـرت المـسجد وقامـت بتـصفية الـسكان داخلـه، كما أوقعت العديد من عمليات الإعدام الجماعية.

مجزرة نهر حلب: وقعت في الفترة بين ٢٩ ينـاير و١٤ مـارس ٢٠١٣م في حـوض نهـر حلـب. في نهايـة شـهر ينـاير ٢٠١٣م تم العثور على مـا يقـارب ١١٠ جثة لرجـال وصبية تم تقييد أيـديهم من الخلف وتكميم أفواههم بشريط لاصق مع وجود عمليات تعـذيب واضـحة وآثـار طلقـات ناريـة في الـرأس. تقريـر لمنظمـة هيومان رايتس ووتش أشار إلى أن هؤلاء القتلى لم ينخرطوا مع قوات المعارضة، وأنهم مجرد سكان في المدينة تم إلقاء القبض عليهم خلال نقاط التفتيش الخاصة بجيش النظام السوري. وفي الفترة بين فبراير ومنتصف شهر مارس تم العثور على ما بين ٨٠ إلى ١٢٠ جثة إضافية بنفس الوصـف الـسابق حيث كـان يـتم العثور على عدة جثث بشكل شبه يومي.

مجزرة البيضاء: وقعت في يومي ٢ و٣ مـايو ٢٠١٣م في قرية البيضاء بمحافظة طرطوس. ضحاياها أكثر من ٧٢ قتيلاً. فقد قتلت قوات الجيش والشبيحة المرافقة عددا كبيرا من المدنيين في القرية بعد اقتحامها للقرية أعقاب حدوث اشتباكات بـين الجيش والمعارضة قرب البيضاء.

مجـزرة جديـدة الفضل: اقترفت بـين يـومي ١٦ – ٢١ أبريـل ٢٠١٣م في منطقـة جديـدة الفـضل في ريـف دمـشق، ضـحاياها أكثر من ٥٠٠ قتيل. فبعد حصار محكم، قامت قوات النظام السوري بعمليات قصف صاروخي وعمليات إعدام ميدانية بحق سـكان المنطقـة، بالإضـافة لعمليات مداهمـة للسكان خـلال محاولة دفن جثث ذويهم. بعيد ذلك تم العثور على مئات الجثث بينهـا العـشرات لأطفـال ونـساء في صـورة هياكـل عظميـة محروقة.

مجـزرة الغوطـة–الكيمـاوي- : وقعـت يـوم ٢١ أغـسطس ٢٠١٣م في الغوطـة شـرق دمـشق. تمـت المجـزرة باسـتخدام الأسلحة الكيماوية المحظورة دوليا، حيث راح ضحيتها المئات من سكان المنطقة نتيجة استنشاقهم لغاز الأعصاب القاتل بعد قيام قوات اللواء ١٥٥ المتمركز بمنطقة القلمون بإطلاق ١٦ صاروخاً بدءاً من الساعة الثانية والنصف فجراً باتجاه منطقة الغوطـة الـشرقية، ثـم أطلقـت صـواريخ أخـرى باتجـاه مدينـة زملكـا وبلـدة عـين ترمـا ومدينـة المعـضمية بمنطقـة الغوطـة الغربي.

العبـث بالـسجلات العقاريـة والـشؤون المدنيـة: تم حـرق الـسجلات والعقارية والمدنية لطمـس حقـوق الأهـالي (الـسنة غالبا) للعقارات، واستبدالها بملكيات للشيعة والعلويين كما فعل النظام في حمص ٢٠١٣- وميلشيات الحماية الكردية لصالح الأكراد في منبج ٢٠١٦ (دراسة عن التهجير القسري – مركز جسور – سبتمبر ٢٠١٦). في نفس السياق، نقل تقرير لمارتان شيلوف في الجارديان البريطانية (١٤- ١- ٢٠١٧) عن مـسؤولين كبـار في لبنـان يراقبـون مـا يعتقـدون بأنـه إحـراق منهجـي لمكاتـب الـسجل العقـاري في المنـاطق الـسورية الـتي استعاد النظام السيطرة عليها، فعدم وجود سجلات يجعل من الصعب بالنسبة للمقيمين إثبات ملكية المنزل. والمكاتب التي تم تأكيد حرقها هي في الزبداني، وداريا، وحمص والقصير على الحدود اللبنانية، التي استولى عليها حزب الله في أوائل عام ٢٠١٣.

كما قامت إيران بالتعاون مع أجهزة النظام بتزوير بيانات وقيـود الـسجلات العقاريـة وتزويـر وكـالات ووثـائق الكتّـاب بالعـدل وغيرهـا ممـا يتعلـق بنقـل الملكيـات العقاريـة، ومـن ثـم نقلت الملكيات، إما مباشـرة عـن طريق دوائـر السجل العقاري في المنـاطق، أو عـن طريـق اسـتصدار أحكـام قـضائية لـدى المحاكم المدنية. كما عمدت إيران من خلال نظام الأسد إلى تجنـيس لشخـصيات مـن مكونـات غـير سـورية جلبـتهم مـن الخارج وطلبت من النظام تجنيسهم مقابل الدفاع عنه، فهناك مجموعـة كـبيرة تقـدرا بـالآلاف مـن الشخـصيات والعناصـر والميليشيات تم تجنيسها، لتصبح مستوطنات إيرانية في سوريا، حسب المعلومات التي يتم تناقلها (الشرق الأوسط ٢٦- ٣- ٢٠١٦).

سياسـة الحـصار والتـدمير والتخيير بـين التهجير والإبـادة: محاصـرة المـدن والقـرى وتجويعهـا وحرمـان أهلـها مـن مقومـات الحياة. وإجبـار الـسكان المحاصـرين علـى توقيـع هـدن مقابـل وقف القصف السجادي والبراميلي عليها تمهيدا لتهجيرهم من مدنهـم وقراهـم، تحـت ضغـط الجـوع والحـصار والتهديـد بالإبـادة. سياسـة بـدأت عـام ٢٠١٣، وأصـبحت سياسـة معلنـة ومطبقة بعدها.

في الفقرة التالية نستعرض بعضا من النماذج الصارخة لهذه الممارسات التي ترقى إلى جرائم إبادة وجرائم ضد الإنسانية.

## مناطق ونماذج صارخة من التهجير القسري

بـدأ النظـام وداعمـه الإيرانـي ومـن بعـد الروسـي بتطبيـق سياسة تخيير المحاصـرين من أهـل المدن والقـرى المستهدفة ما بـين التجويع والإبادة أو التسفير والتهجير، بشكل علني عام

٢٠١٣ وتصاعد الأمر ليصل إلى مدينة حلب نهاية العام الماضي. ضمن هذا الإطار، نشر مراسل صحيفة الغارديان البريطانية في بيروت مارتن شيلوف والحائز على جائزة اورال للصحافة تقريرا في الصحيفة ١٤- ١- ٢٠١٧، كشف فيه قيام إيران بتنفيذ عمليات تغيير ديموغرافي، عبر طرد سوريين من دمشق ومحيطها وتأمين الطريق الرابط بين العاصمة السورية والحدود اللبنانية من خلال إحلال عائلات من العراق ولبنان محل العائلات السنية التي يتم طردها، الأمر الذي سينعكس مستقبلاً ليس على سوريا وحدها، وإنما أيضاً على النفوذ الإيراني في المنطقة، بحسب التقرير. ونقل التقرير عن مسؤول لبناني كبير قوله إن إيران والنظام لا يريدون أياً من السنة بين دمشق وحمص والحدود اللبنانية، مضيفا بأن هذا يمثل تحولا تاريخيا في التركيبة السكانية.

فيما يلي بعض من المناطق التي تعرضت للتهجير القسري والتطهير المذهبي:

القصير: اجتاحتها مليشيات حزب الله، عام ٢٠١٣، وهجرت أهلها ودمرت مساجدها، ومنعت أهلها من العودة إليها، ووطنت مكانهم شيعة من مليشيات طائفية وأهمهم لواء الرضا مع عائلاتهم، ولم يخف الحزب نيته تحويلها ملاذا آمن للشيعة، حيث يؤكد النائب اللبناني معين المرعبي تواجد مطلوبين للحكومة اللبنانية من حزب الله، مقيمين فيها، متمتعين بحماية مليشيات الحزب (التهجير القسري — الجسور للدراسات — سبتمبر ٢٠١٦). المدينة التي تحولت إلى ثكنات عسكرية ومراكز لتدريب الميليشيات الشيعية شهدت عرضا عسكريا كبيرا لحزب الله بمناسبة ما يسمى بيوم الشهيد ١٣- ١١- ٢٠١٦ شارك فيه المئات من مقاتلي الحزب، بالإضافة إلى فوج المدرعات الذي استعرض عشرات الدبابات والآليات الثقلية والمدافع.

مدينة حمص: المدينة التي شهدت كما ذكر سالفا محاولات من النظام لتبديل تركيبتها السكانية في مرحلة ما قبل الثورة، بدأ منها تطبيق سياسة التهجير القسري والتغيير السكاني. فقد تعرضت أحياء المدينة القديمة والتي تسكنها أغلبية سنية إلى قصف واسع وتدمير شبه كامل دفع معظم أهلها للجوء والنزوح. وبعد حصار دام لعامين، انتهى بعقد اتفاق بين النظام ومعارضيه برعاية روسية في ٤ أبريل ٢٠١٤، يقضي بإخراج المقاتلين البالغ عددهم ٢٢٥٠ مقاتلاً، إضافة إلى المدنيين الذين كانوا محاصرين معهم في المدينة إلى الريف الشمالي. هذا الاتفاق أدى، بحسب الناشط الإعلامي في مدينة حمص يعرب الدالي إلى تفريغ المدينة من معارضي النظام، واستقطاب موالين بدلاً عنهم، حيث انخفض عدد سكان حمص من مليون ونصف نسمة قبل بداية أحداث الثورة السورية إلى قرابة ٤٠٠ ألف نسمة حالياً، بعد أن تم تهجير قرابة ٦٥٪ من سكان المدينة الأصليين نحو دول الجوار ومحافظة إدلب (حسام الجبلاوي — مركز رفيق الحريري للدراسات الشرق الأوسط).

داريا: أربع سنوات من الحصار والجوع والقصف أجبرت من بقي من سكان داريا على التفاوض مع النظام في أغسطس ٢٠١٦، والقبول بالتهجير القسري الذي فرضه عليهم أو إبادتهم، لتتحول المدينة التي كانت تضم ٢٥٠ ألف نسمة قبل الثورة إلى مدينة فارغة من سكانها وخاوية على عروشها. بقيت داريا محاصرة أربع سنين محرومة من قوافل المساعدات الطبية والغذائية لتدخلها في ١٠ يونيو ٢٠١٦ أولى قوافل الأمم المتحدة وقد غاب عنها المساعدات الضرورية وحضرت حبوب موانع الحمل وخيم مقاومة البعوض. كانت شروط النظام بعد قصف عنيف وبشكل متواصل استخدم فيه كل أنواع الأسلحة: إما إخلاء المدينة بشكل كامل وتام وإلا إفنائها وإبادة من بقي فيها بالقذائف والحمم، ولم يكن أمام المحاصرين المنهكين وفي ظلال صمت دولي ولا مبالاة عالمية إلا القبول بشروط النظام القاسية والرضوخ لها. وبحسب تقرير نشرته الغارديان البريطانية على موقعها (١٤- ١- ٢٠١٧) فقد تم استقدام ٣٠٠ عائلة شيعية عراقية للاستيطان في داريا التي هجر منها أهلها.

معضمية الشام: بعد سنوات من الحصار القاس وبعد عمليات القصف المستمر دخلت معضمية الشام في ريف دمشق الغربي في مسار التهجير والتغيير الديموغرافي ليكتمل بالتهجير ما بدأه النظام باستهداف الحياة حصارا وقصفا. ففي يوم ١٩- ١٠- ٢٠١٦ تم إخراج مئات المقاتلين مع عائلاتهم نحو إدلب شمال سوريا.

الزبداني: منطقة الزبداني من المناطق المستهدفة بالتهجير والتغيير السكاني، ففي مفاوضات جرت أغسطس ٢٠١٥ بين وفد إيراني وحركة أحرار الشام بالنيابة عن جيش الفتح، طالب الإيرانيون بمبادلة السكان الشيعة في كفريا والفوعة الواقعتين في إدلب بسكان الزبداني الواقعة في ريف دمشق وبشكل متعاكس. وهو ما رفضته المعارضة وأدى إلى انهيار تلك المفاوضات. غير أن محاولات التهجير السكاني المحمومة استمرت بوتيرة متسارعة. ففي تقرير نشره موقع الجزيرة نت ٣١- ٧- ٢٠١٦ أكد الأهالي وناشطون أن حزب الله اللبناني ينفذ تهجيرا طائفيا ممنهجا للسكان بمنطقة الزبداني المحاذية للحدود مع لبنان، حيث أجبر الحزب أكثر من خمسين عائلة على مغادرة منازلهم بمنطقة العقبة، ثم نهب مقاتلو الحزب

المنـازل وأحرقوهـا. وروت إحـدى الـسـكان أن مقـاتلي الحـزب اقتحموا المنطقـة وطلبـوا مـن الأهـالي إحـصاءً دقيقـا لـسكان كل منزل، مبررين ذلك بجلب مساعدات من الأمم المتحدة، وبعدها مباشرة بدأت عملية التهجير على مراحل، حيث أبلغوا ساكني كل حارة بوجوب المغادرة خلال خمسة أيام. ووفق المجلس المحلي في بلدتي مضايا وبقين، فإن هـذه الواقعة تعد حلقـة في «مسلسل التهجير الممنهج» الذي ينفذه حزب الله في منطقـة سـهل الزبداني بتسهيل من قوات النظام، حيث أجبر الحزب نحو مئتين وخمسين عائلة على مغادرة منازلهم خلال عامين، كما أجبروا قرابة خمسين ألف مدني على النزوح من الزبداني. ويقول رئيس المجلس المحلي محمد عيسى «أدركنا منـذ بداية المعارك في المنطقة أن الهدف هـو تغيير التركيبة السكانية على أساس طائفي، عبر تهجير الأهالي بغض النظر عن توجههم السياسي، فحتى المؤيدون للنظام تم تهجيرهم». ويضيف أن الجامع الكبير في بلدة الحوش حوله حزب الله إلى حسينية شيعية «ما يؤكد الدافع الطائفي وراء عمليات التهجير»، معربا عن مخاوفه من تغيير التركيبة السكانية بالمنطقة وتحويل كل المساجد إلى حسينيات.

مدينـة حلـب: تـم تهجيـر أغلـب سـكانها تحـت القصـف المتواصل والبراميـل والصواريخ، فتناقص عدد سـكانها فـي المناطق الشرقية التي كانت تحت سيطرة المعارضة منذ عام ٢٠١٢، من نحو ثلاث ملايين إلى ٣٠٠ ألف نسمة. ومع اشتداد الحصار القاتل والقصف الروسي بأسلحة وصواريخ متطورة وفراغية رضـخ المعارضـون وتم توقيـع اتفـاق في ديسمبر ٢٠١٦ والـذي نـص علـى تهجيـر ونقـل المقـاتلين وعـشرات الآلاف مـن المدنيين نحو ريف حلب أو محافظة إدلب. نفذت قوات النظام والميلشيات التي تقاتل معها حملات إعدام ميدانية فور بسط سيطرتها على أحياء حلب الشرقية ، منها إعدام الكادر الطبي لمشفى الحياة في حي الكلاسة، بعد اقتحامها للمستشفى أثناء تمشيطها للمنطقة. كما أعدمت ٣٤ شخصا وأحرقت حتى الموت تسعة اطفال في حي الفردوس، كما نفذت مجموعة من الإعدامات الميدانية في أحياء الكلاسة، الفردوس، الصالحين وبستان القصر. ويبدو أن أحد أهداف تلك الحملات بالإضافة إلى الانتقام، دفع عموم المدنيين إلى النزوح والهجرة والفرار والتخلي عن بيوتهم وممتلكاتهم.

## التهجير الداخلي في أرقام

تتبـاين التقـديرات في أعـداد النـازحين واللاجـئين في سـوريا وهو أمر طبيعي نظرا لطبيعة الصراع القاسية واساليب الدمار العنيفة والسياسة الوحشية التي يستخدمها النظام وداعموه. ومع التبـاين بـين التقـديرات إلا إنهـا جميعهـا تجمـع علـى ضـخامة الكارثة وعظم المصاب السوري والذي أصبح من أعظم المآسي الإنسانية في عصرنا الحالي وربما على مر الدهور والعصور. ففي تقرير صدر عن «مركز رصد النزوح الداخلي» والذي يتبع للمجلس النرويجي للاجئين في ١٣- ٥- ٢٠١٤ تصدرت سوريا قائمة البلدان التي تشهد نزوحا داخليا في العالم خلال عام ٢٠١٣، مع وصول عدد الهاربين من هول الأحداث المتواصلة إلى ٩٥٠٠ شخص يوميا؛ إذ سجل نزوح عائلة واحدة على الأقل كل دقيقة. وذكر التقرير أن سوريا تشهد أكبر أزمات النزوح في العالم وأسرعها تفاقما، لافتا إلى أن نسبة النازحين السوريين داخل بلادهم تبلغ ٤٣ في المائة. وبحلول نهاية عام ٢٠١٣، كان ٨,٢ مليون شخص قد نزحوا على مدار العام، بزيادة قدرها ١,٦ مليون نازح جديد عن العام السابق. وهذا الأمر يمثل زيادة مذهلة تبلغ ٤,٥ مليون نازح على الرقم المسجل في عام ٢٠١٢، مما يشير إلى ارتفاع قياسي للعام الثاني على التوالي. في حين نشر الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية إحصائية قبيل إصدار التقرير النرويجي، قدرت أعداد النازحين داخل سوريا ٨,٨ مليون، مقابل ٣,٢ مليون لاجئ خارج سوريا. ولفتت إحصائية الائتلاف إلى أن خمسة ملايين ونصف المليون طفل بحاجة إلى مساعدة، منهم أربعة ملايين و٣٠٠ ألف داخل سوريا، و٢,٨ مليون طفل سوري خارج التعليم، و٨ آلاف حالة اغتصاب.

في مؤتمر صحفي عقد في العاصمة الأردنية عمان يوم ٢٤ أكتوبر ٢٠١٦ ونشر تفاصيله موقع المفوضية، قال المفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين فيليبو غراندي بأنه منذ بداية الصراع في عام ٢٠١١، نزح أكثر من ٦,٥ مليون شخص داخل سوريا بينما لجأ حوالي خمسة ملايين شخص إلى الخارج، لا سيما إلى البلدان المجاورة. وقال غراندي: «إن حدود سوريا مغلقة تقريباً أو يصعب جداً عبورها، وتشعر البلدان المجاورة بأن قدراتها استُنفدت مع استقبال حوالي خمسة ملايين لاجئ سوري. وهذا يعني أن السوريين عالقون داخل سوريا في هذا الوضع المستحيل». وأضاف غراندي: «هذا يعني أن النزوح داخل سوريا سيزداد أكثر فأكثر. ونحن نقدر بأن يكون ٦,٥٧ مليون شخص خارج منازلهم اليوم، وأنا متأكد من هذا العدد سيرتفع إذا لم يتوقف القتال».

في مقال نشره موقع سي إن إن العربي بتاريخ ٢٦- ١٢- ٢٠١٦ بقلم فادي الجردلي (بروفيسور في السياسات والأنظمة الصحية في الجامعة الأمريكية في بيروت وعضو مجلس إدارة منتدى الأنظمة الصحية العالمية) ورشا فضل الله (باحثة في شؤون الأنظمة الصحية وعضو في منتدى الأنظمة الصحية العالمية)، جاء فيه أن المعنيون بالشأن الإنساني يصفون الأزمة السورية بأنها أسوأ أزمة إنسانية في تاريخنا المعاصرة، فيما تشير التقديرات إلى أن عدد النازحين داخل سوريا يقارب ٧,٥

مليون نازح، في حين يتجاوز عدد من نزحوا إلى الدول المجاورة ٤,٨ مليون.

### التهجير القسري والمواقف الدولية

تراوحت المواقف الدولية مما يحدث في سوريا من تهجير قسري وجرائم حرب من مواقف سلبية تحاول التستر والتهرب من مسؤولياتها بتصريحات وتنديدات لفظية جوفاء إلى تواطؤ وتورط بأشكال عدة في التهجير القسري إن كان بأساليب مباشرة أو غير مباشرة.

فيما يلي استعراض مختصر لمواقف الأمم المتحدة والولايات المتحدة وروسيا:

الأمم المتحدة: لعبت الأمم المتحدة دورا سلبيا للغاية منذ بدايات حملات التهجير القسري ٢٠١٣ وتراوح دورها بين الوساطة غير الأخلاقية في اتفاقيات التهجير القسري أو الإشراف عليها. وعلى الرغم من صدور قرارات من مجلس الأمن ومنها القرار ٢٢٥٤ والذي تضمن إدخال المساعدات الإنسانية إلى المناطق المحاصرة، فإن مجلس الأمن والأمم المتحدة عجزت أو تظاهرت بالعجز أمام قصف الطائرات الروسية ١٩- ٩- ٢٠١٦ رتلاً لشاحنات إغاثة كانت متوجهة إلى بلدة أورم الكبرى بريف حلب الغربي، مما أدى إلى إحراق شاحنات الإغاثة ومقتل العديد من عناصر الهلال الأحمر المرافقة لتلك الحملة.

في عددها الصادر في ٢٩- ٨- ٢٠١٦ نشرت صحيفة الغارديان البريطانية تحقيقا استقصائيا يكشف عما يمكن اعتباره تواطؤ من الأمم المتحدة في دعم نظام الأسد. وأماط التقرير اللثام عن تقديم الأمم المتحدة مساعدات بملايين الدولارات لنظام بشار الأسد في سوريا من خلال برامج المساعدات الإنسانية التي تقدمها المنظمة لمتضرري الحرب في سوريا. وأشارت الغارديان إلى أن النظام استغل هذا البرنامج لمصلحته من خلال شركات محددة سمح لها بالتعاون مع الأمم المتحدة، اتضح لاحقاً بأنها شركات عائلية تابعة للأسد وعائلته، الأمر الذي أتاح للنظام الاستفادة من ملايين الدولارات. وبحسب تحقيق الصحيفة، فإن غالبية الشركات التي تتعامل معها الأمم المتحدة في سوريا هي شركات يفترض أنها خاضعة لعقوبات اقتصادية من طرف الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، ومن بينها شركة لأسماء قرينة بشار وأخرى لابن خاله رامي مخلوف. وهكذا تتحول المعونات الأممية التي يفترض أنها لمساعدة السكان المحاصرين إلى أدوات ووسائل لتشديد الحصار عليهم ودفعهم لقبول النزوح والتهجير القسري.

وتحت عنوان «مساعدات الأمم المتحدة لا تصل إلى معظم المناطق السورية المحاصرة»، نشرت الغارديان البريطانية في عددها الصادر يوم ١٢- ٩- ٢٠١٦ تقريرا صادما. فقد عرضت الصحيفة بيانات تُظهر أن حوالي ٩٦٪ من المساعدات تذهب إلى مناطق النظام، في الوقت الذي لا تصل فيه سوى ٤٪ من المساعدات إلى مناطق المعارضة، ونتيجة لذلك، فإن كل الوفيات بسبب الجوع في سوريا حدثت في مناطق المعارضة. وأكدت معدتا التقرير الصحافيتان إيما بيلز ونك هوبكنز على أن: استراتيجية الجوع حتى الركوع، التي يعترف بها النظام، عادة ما تتوج بهدنة محلية، تتوسط فيها الأمم المتحدة وتدعمها، ويؤكد على ذلك مشهد خروج المدنيين المجوعين من بلدات تم تحويلها إلى أكوام من الركام، تصاحبهم سيارات الأمم المتحدة البيضاء اللامعة، مشهد أصبح مألوفاً. كما ذكر التقرير أنّ عدم وصول المساعدات إلى البلدات المحاصرة كان سببا رئيسيا لإخلاء بلدات من سكانها.

وفي مؤتمر صحفي عقب انهيار المفاوضات في جنيف ١٩- ٤- ٢٠١٦، انتقد رياض حجاب عدم التزام الأمم المتحدة بتطبيق تعهداتها في البنود الإنسانية، كاشفاً أن المبعوث الدولي إلى سوريا ستيفان دي مستورا لم يستطع انقاذ شاب مريض في بلدة مضايا التي تحاصرها ميليشيا حزب الله اللبناني، رغم المناشدات العديدة التي وجهتها المعارضة إلى الأمم المتحدة لإخراجه، كما عجزت الأمم المتحدة عن إدخال علبة حليب للأطفال المحاصرين. وذكر حجاب أن أكثر من ٦٠٪ من المساعدات الأخيرة التي وصلت شملت مواد تنظيف.

عقب بدء عملية الترحيل من حلب الشرقية صرح المبعوث الأممي الخاص إلى سوريا ستيفان دي ميستورا في ٢٢ ديسمبر ٢٠١٦: «ذهب الكثيرون منهم إلى إدلب التي يمكن أن تصبح حلب التالية»، موجهاً بذلك رسالتين، أولاها: اعتبار المرحّلين من حلب مطاردين لا ضحايا، وهذا وصف يجيز لمشهد الحصار والتشريد تعقب أثرهم أينما حلوا، دون التطرق مباشرة لوصفهم بأنهم إرهابيون أو حتى معارضون غير مرحب بهم، وثانيها: اعتبار الترحيل من حلب خطوة منجزة نحو مخرج سياسي تسمح بالعودة لمسلسل جنيف، وليس جريمة حرب في بشاعتها - كالتي وقعت في سربرنيتشا أو أشد خزياً- تستوجب الانتقال بالمشهد نحو لاهاي. وعلى اعتبار مكانة صاحب التصريح في الأمم المتحدة؛ لنا أن نفهم في موقف هذه الأمم مباركة لسياسة الحصار والتهجير، وسرورا لدرجة تسمح بتجاوز مواثيق حقوق الإنسان، لا سيما أن الأمم متحدة تعاطت بشكل مختلف مع تقدم المعارضة في حلب بينما سارعت إلى توجيه نداء للمعارضة لإبرام هدنة ٧٢ ساعة عقب

تمكن الأخيرة من كسر الحصار في يوليو الماضي، أي في وقت ظهر فيه وكأن رؤية موسكو للحل من خلال «نموذج غروزني» مهددة بالفشل (طارق أحمد بلال – الجزيرة نت، ٢٩- ١٢- ٢٠١٦).

الولايات المتحدة الأمريكية: في خطاب الاتحاد لباراك أوباما يوم ١٢- ١- ٢٠١٦وصف مقاربته للأزمة السورية بأنها النهج الأكثر ذكاءً. ويبدو أن المقصود أن واشنطن تترك الآخرين ليتورطوا عمليا وأخلاقيا وعسكريا في سياسات تخدم أهدافها ومصالحها مع التنديد اللفظي والإعلامي بتلك السياسات. السياسة الأمريكية في المنطقة والتي بدأت في العراق قامت على التأجيج الطائفي وإعادة رسم خريطة المنطقة ابتداء من تصريحات لمسؤولين أمريكيين عقب احتلال العراق ٢٠٠٣ عن شرق أوسط جديد. مرورا بحديث صحفي لواشنطن بوست مطلع ٢٠٠٥ لوزيرة الخارجية الأميركية حينها كونداليزا رايس، كشفت فيه عن نية الولايات المتحدة بتشكيل الشرق الأوسط الجديد عبر نشر ما أسمته الفوضى الخلاقة في المنطقة. أما مدير الاستخبارات الأميركية جون برينان فقد قال في أكتوبر ٢٠١٥: عندما انظر إلى الدمار في سوريا وليبيا والعراق واليمن يصعب على أن اتخيل وجود حكومة مركزية في هذه الدول قادرة على ممارسة سيطرة أو سلطة على هذه الحدود التي رسمت بعد الحرب العالمية الثانية. أما مدير المخابرات الأمريكية السابق مايكل هايدن فصرح لصحيفه لو فيجارو الفرنسية في حزيران ٢٠١٦ بأن هناك دولتين ستختفيان من الشرق الأوسط قريبا، وذلك علي ضوء اتفاقية سايكس بيكو، لنواجه الحقيقة لم يعد هناك وجود للعراق ولا سوريا ولبنان، مضيفا: اصبح كل هذا تحت مسميات عديده فهناك الدولة الإسلامية والقاعدة والاكراد والسنه والشيعة تحت مسمي سابقا سوريا والعراق.

سياسات الولايات المتحدة في سوريا شجعت –إن لم نقل تورطت- وبطريقة غير مباشرة في جريمة التهجير القسري والتطهير العرقي من خلال سياساتها القائمة على تأجيج الطائفية والعرقية في سوريا أيضا. فواشنطن تدخلت بشكل مباشر وجيشت العالم من أجل مدينة عين العرب- كوباني في حين لم تحرك ساكنا وهي تشهد تدميرا شاملا وممنهجا لقرى ومدن سورية تسكنها غالبية عربية سنية. في تقرير بعنوان «لم يكن لنا مكان آخر نذهب إليه» لمنظمة العفو الدولية صدر أكتوبر ٢٠١٥، كشف النقاب عن موجة من عمليات التهجير القسري وتدمير المنازل والتي تُعد بمثابة جرائم حرب نفذتها الإدارة الذاتية بقيادة «حزب الاتحاد الديمقراطي» الحزب الكردي السوري والذي سيطر على المنطقة. ويفضح التقرير التهجير القسري وعمليات هدم المنازل في شمال سوريا موثقا أدلةً على وقوع انتهاكات مفزعة، من بينها روايات شهود عيان وصور ملتقطة بالأقمار الاصطناعية، موردا تفاصيل عن عمليات تهجير متعمدة لآلاف المدنيين فضلاً عن تدمير قرى بأكملها في مناطق تخضع لسيطرة «الإدارة الذاتية»، وتُعتبر الإدارة الذاتية حليفاً أساسياً على الأرض للتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة في قتالها ضد «داعش». وبطبيعة الحال لم تندد واشنطن بسلوك حلفائها الذين دربتهم وسلحتهم ناهيك عن محاسبتهم ومساءلتهم!

ولعل تصريحات مندوبي أمريكا وبريطانيا وفرنسا، خلال جلسة طارئة لمجلس الأمن الدولي بشأن حلب يوم ١٣- ١٢- ٢٠١٦، تختصر الموقف الأمريكي والدولي من التهجير القسري. فقد دعت المندوبة الأميركية لمجلس الأمن، سامنثا باور، إلى إجلاء آمن للمدنيين، وخاطبت مليشيات النظام وإيران بقولها: عار عليكم ما فعلتموه في حلب. فيما طالب مندوب فرنسا بالعمل على وقف إراقة الدماء، وإجلاء السكان بشكل آمن، وتقديم المساعدة لمن هم بحاجة إلى ذلك، أما المندوب البريطاني لدى الأمم المتحدة، ماثيو رايكروفت فقد قال، إن على النظام وأتباعه تسهيل إجلاء المدنيين من حلب. تصريحات المسؤولين الثلاثة تختزل جريمة التهجير القسري بالمطالبة بتنفيذها بشكل آمن دون الحديث عن وجوب معاقبة مقترفيها وجلبهم للعدالة الدولية، وفي الأمر تشريع خطير لجريمة كبرى تمس شعب بريء.

روسيا الاتحادية: الدور الروسي في جريمة التهجير القسري في سوريا كان صريحا وواضحا ومن غير مواربة ولا مداهنة. بدا التحريض الطائفي –والذي يشكل بذرة السوء للتهجير القسري- الروسي مبكرا حين صرح لافروف في مارس ٢٠١٢ بأن روسيا لن تسمح بقيام حكم سني في سوريا. لافروف أطلق تصريحه المستهجن في وقت كانت الثورة السورية ترفع شعارات وطنية جامعية بعيدة كل البعد عن التهميش والإقصاء. ثم جاء التدخل العسكري الروسي السافر والعنيف في سبتمبر ٢٠١٥ ليعيد ويجدد تطبيق سيناريو غروزني في القصف السجادي واستخدام أسلحة فتاكة وصواريخ مدمرة وفراغية ومن بعد قنابل النابالم الحارقة لتخير المحاصرين في البلدات السورية بين الإفناء أو التهجير.

كما شكل ابرام اتفاقيات تحت مسمى المصالحة الوطنية، أشرفت عليها روسيا عبر قاعدتها في مطار حميميم فصلا مؤلما في ملف جرائم التهجير القسري، والتي أدارها بعض الأشخاص في المناطق التي تعرضت للحصار والتجويع والقصف والتهديد المباشر بالإبادة. وتوسعت اتفاقيات المصالحات وتسارعت وتيرتها تحت وطأة تراجع القضية السورية سياسيا في المحافل الدولية، وشعور السوريين

بالخذلان وبأن المجتمع الدولي غير معني بالجرائم التي ترتكب ضدهم، إن لم يكن شريكا فعالا فيها.

وبعيد جريمة إتمام إفراغ داريا المحاصرة من أهلها وتهجيرهم دعت الخارجية الروسية إلى استخدام ما أسمته بالتجربة الناجحة لإخراج المسلحين من داريا بريف دمشق في مناطق سورية أخرى، منتقدةً تصريحات مندوبة الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة سامانثا بور بخصوص ما جرى في داريا، والتي اعتبرت أن النظام مستمر بالحل العسكري، وأشارت المتحدثة باسم الخارجية الروسية ماريا زاخاروفا إلى أن داريا تشير إلى استمرار الجهود من أجل التسوية السلمية.

وفي نفس السياق كانت موسكو وبعد نجاح النظام في إطباق الحصار على أحياء حلب الشرقية في ١٧ يوليو الماضي تدعو عبر شعارات إنسانية زائفة ومخادعة لإفراغ المدينة من سكانها. ففي ٢٨ يوليو أعلن وزير الدفاع الروسي سيرغي شويجر، إن روسيا بالتعاون مع النظام، ستطلق عملية «إنسانية» واسعة النطاق في حلب، لمساعدة السكّان الذين وصفهم بأنهم «رهائن للإرهابيين» للخروج من المدينة، مشيراً إلى فتح ٤ ممرات، ثلاثة منها للمدنيين وواحد للمقاتلين.

بعد استعراض المواقف اللاعبين الرئيسيين واشنطن وموسكو، ربما من المفيد النظر في قراءة تحليلية لطرف بعيد نسبيا عن الصراع المباشر في سوريا حول حقيقة تلك المواقف. ففي مقال كتبه البروفيسور إيال زيسر، المحاضر في جامعة تل أبيب وأبرز المستشرقين الإسرائيليين في صحيفة «يسرائيل هيوم» يوم ٢٥- ١٠- ٢٠١٦ وترجمه موقع عربي ٢١، تحدث الكاتب عما أسماه خفايا المخطط القذر الذي تنفذه الولايات المتحدة وشريكتها روسيا وبالتعاون والتنسيق مع إيران في كلا من سوريا والعراق، عبر تطبيق مشرع طائفي ممنهج يهدف إلى «اقتلاع السنّة» من المنطقة، وتوطين المكون الشيعي، وذلك في غفلة وتخاذل وعجز من العالم الإسلامي والعربي.

وأشار زيسر إلى أن العمليات العسكرية التي يخطط لها المحور الشيعي في كل من سوريا والعراق تهدف إلى طرد السنّة أو أكبر عدد منهم من منطقة الهلال الخصيب، لا سيما المناطق التي تقع على ضفاف نهري الفرات ودجلة والمناطق الساحلية من سوريا. وأوضح البروفيسور أن الأهالي «السنّة» الذين يفرون حالياً من مدينة الموصل ويتحولون إلى لاجئين في الخارج يكملون مشهد الطرد الجماعي الذي يتعرض له السنة حالياً في سوريا، منوهاً إلى أن ملايين السنة قد فروا من العراق وسوريا حتى الآن، لافتا إلى أن الهلال الخصيب الذي كان يقطنه قبل عقد من الزمان ٢٠ مليون سني، لم يتبق منهم الآن إلا أربعة ملايين نسمة.

وأكد الكاتب أن نظام الأسد هجر حتى الآن ثمانية ملايين سني، مشيراً إلى أن عددهم قد يصل إلى ١١ مليون.

وشدد زيسر على أن الولايات المتحدة وروسيا تلعب دوراً مباشراً في مساعدة إيران على تنفيذ المخطط، وقال «إن الغطاء الذي تمنحه روسيا للميليشيات الشيعية لتنفيذ جرائم حرب في سوريا، والغطاء الذي تمنحه الولايات المتحدة للميليشيات نفسها في العراق يدلل على أن طرد السنّة من المنطقة يحظى بدعم القوتين العالميتين». وأكد زيسر بأن ما يتم في العراق وسوريا هو «تطهير عرقي بكل ما في الكلمة من معنى، لكن العالم يرفض تسمية الأمور بمسمياتها»، وإلى أن استكمال الحرب على الموصل يعني أن المزيد من ملايين السنّة سيتحولون إلى لاجئين في الأردن ولبنان وتركيا وبقية أصقاع العالم، معتبراً وجود داعش بمثابة مثل «هدية» لأولئك الذين يرون أن مصالحهم تتحقق في إعادة صياغة حدود الشرق من جديد.

## تبعات وتداعيات التهجير القسري على سوريا ودول الجوار

يعبد التهجير القسري الطريق ويمهده لتقسيم سوريا ربما كبداية لإعادة رسم خريطة المنطقة وتفكيكها وتشكيل الشرق الأوسط الجديد والذي ما فتىء يبشر به كثير من المسؤولين الدوليين وعلى الأخص الأمريكيين منهم. فبالإضافة إلى إشارات وتصريحات كثيرة، تحدث بشار الأسد في مرحلة ما قبل التدخل الروسي العسكري عن مصطلح سوريا المفيدة والتي تستحوذ على المناطق الاستراتيجية ويغلب على سكانها الطابع العلوي خصوصا مع حملات التهجير القسري. وما بعد التدخل الروسي وفي مطلع مارس ٢٠١٦ تحدث سيرغي ريابكوف نائب وزير الخارجية الروسي بأن «روسيا لا ترى مانعا أمام إمكانية إنشاء جمهورية فدرالية، في حال توافقت الأطراف المشاركة في المفاوضات بشأن سوريا على ذلك !!».

ما حدث ويحدث في سوريا ضمن تواطؤ دولي يحول التهجير القسري من جريمة حرب وإبادة إلى أداة سياسية مقبولة بحكم الأمر الواقع وتحت شعارات إنسانية زائفة بذريعة إنقاذ ما يمكن إنقاذه. تشريع وتقنين التهجير القسري وإشراف الأمم المتحدة على تنفيذه سيجعل من تكراره أمرا مقبولا ومألوفا. ومع كثرة ترداد الحديث عن يهودية الدولة العبرية من أوباما وغيره ومن سنوات وفرض نتنياهو الاعتراف الفلسطيني بذلك كشرط للتفاوض معهم، أمر يثير التخوف والريبة من تهجير

جديد للفلسطينيين ضمن إعادة تشكيل المنطقة جغرافيا وديموغرافيا.

التهجير وتمزيق الكتلة البشرية الأكثر تماسكا والتي تشكل العمود الفقري في المنطقة والتي تتقاطع مع المكونات الأخرى بالدين والقومية والمذهب - العرب السنة- سيؤدي لاستمرار هيمنة الدولة العبرية في المنطقة بل وتعزيزها بشكل ساحق ومطلق ولعقود. ولا يستبعد أن تستفيد إسرائيل من الصراعات العنيفة والحروب المدمرة مع الفراغ السكاني الناتج عن النزوح واللجوء الكبيرين في إقامة حلمها المنشود في إسرائيل الكبرى.

تدمير قطاع عريض وواسع من السوريين وتعريض إنسانيتهم لظروف قاسية واختبارات مريعة، وحرمان جيل كامل من التعليم وتمزيق الأسر وتحويل العمود الفقري للمنطقة -العرب السنة- إلى قضية إنسانية وإغاثية من الدرجة الأولى.

اهتزاز الاستقرار السياسي والاجتماعي في المنطقة وتحويلها إلى بؤر صراع داخلية متقدة ومتواصلة تفتح الباب على مصراعيه أمام التدخلات الأجنبية والحروب الداخلية والتي تحول بين المنطقة والتمية والتقدم العلمي والتقني وتبقيها مختبرات تجارب وسوقا استهلاكية تستنزف مقدراتها الاقتصادية بشراء السلاح والحماية الخارجية ولو كانت وهما أو سرابا.

التأثير سلبا على شرعية الأنظمة السنية في المنطقة في عيون شعوبها والتي تلمس عجزها عن وقف جرائم الإبادة والحرب على السوريين ممن يتعرضون لعقوبات جماعية شديدة القسوة لمجرد انتماءاتهم المذهبية والقومية. ازدياد تقبل وقبول الفكر المتطرف بين صفوف الشباب والذي يشعر بالعجز والمهانة، وكأننا نحاول إطفاء الحرائق بسكب الوقود والبنزين عليها مما يدخل المنطقة في دوامات مفتوحة من التيه والعنف وضياع البوصلة قد تمتد لعقود.

ازدياد التهديدات الإيرانية لدول المنطقة مع سقوط الساتر الغربي والشمالي وتحول العراق وسوريا لدول تابعة لإيران ومعادية للجوار.

## الإسلاميون «وآفة السذاجة»

د. محمد أبو رمان – العربي الجديد ٢٠١٦/١/٢٢

**استدرج النائب الأردني، طارق خوري، نواباً من أعضاء كتلة جبهة العمل الإسلامي (الإخوان المسلمين) في مجلس النواب الأردني،** الأسبوع الماضي، إلى «فخّ» مكشوف، عندما تعرّض، في كلمته، للرئيس المصري السابق، محمد مرسي، بصورة عرضيةٍ، فثارت ثائرة الإسلاميين، ودخلوا في مشاحناتٍ مع نوابٍ آخرين، وضرب أحدهم على طاولة رئيس المجلس، فتمّ اتخاذ قرار (من لجنة التأديب في المجلس) بإيقافه عن حضور الجلسات مدةً معينة.

**في اليوم التالي،** اشتغلت الماكينة الإعلامية الرسمية، المباشرة وغير المباشرة، على الاستثمار في حالة الغليان لدى الإسلاميين، ومقاطعتهم كلمة النائب، وطريقة احتجاجهم، لتصويرهم بأنّهم يعملون وفق أجندةٍ غير وطنية أولاً، مرتبطة بالجماعة الأمّ في القاهرة.

**وثانياً** بأنّهم يمارسون البلطجة ضد زملائهم.

وثالثاً بأنّهم غير ديمقراطيين.

**ورابعاً** بأنّ غضبهم على موضوع مرسي تجاوز القضايا الوطنية الأخرى التي كان يجري الحديث عنها تحت القبة، ومنها وصف النائب الجيش الأردني بحراسة حدود الكيان الصهيوني، ما أحدث بلبلةً كبيرة في الشارع، ولدى الرأي العام.

**ليس النائب خوري مرتبطاً بالدولة،** واللفخّ الذي نصبه علاقة بصدام الأيديولوجيات والأجندات بينه وبين الإسلاميين. وكان قد اتّهمهم بأنّهم دواعش. لذلك نقول «فخّاً»، لأنّه تعمّد التحرّش بهم واستفزازهم، مثل لاعب كرة قدم يستفز الخصم ويستدرجه إلى ما يؤدي إلى طرده من الملعب، وعدم تركيزه. وهذا ما وقع مع الإسلاميين، فخدموا بخفّةٍ شديدةٍ أجندة خصومهم، وخسروا الصورة الإعلامية بجدارة.

**إذا تجاوزنا ما حدث معهم تحت قبة البرلمان الأردني،** وفكّرنا أكثر فيما يتجاوز ذلك، وما هو أكبر حجماً، أي التجربة المصرية، فهل يختلف الأمر؟

**طبعاً،** بكل تأكيد، كانت هناك ثورة مضادّة، وتحضير للانقلاب العسكري وتواطؤ دولي..إلخ.

**نبصم على ذلك كله بالعشرة،** إلاّ أنّ العدو الأكبر للإسلاميين، بالإضافة إلى نرجسيتهم التنظيمية، كان سذاجتهم السياسية، وخفتهم في التعامل مع تعقيدات موازين القوى على أرض الواقع، فاستدرجهم الجيش والنخبة الإعلامية والمركز البيروقراطي- الأمني في مصر إلى الفخّ بسهولة شديدة.

**على الصعيد الإداري،** قد يكون الإسلاميون أفضل من غيرهم بكثير، والمقصود هنا الذين يدخلون اللعبة السياسية، فجماعة الإخوان في الأردن ومصر وأحزابها، وأحزاب النهضة التونسي والعدالة والتنمية المغربي وغيرها، تمثّل طيفاً عريضاً من الطبقة الوسطة التكنوقراطية- المهنية العربية، من أساتذة الجامعات والمهندسين والأطباء والمعلمين ورجال الأعمال من الطبقة الوسطى.

**لكنّ مشكلتهم الكبرى،** تحديداً، في المشرق العربي أنّهم لا يمتلكون النخبة المسيسة الواقعية- البراغماتية، القادرة على قراءة المعادلات الواقعية، والتعامل معها بذكاء وتجنب حقول الألغام، على النقيض من الحالة المغاربية عموماً، وتحديداً في تونس والمغرب.

**رأينا كيف أنّ الإسلاميين تجنّبوا كل ما وقع فيه إسلاميو مصر،** بينما التزم أشقاؤهم في المغرب بالمسار البراغماتي إلى أبعد مدى، فلم يتركوا مجالاً لخصومهم للنيْل منهم، على الرغم من كل الجهود المبذولة، وخصوصاً في الانتخابات الأخيرة، لإسقاطهم والإيقاع بهم.

**ربما من الجدير دراسة فيما إذا كان الفصل بين الدعوي والسياسي،** والالتزام بأحزاب سياسية محترفة، قد ساعد الإسلاميين المغاربة (عكس المشارقة) على تطوير قدراتهم السياسية وخطابهم، بينما بقي الإسلاميون المشارقة حبيسي الدوران حول الذات والصراعات الداخلية، والوقوع المتكرّر في أخطاء غير منطقية.

**الطريف في الأمر أنّ التخبط الإسلامي في مجلس النواب تزامن مع تخبط أخطر وأسوأ في موقفهم من الدولة المدنية،** إذ كان أحد قيادات حزب جبهة العمل الإسلامي قد صرّح إنّ الحزب لم يتفق على أنّ الدولة المدنية من الإسلام، قبل أن يصدروا، في اليوم التالي، تصريحاً يقولون فيه إنّهم يقبلون الدولة المدنية ذات المرجعية الإسلامية، ليكرّروا الأخطاء نفسها التي وقع فيها أشقاؤهم المصريون، ويقعوا فريسةً سهلةً لخصومهم الذين اتهموهم بازدواجية الخطاب وعدم الوضوح.

**لا تؤشر الاختبارات الأولية للإسلاميين الأردنيين،** بعد عودتهم إلى «اللعبة السياسية»، على نضج كافٍ ولا استفادة من دروس المرحلة السابقة، وما يحدث حولهم، وربما خروج القيادات الحكيمة والتاريخية مع الانشقاقات التي أخرجت قيادات الجناح المعتدل من الجماعة هي ما يفسّر هذا الأداء الباهت إلى الآن.

---

## حروب إيران:
## ألعاب الجاسوسية والمعارك المصرفية، والصفقات السرية التي أعادت تشكيل الشرق الأوسط

**ياسر جزائرلي – مجلة سياسات عربية عدد (٢٣) ٢٠١٦/١١**

---

**مؤلف الكتاب[١] جاي هو صحافي يعمل في صحيفة وول ستريت جورنال،** بدأ بالكتابة عن الشرق الأوسط في ٢٠٠٦ مع اندلاع الحرب بين إسرائيل وحزب الله. وكان أول من كشف عن المحادثات السرية التي جرت بين الولات المتحدة وإيران في سلطنة عمان، ومهدت لاتفاق فيينا حول برنامج إيران النووي. كذلك كان سولومون الصحافي الذي اختاره الرئيس السوري بشار الأسد لإجراء أول مقابلة معه بعد اندلاع الثورات العربية. وفي هذا الكتاب يعرض المؤلف للظروف التي تمت فيها المقابلة.

**تكمن أهمية الكتاب في أنه يقدم سرداً مفصلاً للمحادثات السرية والعلنية بين إيران والولايات المتحدة،** والمواجهات التي حدثت بين الطرفين، كما أنه الكتاب الأول الذي تناول العلاقات الأميركية – الإيرانية عقب توقيع اتفاق فيينا. ويغطي الكتاب خمس عشرة سنة من العلاقات بين البلدين، أي منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، لأن هذه الهجمات مثّلت نقلة نوعية في سياسة البلدين، إذ استغلتها إيران للتعاون مع الولايات المتحدة للتخلص من أعدائها على حدودها الشرقية والغربية. واتفاقية فيينا هي تكريس لهذا التحول الذي بدأ في عام ٢٠٠١. يشير المؤلف إلى أن أنصار الاتفاق يقارنونه بالانفراج détente الذي حدث بين الصين والولايات المتحدة في عهد الرئيس ريتشارد نيكسون في عام ١٩٧٢.

---

(١) Jay solomon, The Iran Wars Spy Games, Bank Battles and the Secret Deals that Roshoped the Middle East (New York: Random House, 2016)

**في الفصل الثاني «الفرصة الضائعة»**، يروي سولومون كيف بدأت نظرة البلدين إلى بعضهما تتغير. فبعد أن عرضت إيران التعاون مع الولايات المتحدة في حربها أفغانستان، استغل وزير خارجية أميركا كولن بأول المؤتمر السنوي للأمم المتحدة في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠١، لكي يصافح وزير خارجية إيران آنذاك كمال خرازي (ص٤٢). إلا أن الاتصالات لم تؤد إلى تقارب وتعاون أكبر بسبب عدم ثقة الولايات المتحدة بإيران.

**فبينما عرفت محادثات بون (ألمانيا) من أجل مستقبل أفغانستان تعاونا**، كان يعقد اجتماع بين خبراء أميركيين وعناصر من المعارضة الإيرانية في روما في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠١ من أجل إسقاط النظام الحاكم في إيران. فقد كان المحافظون الجدد يعتقدون أن غزو العراق سيؤدي إلى إسقاط النظام في إيران (ص١٩)، وهو الفكر الذي عبر عنه ديفيد ورمزير David Wrnser في كتابه حليف الطغيان: فشل أميركا في هزيمة صدام حسين (١٩٩٩).

**في الفصل الثالث «الهلال الشيعي»**، يتناول المؤلف استعداد أميركا لغزو العراق واتصالاتها بالمعارضة العراقية المقيمة بالخارج، بما فيها تلك المقيمة في إيران، قبل بداية الحرب، سافر فرانسيس بروك Francis Brroke مع أحمد جلبي إلى إيران التي أبلغتهما عدم معارضتها لإسقاط صدام حسين شرط ألا تحتل أميركا العراق لفترة طويل (ص٦١). كانت الولايات المتحدة تعرف منذ البداية وجود «غزو إيراني سري» (ص٦٤) للعراق، وهذا ما أكده محافظ الديوانية خليل جليل حمزة (قتل بعبوة ناسفة في ٢٠٠٧) في مقابلة جرت مع مايكل روبن – وهو خبير بالشؤون الإيرانية أرسلته وزارة الدفاع الأميركية ليساعد في بناء الحكومة الانتقالية في العراق في كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٤، قائلا إن المخابرات الإيرانية بدأت في أيار/مايو ٢٠٠٣ تعبر الحدود العراقية – الإيرانية مع العراقيين الذين كانوا مقيمين في إيران خلال حكم صدام حسين، إذ لم تعد الحدود بين البلدين مراقبة بعد سقوط صدام (ص٦٦). واشتكى حمزة إلي روبن أنه بينما كانت إيران تغدق الأموال على أنصارها في العراق، لم تكن الولايات المتحدة تدعم العراقيين غير المناصرين لإيران بمشاريع تنموية (ص٦٧). وكان مايكل روبن قد حذر وزارة الدفاع الأميركية في تقرير أرسله في تموز/ يوليو ٢٠٠٣ أي بعد ثلاثة أشهر من إعلان جورج بوش نهاية العمليات العسكرية، من تصاعد النفوذ الإيراني.

**على الرغم من تحذير روبن**، فإن وزارة الدفاع الأميركية اختارت عدم مواجهة الإيرانيين في العراق لتفادي اندلاع صدام معهم، «لذلك سُمح لطهران وحلفائها بالعمل تقريبا دون مضايقات» (ص٦٣).

**هنا لا يوضح المؤلف لماذا احتلت أميركا العراق إذا كانت غير مستعدة لمواجهة النفوذ الإيراني في العراق؟** ألم يكن تبرير احتلال العراق هو إحداث تغير في المنطقة كان سيؤدي إلى سقوط نظام الحكم في إيران، كما ادعى ديفيد ورمزير؟ بعد تأسيس نفوذ في العراق انتقلت إيران إلى مرحلة إخراج الولايات المتحدة من العراق من خلال إرسال أسلحة وتكنولوجيا العبوات الناسفة المزروعة في الطرقات، والتي قتلت ٢٠ في المئة من جنود الاحتلال في الربع الأخير من ٢٠٠٦ (ص٧٣).

**أجبرت هذه الهجمات الجيش الأميركي على تأسس وحدة خاصة لمواجهة إيران وحلفائها في العراق (ص٧٦)**، وقامت بأول عملية ضد قوات القدس الإيرانية في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٦، عندما ألقت القبض على الجنرال محسن شيرازي – أحد أعوان قائد قوات القدس قاسم سليماني – وحققت معه لعشرة أيام (ص٧٧). وبعد ذلك بأسبوعين هاجم الجنود الأميركيون البعثة الإيرانية في أربيل واحتجزوا خمسة إيرانيين. من بين المقرات التي هاجمتها والشخصيات التي ألقت القبض عليها بسبب عمليات معادية للجيش الأميركي كان الأخوان قيس وليث الخزعلي، اللذان انشقا عن جيش المهدي وأسسا عصائب أهل الحق في ٢٠٠٦.

**بعد تعيين بترايس قائدا للقواعد الأميركية في العراق**، تبادل رسائل التهديد مع قاسم سليماني مرتين، الأولى عبر جلال طالباني والثاني عبر هادي العامري، أحد قادة حركة بدر (ص٨٠- ٨١).

**في الفصل الرابع «محور الممانعة»**، ينتقل المؤلف إلى سورية ليناقش تعاونها مع إيران من أجل إفشال الخطط الأميركية للهيمنة على العراق من جهة، ومواجهة تحرك رئيس وزراء لبنان الحريري الذي حاول إنهاء تحكم النظام السوري في لبنان أو تقليصه من جهة أخرى.

**يشير المؤلف إلى الملفات التي استولت عليها وزارة الدفاع الأميركية في سنجار في نهاية ٢٠٠٧**، وتعود إلى فروع القاعدة في العراق. وضمت هذه الملفات معلومات جمعتها الدولة الإسلامية في العراق بين آب / أغسطس ٢٠٠٦ والشهر نفسه من ٢٠٠٧، عن حركة نحو ٧٠٠ جهادي أجنبي سافر أغلبهم إلى مطار دمشق الدولي قبل العبور إلى العراق (ص٩٢- ٩٣).

**كذلك يتناول هذا الفصل دور جون كيري في العلاقات السورية – الأميركية**، قائلاً إن كيري أصبح

ممثل «الدكتاتور السوري» في واشنطن (ص٩٩). كان للسناتور كيري اهتمام بسياسة الشرق الأوسط، وقد كون علاقات مع العديد من قادة المنطقة من خلال زياراته المتكررة لها، وكانت إحدى هذه الزيارات لدمشق في ٢٠٠٦ على الرغم من معارضة الرئيس بوش لها. وتوطدت العلاقة بين الأسد وكيري بعد عشاء استمر أربع ساعات في دمشق جمع كيري وزوجته مع الأسد وزوجته في آذار/ مارس ٢٠٠٩. وفي العام نفسه، أصبح كيري رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، وأخذ يسافر إلى دمشق وتل أبيب لمحاولة إحياء عملية السلام بين البلدين.

**بعد سرد اغتيال بعض علماء الطاقة النووية الإيرانيين في الفصل الخامس وتفاصيل الحصار المصرفي الذي فرضته أمريكا على إيران في الفصل السادس،** ينتقل المؤلف ليتناول في الفصل السابع محاولة أوباما الفاشلة في فترته الرئاسية الأولى للتوصل إلى اتفاق مع إيران.

**وفي الفصل الثامن «الذهب الأسود»،** يصف المؤلف تحرك الولايات المتحدة في المجال الأكثر انعكاسا على الاقتصاد الإيراني، قائلا إن فرض حصار نفطي على إيران كانت أولوية السياسة الخارجية لأوباما.

**في هذا المجال كان للمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والكويت الدور الرئيس في إنجاح هذا الحصار،** إذ إن فرض حصار نفطي، يكمل الحصار المصرفي، تطلب تعويض نفط إيران بزيادة إنتاج نفط دول أخرى غنية به. لذلك أرسل أوباما في ٢٠٠٩ دنيس روس في جولة ليقنع هذه الدول برفع إنتاجها بصفقة كبيرة لكيلا يرتفع سعر النفط عند بدء الحصار النفطي على إيران.

**فسيناريو كهذا كان سيضعف مساعي أوباما لإخراج الاقتصاد الأميركي من أكبر أزمة اقتصادية حلت به منذ الركود الكبير في ١٩٢٩.** وبالفعل بدأت السعودية والإمارات برفع إنتاجهما للنفط بعد زيارة روس. كذلك سافر روس إلى الصين لإقناعها بشراء النفط العربي بدل الإيراني. تلا ذلك، بحسب سولومون، قيام ولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد بزيارة سرية إلى الصين في ٢٠١٠ ليبلغها استعداد بلاده لرفع إنتاجها للنفط بأربعة أضعاف لتأمين حاجات الصين من دون أن يرتفع سعر النفط (ص١٩٦- ١٩٧).

**وفي مقابلة خاصة،** صرح رئيس مخابرات السعودية السابق تركي الفيصل، في ربيع ٢٠١١ في قاعدة عسكرية قريبة من لندن بحضور جنود أميركيين وبريطانيين، أن السعودية بإمكانها أن تعوض عن النفط الإيراني بكل سهولة (ص١٩٧). بعد إطباق الحصار على النفط الإيراني في النصف الثاني من ٢٠١٢ هبط تصدير إيران للنفط من أكبر من ٢٠٥ مليوني برميل يوميا إلى ٧٥٠ ألف برميل يوميا (ص٢٠١).

**في الفصل العاشر «الطريق إلى فيينا»،** يصف سولومون دور سلطنة عمان في الاتفاق النووي. بعد انتخاب أوباما لفترة ثانية، وحصول السلطان قابوس على موافقة إيران، أرسل السلطان رجل الأعمال العماني سالم بن ناصر الإسماعيلي لعرض وساطة مسقط بين إيران والولايات المتحدة. ولم تعترض الولايات المتحدة على محاولة الإسماعيلي إقامة علاقات تجارية مع إيران، على الرغم من حصارها المصرفي على الأخيرة (ص٢٧٣).

**اضطلع سالم والسلطنة بدور رئيس في إطلاق سراح ثلاثة سجناء أميركيين،** كانت إيران قد اتهمتهم بدخول أراضيه بطريقة غير شرعية بينما كانوا يتجولون في جبال كردستان. نجح سالم في وساطته، إذ أطلق سراح الثلاثة مقابل نصف مليون دولار عن كل واحد منهم، إضافة إلى إطلاق الولايات المتحدة وبريطانيا سراح أربعة سجناء إيرانيين. هذه الصفقة غير المتوازنة (ثلاثة أميركيين مقابل أربعة إيرانيين ونصف مليون دولار عن كل أميركي) هي أحد دلائل المؤلف على أن الولايات المتحدة كانت تريد الوصول إلى اتفاق مع إيران مهما كان الثمن، وتبرير الحكومة الأميركية هذا السلوك على أن الخيار الآخر هو تطوير إيران لقنبلة ذرية. إلا أن سلومون يشكك في هذا التبرير مشيرا إلى أن الولايات المتحدة خففت الضغط على إيران تماما في الوقت الذي بدأ الحصار الاقتصادي يؤدي ثماره. لكن سلومون لا يسأل لماذا فعلت المتحدة ذلك.

**بعد نهاية هذه الوساطة في أيلول / سبتمبر ٢٠١١،** سافر كيري إلى مسقط في الثامن من كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١١، ليناقش مع السلطان قابوس بدء المحادثات بخصوص برنامج إيران النووي. بعد ستة أشهر (في تموز / يوليو ٢٠١٢)، حدث أول لقاء بين المتفاوضين الأميركيين والإيرانيين، عقب انتخاب روحاني في حزيران / يونيو ٢٠١٢، حاول الطرفان عقد لقاء بين روحاني وأوباما في نيويوك على هامش الدورة السنوية للأمم المتحدة، إلا أن روحاني غير رأيه في آخر لحظة، خوفا من أن تضعه هذه المقابلة في موقف محرج مع المتشددين في إيران. بعد فشل هذا اللقاء، أجرى أوباما مكالمة استمرت نحو ١٥ دقيقة مع روحاني عندما كان الأخير في طريقه إلى مطار نيويورك (ص٢٦٤). وهذا دليل ثان على أن أوباما كان يسعى وراء الاتفاق أكثر من إيران.

**في الفصل الحادي عشر «ظل خامئني»**، يبين سولومون أن الولايات المتحدة هي التي قدمت التنازل تلو الآخر للتوصل إلى اتفاق. وأهم هذه التنازلات كان حول التخصيب، إذ انتقلت الولايات المتحدة من موقف رفضه إلى قبول حد معين منه. يقول سلومون إن إيران أدركت أن الولايات المتحدة تريد الاتفاق أكثر منها بقدر التوصل إلى الاتفاق المؤقت في ٢٠١٣، والذي سمح لإيران بالحصول على ٧٠٠ مليون دولار شهريا (ص٢٦٣). يضيف الكاتب «البيت الأبيض كان يدعم الإيرانيين لكي يبقوا في المفاوضات مما قلل من قدرة الولايات المتحدة على الضغط ماليا» (ص٢٦٣). في تشرين الثاني /نوفمبر ٢٠١٤، أرسل أوباما رسالته الرابعة إلى خامئني عارضا عليه التعاون ضد تنظيم الدولة في العراق في حال التوصل إلى اتفاق حول برنامج إيران النووي.

**في خاتمة الكتاب**، يشير المؤلف إلى أن قاسم سليماني زار موسكو بعد عشرة أيام من توقيع اتفاق فيينا في ١٤ تموز/ يوليو ٢٠١٥، وبحث مع وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو خطط إنقاذ النظام في سورية بعد تقدم المعارضة في ربيع ٢٠١٥ (ص٢٨٣- ٢٨٥). مهد هذا الاجتماع لتدخل روسيا في سورية الذي بدأ في نهاية أيلول/ سبتمبر ٢٠١٥، يقول سولومون إن أمل كيري والبيت الأبيض بأن يؤدي اتفاق فيينا إلى اتفاق لإنهاء الحروب في سورية واليمن يدل على أنهم مصابون «بالطرش» (ص٢٨٥)، لأن إيران أكدت عدة مرات بأن الاتفاق لن يكون له أي انعكاس على سياستها في المنطقة. لم ينعكس الاتفاق حتى على سلوك إيران مع الولايات المتحدة، إذ استمرت إيران بإلقاء القبض على أميركيين واتهامهم بالتجسس كما فعلت مع مراسل صحيفة واشنطن بوست جايسون ريزايان. وكما حدث سابقا، قامت الإدارة الأميركية بإطلاق سراح سبعة إيرانيين متهمين بتهريب الأسلحة مقابل إطلاق سراح أربعة أميركيين سجناء في إيران. قبل يوم من إطلاق سرحهم، أرسلت الولايات المتحدة مليارا وسبعمئة مليون دولار إلى إيران، قائلة إنه جزء من أموال إيران منذ فترة الشاه (ص٢٩٤).

**انعكس ارتياب المؤلف من الاتفاق على علاقاته مع الإدارة الأميركية** التي منعته من أن يكون بين الإعلاميين على متن الطائرة التي كانت تقل وزير الخارجية جون كيري خلال مباحثات برنامج إيران النووي. وكان سبب منعه من الطائرة هو ادعاء الإدارة بأنه انتهك قاعدة عدم التكلم عن أمور يتم الحديث عنها في الطائرة. يؤكد سولومون بأنه لم يكن يدري بوجود برتوكول كهذا. السبب الحقيقي لمنح سولومون هو أنه سأل سؤالا محرجا فيما إذا كانت الولايات المتحدة قد «خوّفت» فرنسا وأجبرتها على قبول الاتفاق، إذ كان موقف فرنسا من التخصيب أكثر تشددا من أميركا (ص٢٩١). وفي هذا الكتاب ينتقم الصحافي من كيري من خلال توجيه نقد قاس لم يخص به أي سياسي آخر، إذ يقول إن تعامل كيري مع بشار الأسد «أظهر بصفة مقلقة ضعف قدرة في الحكم على الأشياء، ما يثير تساؤلات حول قدرته على فهم أهداف قادة العالم» (ص١٠١).

**في كتاب سلومون نقطتا ضعف يجب التنويه إليهما.** الأولى هي أن سلومون يقدم العديد من الادعاءات التي تتناقض مع معلومات وردت في مصادر أخرى، أو معلومات لا يمكن دعمها أو التأكد من صحتها. مثلا، يقول المؤلف إن أميركا أجبرت على إعطاء إيران أسلحة خلال الحرب العراقية الإيرانية من أجل إطلاق سراح المختطفين الأميركيين في لبنان، وهذه رواية يكررها الصحافيون والمؤرخون. لكن روبرت غيتس، وزير دفاع أميركا السابق (٢٠٠٦- ٢٠١١)، يقول في كتابه الواجب (٢٠١٤) إن سياسة الولايات المتحدة خلال الحرب بين العراق وغيران كانت «واقعية بلا رحمة، فنحن لم نكن نريد لأي من الطرفين أن ينتصر، وفي بعض الأوقات كنا نعطي مساعدات سرية متواضعة لكل الطرفين»[1]. أي إن إعطاء الأسلحة لإيران لم يكن فقط مقابل إطلاق سراح رهائن أميركيين، بل من أجل إطالة الحرب. شهادة غيتس هذه لها وزنها، لأنه كان في خضم الأحداث في تلك الفترة. فقد انضم غيتس إلى وكالة الاستخبارات الأميركية في ١٩٨٦، وأصبح نائب مديريها بين عامي ١٩٨٦ و١٩٨٩. وكان الرئيس ريغان قد رشحه في ١٩٨٧ ليصبح رئيس الوكالة المركزية، إلا أن علاقته بفضيحة «إيران – كونترا» أدت إلى سحبه هذا الترشيح. ولكنه اصبح مدير الوكالة المركزية في ١٩٩١، في عهد بوش الأب.

**يدعي المؤلف كذلك أن الاتفاق النووي قيّد أيدي أميركا في سورية (ص١١)**، لذلك لم يمض أوباما في تهديده بخصوص استخدام النظام السوري للأسلحة الكيميائية، إلا أن سفير إسرائيل الأسبق في الولايات المتحدة (٢٠٠٩- ٢٠١٣) مايكل أورن كشف في كتابه حليف (٢٠١٥) أن الوزير الإسرائيلي وعضو حزب الليكود يوفال ستاينيتز Yuval Steinitz هو صاحب الفكرة. يضيف أورن بأن إسرائيل قامت بعرض الفكرة على روسيا، وعرضها نتياهو على أوباما الذي قبلها. لا يربط أورن بين عدم الرد على استخدام النظام السوري للأسلحة الكيميائية ومسار

(١) Robert M. Gates, Duty; Memoirs of Secretary at War (New York: AlFrend A. Knopf, 2014), pp.178- 179.

المحادثات الأميركية – الإيرانية حول برنامج إيران النووي[1].

ومن المغالطات التي يرتكبها المؤلف الادعاء في بداية الكتاب (ص١٠) وفي نهايته (ص٢٩٩) بأن مواجهة دور إيران في المنطقة دفع بالسعودية وتركيا وقطر إلى دعم الجماعات الجهادية، ما أدى إلى ظهور تنظيم الدولة، وهي محاولة لرمي مسؤولية ظهور تنظيم الدولة على الدول التي دعمت الثورة السورية، وإغفال دور السياسة الأميركية في المنطقة التي أوجدت أوضاعا ساهمت في ظهور هذا التنظيم.

**إحدى النقاط التي يجب نقاشها هي الادعاء الأميركي بأن هذا الاتفاق تم من أجل تفادي حرب بين إسرائيل وإيران أو إيران والولايات المتحدة.** ولكن هل كانت حرب كهذه ممكنة؟ فإيران دولة كبيرة ذات قدرة على القتال أثبتتها خلال حرب طويلة مع العراق. إذا كانت الولايات المتحدة لم تستطع إخضاع العراق، وهي بثلث حجم إيران مساحة ونصفها سكانا، إضافة إلى أنها كانت منهكة بسبب الحروب والحصار الاقتصادي، فكيف كانت الولايات المتحدة ستفعل ذلك مع إيران؟ أي إن الحرب لم تكن خيارا أصلا.

**ولو كانت إسرائيل قادرة على تدمير برنامج إيران النووي لفعلت ذلك من دون انتظار الولايات المتحدة، كما كانت قد فعلت مع برنامجي العراق وسورية.** قد يكون هناك عامل آخر في الاتفاق مع إيران وهو رغبة أميركا في إشراك إيران في الحرب على تنظيم الدولة. ولكن لماذا لم تتجه أميركا إلى حلفائها العرب: دول الخليج والأردن ومصر؟ ولماذا تحالفت مع الكرد بدل التحالف مع تركيا؟ هذه أسئلة لا يطرحها المؤلف، ولكن يجب نقاشها لفهم استراتيجية العلاقة بين إيران والولايات المتحدة.

**نقطة الضعف الثانية في الكتاب هي أنه على الرغم من تميزه بعمق التفاصيل حول تطور العلاقات بين البلدين منذ ٢٠٠١،** فإنه يتجاهل كل الكتب التي نشرت في الولايات المتحدة منذ ٢٠٠١ عن إيران ودورها الإقليمي وعلاقتها بالولايات المتحدة، وهي عديدة، كتبها أميركيون وإيرانيون – أميركيون، مثل حميد دباشي وراي تقية. وأهم هذه الكتب وأكثرها تأثيرا هو صحوة الشيعة (٢٠٠٦) لولي نصر[2]، أستاذ العلاقات الدولية الذي أصبح لفترة سنتين أحد مستشاري البيت الأبض، قبل أن يستقيل ويهاجم سياسة أوباما في كتابه الأمة التي يمكن الاستغناء عنها (٢٠١٣)[3]. غياب هذه الأبحاث يجعل فهم سولومون لديناميكية العلاقات الإيرانية – الأميركية سطحيا، ما يؤدي إلى سوء فهم البعد الاستراتيجي لهذه العلاقات.

**يدعو خبير الشرق الأوسط روبرت بير،** والذي كان يعمل سابقا في وكالة الاستخبارات المركزية، في كتابه عن إيران، الشيطان الذي نعرفه (٢٠٠٨)[4]، إلى حلف بين إيران والولايات المتحدة، فمثل هذا الحلف سيقوي نفوذ الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. إن إعادة قراءة كتاب بير بعد ثماني سنوات من رئاسة براك أوباما يسلط الضوء على نقاط التشابه بين ما دعا إليه بير وسياسة أوباما في الشرق الأوسط. ما قاله بير هو تأكيد لما كان ولي نصر قد قاله في صحوة الشيعة إذ ادعى نصر بأن إيران هي حليفة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط في مواجهة التطرف السني. أي إن كتاب بير يكمل كتاب نصر، فهو لم يأت من رجل ولد في إيران قد يشكك بعض الأميركيين في ولائه، ولكن من خبير كان قد عمل في وكالة الاستخبارات الأميركية، أي إن بير يضفي المزيد من الشرعية الأميركية، أي إن بير يضفي المزيد من الشرعية على ما كان نصر قد خطه.

**على الرغم من تجاهل كتاب سولومون لهذه الكتب،** فإنه غني بالتفاصيل، وهو إضافة قيمة إلى الكتب التي تناولت العلاقات الإيرانية – الأميركية. يحتاج فهم البعد الاستراتيجي لهذه العلاقات إلى دراسة تحلل كل هذه الأعمال، إضافة إلى الأخذ في الحسبان تاريخ العلاقات الإيرانية – الأميركية قبل هجمات سبتمبر ٢٠٠١، وقبل اندلاع الثورة الإسلامية في إيران. وقد سلط أندرو سكوت كوبر الضوء على هذه الفترة من حكم الشاه وأورد تفاصيل لم تكن معروفة من قبل في كتابه، ملوك النفط: كيف غيرت الولايات المتحدة وإيران والسعودية ميزان القوى في الشرق الأوسط (٢٠١١)[5]. وكان تريتا بارسي قد كشف في كتابه، التحالف الغادر: المحادثات

(١) Michael B. Oren, Ally: My Journey across the American – Israel Divide (New York: Random House, 2015), pp.344- 345.

(٢)Vali Nar, The Shia Revival: How Conflicts within Islam will shape the future (New York: W. W. Norton, 2007).

(٣)Vali Nasr, The Dispensable Nation: American Foreign Policy in Retreat (New York: Doubleday, 2013).

(٤)Robert Baer, The Devil We Know: Dealing with the New Iranian Superpower (New York: Crown Publishers, 2008), p.239.

(٥) Andrew Scoot Cooper, Oil Kings; How the U.S, Iran, and Saudi Arabia Changed the Balance of Power in the Middle East (New York: Simon & Schuster, 2011).

السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة (٢٠٠٨) [1]، عن العلاقات السرية بين إيران وإسرائيل بعد الثورة الإسلامية. تعطي كل هذه الكتب الباحث الفرصة لفهم أعمق للعلاقات بين إيران والولايات المتحدة.

## «الكفاح المسلح»... آلية إيرانية لتنفيذ مخطط إسقاط الملكية بالبحرين

**بوابة الخليج العربي – ٢٠١٧/١/١٩**

في الوقت الذي توعد فيه أكثر من مسؤول إيراني، بأن البحرين هي الهدف الذي يلي حلب، في إشارة إلى دعم المعارضة الشيعية البحرينية، أكد مرتضى السندي، المتحدث باسم تيار الوفاء، أن مرحلة الثورة السلمية لم تجلب للشعب البحريني غير الاضطهاد، مؤكدا أن أنصاره «سيتواجدون في الميدان وفي العمل المسلح»، فهل أعطت إيران الضوء لخلاياها النائمة للبدء في مخطط إسقاط الملكية البحرينية وزعزعة الأمن والاستقرار؟.

جاءت تصريحات «السندي» ردًا على إعدام ٣ رجال شيعة أدينوا بقتل ٣ من رجال الشرطة في هجوم بعبوة مُتفجرة عام ٢٠١٤، في أول واقعة إعدام من هذا القبيل منذ سنوات.

وتقول السلطات البحرينية إن البعض يستغل النشاط الحقوقي لتمرير أجندة وشعارات طائفية ومذهبية بعيدة تماما عن المطالب الحقوقية، كما تنكر المنامة أي تمييز ضد الشيعة، وتتهم إيران بإثارة اضطراب داخل المملكة.

### حركة الوفاء الإسلامي

«تيار الوفاء الإسلامي» هو حزب شيعي تأسس في البحرين في منتصف عام ٢٠٠٩ على يد المعارض الشيعي عبد الوهاب حسين علي أحمد إسماعيل، الذي يعد أحد أشهر رموز المعارضة البحرينية، وأحد أعضاء لجنة العريضة وأصحاب المبادرة. ويتخذ هذا الحزب من مدرسة «ولاية الفقيه» في إيران التي أسسها آية الله الموسوي الخميني، مرجعية وخريطة للفكر، ويدين بالولاء للمرشد الأعلى في إيران آية الله علي خامنئي.

«إسقاط الملكية في البحرين»، وتأسيس ما يسمى الجمهورية البحرينية الإسلامية يعد أهم مطالب هذه المجموعة الشيعية، والتي بدأت تتخذ شكل تكتل واضح أثناء الاحتجاجات البحرينية التي اندلعت أوائل عام ٢٠١١.

### تحريض إيراني

وتعمل هذه المجموعات المسلحة على تحريض الشارع البحريني ضد نظام الحكم، وبث البيانات والدعاية المغرضة التي تدعو إلى تغيير نظام الحكم باستعمال العنف والقوة لإحياء تيار الوفاء الإسلامي.

ومن جهته، قال رئيس المنتدى الخليجي للأمن والسلام فهد الشليمي، إن هذا الخطاب الطائفي مدعوم من إيران، وإنه لا يفيد أحدا.

وأضاف الشليمي - في تصريحات له - أن من يلجأ إلى العمل العسكري سيواجَه بعمل عسكري أقوى منه.

### ذراع الحرس الثوري

وأعلنت البحرين، في ٦ يناير (كانون الثاني) ٢٠١٥، ضبط خلية إرهابية أُطلق عليها «قروب البسطة» مرتبطة بالحرس الثوري الإيراني وما يسمى «حزب الله» اللبناني، خططت لتفجيرات «خطرة» في المنامة.

وثبت قيام المتهمين بالالتقاء بقيادات من الحرس الثوري الإيراني وقيادات من منظمة ما يسمى «حزب الله» اللبناني الإرهابية، لتلقي الدعم المالي والفني اللازمين لتنفيذ المخططات الإجرامية لتنظيم «قروب البسطة» الإرهابي داخل مملكة البحرين، والإنفاق على أنشطته داخل المملكة.

### مخطط اغتيالات

وعقب حادث اقتحام سجن جو، حذر مراقبون من الخطوة القادمة لإرهاب إيران في البحرين، المتمثلة في مخطط اغتيال ضد شخصيات سياسية وإعلامية بهدف إسقاط المملكة في الفوضى.

وقال الكاتب والمحلل السياسي العراقي داود البصري، إن البحرين تقع في دائرة التركيز الإرهابي الشيعي العراقي-الإيراني، وأن إسقاطها مطلب استراتيجي لقرامطة العصر الحديث والتضامن معها واجب أخلاقي عظيم. وحذر الكاتب والمحلل السياسي العراقي مملكة البحرين قيادة وشعبًا من حملة اغتيالات إرهابية إيرانية قادمة لإدخال البحرين في لجة الفوضى والرعب.

### أطماع إيرانية بالبحرين

ويرى مراقبون أن ما يحدث في البحرين من محاولات لزعزعة استقرار الدولة ما هو إلا حلقة من حلقات الأطماع الإيرانية في الشاطئ الغربي للخليج العربي، وبخاصة البحرين، والسبب أن إيران ترى البحرين أفضل نقطة للوثوب على أراضي

---

(١) Trita Parsi, Treacherous Alliance: The Secret Dealings of Israel, Iran, and the United States (Yale: Yale University Press, 2008).

السعودية وباقي دول الخليج، وهي بهذا تسعى للاستفادة من وجود نحو ٢٠٪ من سكان البحرين من ذوي الأصول الإيرانية.

وكشف انكسار حلب ونصر إيران المزعوم نوايا طهران الخفية، حيث وجهت شخصيات ومؤسسات إيرانية التهنئة بما وصفتها بـ«الانتصارات الربانية» بسيطرة النظام السوري المدعوم من ميليشيات موالية لإيران وسلاح الجو الروسي على مناطق المعارضة في حلب، معيدة الأمر إلى «المدد الغيبي»، وسط توجيه تلميحات واضحة إلى ملفات أخرى مثل اليمن والبحرين.

وفي ٢١ من يونيو (حزيران) ٢٠١٦، هدد قائد فيلق القدس الإيراني قاسم سليماني، البحرين، بدخول الحرس الثوري فيها وإشعال أعمال مسلحة داخل المملكة.

وأعلنت حينها وزارة الداخلية أن سليماني كان يحاول تقسيم المجتمع البحريني، بتشجيع الشبان على انتهاك الدستور وشق المجتمع طائفيا.

## الفوبيا المتقابلة... من المستفيد؟

**د. فراس الزويعي – الوطن البحرينية ٢٠١٧/١/١٨**

**لا يمكن إنكار اقتران الإسلام في ذهن العقل الغربي بصورة مغايرة تماماً لحقيقته وواقعه،** فحالما يذكر الإسلام يتبادر إلى ذهن العقل الغربي مجموعة صور مرتبطة بالقتل والعنف والهمجية والتخلف، هذه الذهنية صنعتها وسائل الإعلام الغربية وعملت على تشكيلها بشكل منظم كجزء من مهمة توسيع دائرة العداء للإسلام والمسلمين على مدار سنين طويلة، وهي في واقعها حرب إعلامية أنتجت ظاهرة الخوف من الإسلام أو ما بات يعرف بـ«الإسلاموفوبيا»، وفي المقابل نجد قسماً غير قليل من المسلمين أصبحوا متشددين تجاه الغرب متخوفين منهم، فنجد أنفسنا أمام «فوبيا» متقابلة، ومع تنامي هذا الخوف أو الفوبيا يتأكد أن هناك أطرافاً منتفعة منها وتعمل على تغذيتها واستمرارها.

**بالنسبة لتشكيل صورة الإسلام في ذهن العقل الغربي ليست وليدة التاريخ الحديث،** بل هي مأخوذة من مواقف مسبقة تعود لتاريخ العلاقة بين عالمي الإسلام وأوروبا المسيحية قبل قرون طويلة مضت، وما تفعله وسائل الإعلام الغربي اليوم هو اجترار الخطاب الاستشراقي الذي قدم للغرب صوراً مزيفة عن الإسلام والمسلمين، فقد عمل المستشرقون سنين طويلة على تشويه صورة الإسلام في كتاباتهم ودرسوا الإسلام لا ليتوصلوا إلى الحقيقة، بل ليجدوا مواطن يبنون عليها تزييفهم وافتراءهم على هذا الدين، ومن هؤلاء استمدت وسائل الإعلام قوالب وصوراً ذهنية جاهزة عن الإسلام، وبدأت تروجها وتصنع رأياً عاماً عالمياً كاذباً عن الإسلام والمسلمين، الأهم من ذلك أن هذه الصور الذهنية ليست فقط صوراً كاذبة أنتجها المستشرقون، وإنما هي استحضار لصورة الأوروبيين الحقيقية في القرون الوسطى والتي يعملون اليوم على تركيبها على المسلمين.

**في مقابل ذلك وعلى الجانب الآخر لا نجد أي فعل مماثل من المسلمين تجاه الغرب،** وكل الدراسات التي أجراها المسلمون حول الغرب تركز على إنتاج تصور حقيقي عن الغرب وواقعه، بل نجد مؤلفات عربية تتحدث عن صورة مشرقة للغرب روج لها مثقفون ومفكرون مسلمون زاروا الغرب في بدايات القرن العشرين، لكن ومع كل ذلك نجد أنفسنا اليوم أمام واقع تبدلت فيه هذه الصورة عند عدد غير قليل من المسلمين وباتوا ينظرون إلى الغرب نظرة عدائية، وهذا لم تأتِ من فراغ، فالخراب الذي حصل مع بدايات القرن العشرين ويحصل اليوم في بلاد المسلمين نجد الغرب حاضراً وطرفاً فيه، كما أن أكثر المسلمين حدة وعدائية للغرب هم أولئك الذين عاشوا في الغرب لاسيما في بعض دول أوروبا ولم يتقبلهم الغرب ويدمجهم في مجتمعه، فنشأ جيل بردة فعل عدائية تجاه الغرب وهو ما يفسر لنا انضمام عدد غير قليل إلى تنظيم الدولة «داعش» ممن يحملون جنسيات أوروبية.

**هذا الموقف بين الطرفين انتفع منه تجار الحروب وعرابو الإيديولوجيات،** فأججوا النزاعات وعمقوا سوء الفهم بين الشعوب وتكسبوا من ورائه، ونجحوا إلى حد كبير في عملهم، فـ«الإسلاموفوبيا» في تنامٍ مستمر ومشاعر العداء والشعور بالظلم من الغرب يتنامى أيضاً، لكن تبقى هناك حقيقة وهي أن الغالبية العظمى من الغربيين والمسلمين يميلون إلى العيش بسلام بعيداً عن الصراعات.

## المظلومية السنية في العراق وسوريا

**محمود رأفت – إيران بوست ٢٠١٧/١/٢٠**

**ما يجري في بلدان المشرق الإسلامي،** يحمل مؤشرات خطيرة على مستقبل المنطقة بأكملها، فالمخطط الإيراني الاستيطاني الاستئصالي المرضي عنه أمريكيا مستمر في إسقاط حواضر العالم الإسلامي الواحدة تلو الأخرى.

**وبات من الطبيعي على سبيل المثال لا الحصر،** أن يخرج علينا القيادي في فيلق القدس الإرهابي «ايرج مسجدي»

ويقول «كان الخط الأمامي لمقاتلينا حتى الأمس هو آبادان وخرمشهر ومهران وحاج عمران ولكن الآن أصبح الموصل ولبنان وحلب وسوريا».

**وكلما سقطت مدينة**، تبدأ التهديدات باستهداف مدن أخرى، بل وبلدان أخرى، يحدث كل ذلك في ظل موت سريري فعلي لكثير من الأنظمة السياسية في البلدان الإسلامية، لا نتحدث هنا عن «مواجهة» بل على الأقل رد فعل لفظي، ولكن حتى الإدانة والاستنكار باتت غائبة، بل إن الطامة الكبرى أن هناك أنظمة عربية تؤيد جهارا نهارا ما يجري بحق المدن السورية والعراقية بحجة ما أسموه «محاربة الإرهاب»، رغم أن الوقائع والتجارب أثبتت أن المستهدف هو المكون السني فقط لا غيرا!.

**المشروع الاستئصالي الإيراني يسعى لتغيير ممنهج لديموغرافية المنطقة (سوريا والعراق واليمن ولبنان كخطوة أولى ومن ثم الجزيرة العربية)**، وقد نجحت إيران حتى الآن في تلك الاستراتيجية التوسعية فعلى سبيل المثال لا الحصر أقدمت مليشيات إيران العسكرية على تجنيس عشرات الآلاف من الشيعة من جنسيات محل السكان السنة الأصليين، كما حدث في عدة أحياء بدمشق كالسيدة زينب ومناطق عدة من سوريا، وكما حدث في أحياء عدة من بغداد إذ كان يتم إرسال رسائل التهديد والوعيد لقاطني الأحياء المختلطة، وعندما كانت العائلات ترفض الخروج كان يتم تصفية أئمة المساجد وبعض من شباب تلك العائلات لإجبارها على الخروج من تلك الأحياء، حدث ذلك أمام أنظار قوات الاحتلال الأمريكي في العراق، وازداد فظاعة بعد خروج الأمريكان، كما حدث في محافظات الجنوب العراقي وخصوصا البصرة، حيث تم تهجير الكثير من العائلات وتصفية العشرات من أئمة المساجد والشباب، والأمر نفسه حدث في حزام بغداد ومحافظة ديالى العراقية.

**المشكلة الحقيقية**، أننا أمام مخطط محكم له أبعاد تاريخية عميقة، ومخطئ من يظن أن كتلة اللهب في المنطقة لن تتسع، فمنذ عدة عقود كانت مركز الأبحاث الغربية ترسم لنا خرائط تظهر بلداننا مقسمة ومفتتة، وعليه فلا نستغرب صمت الغرب على الابادة الجماعية التي جرت في حلب والفلوجة وبعقوبة وتعز والرمادي والزبداني وحمص، فهذا هو مخططهم لتقسيم المنطقة، وهذه هي حدود الدم التي اختاروها لنا.

**الغرب يدرك جيدا أن مع كل هذا التجييش الإيراني الهائل**، ومع وجود عشرات الآلاف من المليشيات الموالية لإيران فإن المنطقة حتما ستجر إلى حرب إقليمية واسعة، فإيران تجاهر بأنها ستقيم حكومة إسلامية عالمية تحكم العالم الإسلامي، وللأسف قادة إيران لا يدركون أن مخطط الغرب على المدى البعيد سيستهدفهم كذلك، وأنهم اليوم ليسوا إلا أداة لتنفيذ مخططات نسجتها مراكز الأبحاث الأمريكية.

**كل ما سبق لا ينبغي أن ينسينا أن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي أشعلت النيران الطائفية في المنطقة**، وهي التي انحازت لإيران وسلمتها العراق على طبق من ذهب، بل ودعمت مليشيات الحشد الشيعية التي يقودها قاسم سليماني بالغطاء الجوي العسكري في العراق، وصمتت عنها وهي تشاهد بأقمارها الصناعية أرتال تحمل عشرات الآلاف من المقاتلين الشيعة الإيرانيين والعراقيين واللبنانيين وهم يتجهون لقتل الشعب السوري وأطفاله.

**الكيان الصهيوني أيضا مستفيد مما يجري**، فإسرائيل الكبرى تمتد بحسبهم من الفرات إلى النيل، وهي بذلك تشمل أراضي شاسعة من سوريا والعراق وإخلاء تلك المناطق من السكان وتدمير مدنها يصب أيضا في الاستراتيجية الإسرائيلية المتعلقة بنبوءاتهم التوراتية.

**ما يجري في المنطقة إذا**، لم يعد سرا أو خافيا، على أحد إلا قلة قليلة أضاعوا البوصلة ولا أظن أنهم سيستعيدونها مجددا، ولابد من استراتيجية مواجهة على كافة الأصعدة، فالجميع مستهدف والأمر جلل، ولم يعد هناك من مجال لإضاعة مزيد من الوقت، ولابد من إنهاء المظلومية السنية في العراق وسوريا، فأمن المنطقة بأكملها مرتبط بذلك، فإن استمرت هذه المظلومية فحتما سيدفع الجميع ثمن ذلك..

## روسيا و«الأسد» وإيران...
## فصول في المواجهة و«الممانعة»

**عبد الوهاب بدر خان – الحياة ٢٠١٧/١/١٩**

**أصبح التحالف بين روسيا والنظامين السوري والإيراني مواجهة مفتوحة لن تلبث أن تظهر معالمها أكثر فأكثر**. وتمر الأزمة السورية حاليا بأخطر مرحلة، وبصراع متصاعد بين «الحلفاء» على من تكون له الكلمة الأخيرة ليس فقط في تقرير مسار الأزمة وإنما في تقرير مستقبل سورية.

**وفيما يبدي نظام بشار الأسد وحليفه الإيراني «ممانعة» جلية في تمرير خطط روسيا**، ليس واضحا ما إذا كانت الأخيرة بلغت درجة من التمكن (عبر إعادة تأهيل الجيش السوري وتنظيمه) لفرض إرادتها. وقد أدى انشغالها باحتمالات وهمية لمواجهة مع الولايات المتحدة أو حتى مع

تركيا، ثم بمعركة حلب لحسم الوضع شمالا، إلى تغافلها عما يحصل في دمشق ومحيطها، بل عما يحصل في حمص وحماة ودرعا.

**لذلك،** بدا الأمر كأن الروس نفذوا، متقصدين أو غير متقصدين، ما رسمه المخطط الأسدي — الإيراني، ولم يعملوا إلا في النطاق الذي حدد لهم. وعلى رغم أن فاعليتهم توسعت على مستويات عدة عسكرية وسياسية، إلا أنهم لم يتحكموا بالحيز الذي يحتله التنسيق بين النظام وإيران.

**يقتضي الاستدلال إلى المواجهة بين «الحلفاء» معاينة جملة تطورات كان أبرزها التصعيد في وادي بردى.** لكن ثمة وقائع حدثت وبقيت أشبه بألغاز تحتاج إلى من يفك رموزها، وإن لم تكن غامضة دائما. لعل أبرزها الصمت الروسي المطبق إزاء عودة تنظيم «داعش» إلى تدمر، بالسيناريو السابق نفسه، وبأعداد أكبر من تلك التي «اجتاحت» المدينة منتصف مايو/أيار ٢٠١٥.

**ففي ديسمبر/كانون الأول الماضي،** «استعاد» التنظيم المدينة في وضح النهار ناقلا نحو خمسين دبابة على مسافة ٢٥٠ كيلومترا مكشوفة من دون أن يتعرض لأي إزعاج أو إعاقة، وكما في المرة السابقة هربت/انسحبت قوات النظام المعززة بحضور إيراني وبوجود روسي رمزي (استخباري).

**وما أعاد «داعش» إلى تدمر هو حاجة «ممانعة» دمشق وطهران إلى خدماته،** إذ كان احتلاله مدينة أثرية ذات سمعة عالمية شكل تطورا حاسما في حصر الأزمة السورية في خانة «الحرب على الإرهاب».

**ولأن التوجه الروسي إلى وقف النار وترتيب مفاوضات في آستانه يعيد الأزمة إلى واقعها الداخلي كصراع بين نظام ومعارضة،** فقد استدعى الأسد والإيرانيون «داعش» مجددا إلى تدمر، إلا أن تكرار السيناريو المكشوف قد لا يؤدي إلى النتائج ذاتها.

**تبغي أيضا معاينة وقائع أخرى،** فما الذي استدعى أن يدمر «داعش» معمل «حيان» للغاز في ريف حمص الشرقي الذي وصفه وزير الخارجية الكرواتي بأنه «تدمير لأكبر منشأة اقتصادية في سورية منذ اندلاع الأزمة» (كرواتيا تملك ٤٥٪ من المعمل).

**هل نفذ «داعش» أوامر النظام،** أم اعتبر النظام أن لا عودة له إلى تلك المنطقة فقرر تدمير المنشأة ليحرم أعداءه من مرفق اقتصادي مهم؟

**الأكيد،** أنه تخريب متعمد من دون أي مبرر أمني، لكن هناك مصادر تعزوه إلى هاجس «ترسيم الحدود»، فالأسد يوهم المتعاطفين معه عربيا ودوليا بأنه يحارب لإبقاء سورية موحدة، وهؤلاء المتعاطفون يصدقونه ويتجاهلون أجندة إيران القائمة على تثبيت نفوذ دائم في سورية عبر التغيير الديموغرافي في محيط دمشق وحيثما أمكنها ذلك.

**ثمة أسئلة أيضا،** ودائما في إطار تلك المواجهة، عن التفجيرات الأخيرة سواء في كفر سوسة أو في جبلة وطرطوس، امتدادا إلى المعلن/ وغير المعلن عنه من غارات إسرائيلية. لا إجابات واضحة، لكن الحدس التحليلي لدى السوريين، موالين ومعارضين، كما لدى أي شعب يشهد حربا داخلية، يميل إلى ربط الأحداث وتفسيرها أحيانا بما يقرب من «نظرية المؤامرة»، ولا يعني ذلك أنه مخطئ كليا.

**فالتفجير في جبلة هو الثاني الذي يقع خلال فترة قصيرة في موقع لا يبعد سوى كيلومترات قليلة من قاعدة حميميم الروسية،** وبديهي أنه يوجه مع تفجيرين آخرين في طرطوس رسالة إلى الروس بأن أمنهم في قواعدهم يمكن أن يهدد من دون أن تكون طائراتهم ولا بوارجهم قادرة على الرد. وهكذا، فإن الإرهاب الذي منع أي تدخل دولي أو عربي مباشر في سورية يمكن أن يستخدم حتى ضد الروس إذا اقتضت الظروف استهدافهم.

**لكن في أي سياق يمكن إدراج تفجير كفرسوسة الذي قتل فيه ثمانية من عسكريي النظام،** بينهم عقيد في المخابرات؟

**قال إعلام النظام أنه «تفجير إرهابي» نفذه انتحاري،** لكن طبيعة المكان وعدد القتلى أبقيا ملابسات الحادث غامضة، ولم يتهم النظام أي جهة محددة ما يمكن أن يعني أنه ربما يشك في «جهة صديقة» وأن ما حصل هو تهديد مقابل تهديد. هذا يقود إلى تساؤل عن الغارات الإسرائيلية المتوالية على مطار المزة، فليست كلها ضد شحنات سلاح مخصصة لـ «حزب الله»، وإذا لم تكن بتنسيق مدروس مع الروس فإنها تبدو متناغمة مع ما يريده الروس من دون أن يكون هؤلاء متورطين مباشرة.

**لا يعني ذلك أن الإسرائيليين مهتمون بوقف النار أو حريصون على نجاح السعي الروسي إلى إنهاء الصراع،** لكنهم وجدوا في التطورات الجارية ما يمنحهم فرصة لمفاقمة التباعد والخلاف بين الروس والإيرانيين.

**وكان لافتا مثلا،** أن قراءات معارضين لمواقف النظام من الهدنة وشروطها في وادي بردى التقطت تأرجحا بين تشدد ومرونة على وقع اتصالات روسية وضربات إسرائيلية وتصلب

إيراني، إذ جاءت أفضل المبادرات للهدنة غداة ليلة طويلة من غارات إسرائيلية على مطار المزة ومحيطه.

**وحملت اسم مدير مكتب الأمن القومي علي مملوك الذي سمى فيها اللواء المتقاعد أحمد الغضبان مفاوضا عن مقاتلي وادي بردى ومشرفا على تنفيذ ما يتفق عليه،** ولما حضر الأخير بادر أحد ضباط النظام إلى قتله في ما اعتبرته المعارضة «إعداما ميدانيا»، وأجهضت «المبادرة».

**كان واضحا خلال الأسابيع الأخيرة، أن النظام والإيرانيين اختاروا وادي بردى ثغرة لضرب الاتفاق الروسي — التركي على وقف شامل لإطلاق النار.** كانت منطقة الوادي شهدت طوال الأعوام الماضية مناوشات، لكنها بقيت في شبه هدنة نسبية، وتحول مصدر إرواء دمشق في عين الفيجة ومنشآته عنصرا رادعا للطرفين، فلا «الجيش الحر» يهدده لئلا يستدرج هجوما واسعا عليه، ولا قوات النظام — و«حزب الله» تحديدا — تستهدفه لئلا تتسبب بتعطيش العاصمة.

**غير أن هذا «الرادع» أسقط بعد التغيير الروسي لقواعد اللعبة،** غداة معركة حلب، والاتجاه إلى عملية متدرجة يزعم أن هدفها إنهاء الصراع. إذ بدأت الهجمات على وادي بردى تتكاثف وتعنف بالتزامن مع الاجتماع الثلاثي، الروسي — التركي — الإيراني، واتضاح أن موسكو تطور تنسيقها مع أنقرة لتغيير وجهة الأزمة وإدارتها.

**اتضح أيضا أن وادي بردى والغوطة الدمشقية بشرقها وغربها كانا ثغرة في الدور الروسي.** ففيما ضغطت موسكو للحصول على «وقف شامل لإطلاق النار» وبنت عليه دعوتها إلى مفاوضات عسكرية في آستانه تمهد لمفاوضات سياسية في جنيف، دخلت قوات النظام والميليشيات الإيرانية في سباق مع الوقت للسيطرة على وادي بردى لكنها صدت وتكبدت خسائر كبيرة، عندئذ راح النظام يقصف منشآت المياه في عين الفيجة وتوصل إلى تعطيلها قبل يومين من إعلان اتفاق وقف النار (٢٠١٦/١٢/٢٩)، ليصبح حرمان دمشق من المياه ورقة إعلامية في يده وذريعة لاستمراره في القتال.

**قيل دائما،** ولا يزال صحيحا، أن أي وقف لإطلاق النار وشروع في مفاوضات سياسية يشكلان بالنسبة إلى الأسد بداية النهاية حتى لو طالت. وينطبق الأمر أيضا على إيران ونفوذها.

**إذ إن الترتيبات العسكرية المتداولة لهدنة دائمة تتضمن بالضرورة سحب ميليشياتها،** كما أن أي حل سياسي ترضى به المعارضة أو يفرض عليها سيعني في حد أدنى أن سلطة الأسد لن تعود مطلقة وأن بنية نظامه ستتعرض لاختراق، وإلا فإنه لن يكون حلا ولن ينهي الصراع.

**لا بد أن تدرك روسيا أن حليفيها كانا يبجلان دورها حين كانت ترتكب التدمير الإجرامي،** فإذا كفت عنه فإنهما سيعمدان إلى تدمير شامل لتخريب أي معادلة جديدة.

## تركيا وإيران... حليفتان أم متنافستان؟

**محمد رضا جليلي، وثييري كيلنر –**
**(لوموند ديبلوماتيك) ٢٠١٧/١/١٩**
**ترجمة: عبد الرحمن الحسيني – الغد الأردنية ٢٠١٧/١/٢٢**

**كانت إيران وتركيا براغماتيتين دائماً في علاقاتهما الثنائية على الرغم من تنافسهما،** ومواقفهما المختلفة أحياناً. لكن انتفاضات الربيع العربي كشفت – وفي بعض الأحيان خلقت– عداوات عميقة. وقد ظهرت الخلافات منذ بداية الأزمة السورية. وكانت أنقرة على وفاق جيد مع دمشق كجزء من سياستها «صفر مشاكل مع الجيران»، لكنها بعد أن حاولت (عبثاً) إقناع حكومة الرئيس بشار الأسد بإجراء إصلاحات، منحت دعمها للمعارضة. أما إيران التي تعتمد سياستها الشرق أوسطية برمتها على سورية، فقد تبنت موقفاً مخالفاً كلية، فدعمت حكومة الأسد وجندت حلفاءها في لبنان، بما فيهم حزب الله، وشبكات أخرى: من المليشيات الشيعية العراقية بالإضافة إلى متطوعين شيعة من بلدان مختلفة شاركوا في حصار شرق حلب. وبينما أصبحت إيران أهم حليف لحكومة الأسد – على الأقل حتى التدخل الروسي في أيلول (سبتمبر) من العام ٢٠١٥– كانت تركيا تخول حلف شمال الأطلسي بنشر دفاعات مضادة للصواريخ على أراضيها بعد انتهاك مجالها الجوي من جانب سلاح الجو الروسي، وأيضاً لحماية نفسها من صواريخ تطلق من سورية. وكانت إيران معارضة لهذه القرارات التي رأت فيها تهديداً مباشراً.

**وفي الأثناء،** تشعر الحكومة الإيرانية بأن تركيا تخلت عن سياستها المستقلة عن الولايات المتحدة، والتي كانت قد بدأت في العام ٢٠٠٣ عندما رفضت تسهيل التدخل العسكري الأميركي في العراق. وفي تموز (يوليو) ٢٠١٥، منحت تركيا للولايات المتحدة التخويل باستخدام قاعدتها الجوية في إنجرليك لشن ضربات جوية ضد قوات «داعش». واستفز هذا القرار، على الرغم من أنه ساعد في احتواء تقدم «داعش»، غضب إيران التي نظرت إلى ذلك بشكل رئيسي على أنه طريقة جديدة من تركيا للسعي إلى التقارب مع الولايات المتحدة. كما شعرت إيران بالقلق من تجمع تركيا والسعودية وقطر على سورية في بداية العام ٢٠١٥، عندما اتفقت البلدان

الثلاثة على تنسيق عملياتها وزيادة دعمها المقدم للمعارضة السورية. وسرعان ما اثمر هذا التنسيق: فمن آذار (مارس) ٢٠١٥ تقدمت قوات الثوار في أجزاء مختلفة من سورية. فضغطت إيران تبعاً لذلك على روسيا لتتدخل.

**على الرغم من التوصل إلى الاتفاق النووي الإيراني في تموز (يوليو) ٢٠١٥**، بدأت تركيا وإيران حرباً كلامية حول سورية، واتهمتا بعضهما البعض بدعم الحركات الإرهابية. وغضب الرئيس رجب طيب أردوغان بسبب اتهامات وسائل الإعلام الإيرانية التي قالت إن تركيا تشتري نفطاً من آبار النفط السورية التي يسيطر عليها «داعش». وعندما توطدت الروابط مع بعض دول الخليج النفطية، أسست تركيا في أيار (مايو) من العام ٢٠١٦ - ولأول مرة منذ أفول الامبراطورية العثمانية- قاعدة عسكرية على أراضي أقرب حليف إقليمي لها، قطر. وتعكس هذه المبادرة التحالف السني الذي دشنته السعودية في آذار (مارس) ٢٠١٦، وتشترك في عضويته كل من تركيا وقطر. قد أثارت هذه التطورات - ونفاذ تركيا إلى الخليج الذي تعتبره إيران منطقة نفوذ خاصة لها- قلق إيران.

**مع أنهما متعارضتان بشكل كبيرة في الكثير من القضايا الإقليمية**، تظل تركيا وإيران مرتبطتين مع بعضهما من خلال التجارة والطاقة. وتشتري تركيا النفط والغاز من إيران بينما تستورد إيران سلعاً استهلاكية تركية. لكن الاختلافات السياسية تلقي بثقلها: فقد هبطت قيمة التجارة البينية من ٢١,٨٩ مليار دولار في العام ٢٠١٢ إلى ١٣,٧ مليار دولار في العام ٢٠١٤، وإلى ٩,٧ مليار دولار فقط في العام ٢٠١٥. ومع أن هذا التراجع يعزى في جزء منه إلى هبوط اسعار الهيدروكربونات، فإن هذه المستويات تبقى أقل بكثير من الهدف الذي كان البلدان قد حدداه والبالغ ٣٥ مليار دولار. وحتى مع ذلك، عرضت إيران خدماتها كوسيط خلال الأزمة التي نجمت بين أنقرة وموسكو عندما أسقطت تركيا طائرة مقاتلة روسية قيل أنها اخترقت المجال الجوي التركي في تشرين الثاني (نوفمبر) في العام ٢٠١٥، في سعي منها، من دون شك، إلى تحسين علاقاتها مع تركيا. وفي إشارة على أن البراغماتية ما تزال سائدة، وقعت إيران وتركيا على اتفاقية حول السياحة في العام ٢٠١٦، وما تزالان تبحثان سبل التعاون الاستراتيجي في مجال النفط والغاز.

**منحت محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا يومي ١٥- ١٦ تموز (يوليو) الماضي إيران فرصة لم تكن تحلم بها لتحسين علاقتها مع جارتها**. فبينما كان الانقلاب يجري، غرد وزير الخارجية الإيرانية على «تويتر»، معلناً دعم إيران للحكومة التركية. كما أعرب المجلس الأعلى للأمن القومي في إيران، والذي يرأسه الرئيس حسن روحاني، عن الدعم الرسمي «للحكومة الشرعية لتركيا». وتضاربت هذه الاستجابة الفورية مع الرد الذي اتسم بالبطء لبلدان «الناتو» التي تعتبر الحلفاء الرسميين لحكومة أردوغان. وبعد وقت قصير من الانقلاب الفاشل، اقترح روحاني عقد مباحثات حول قضايا إقليمية، مستفيداً بوضوح من ذلك التطور لدعوة الحكومة التركية إلى إعادة النظر في موقفها من سورية. وفي أقل من شهر، كان هناك تقارب. ويتركز الإجماع على ثلاثة أهداف رئيسية بحثت أصلاً، وإنما من دون نجاح، في محادثات سرية جرت بعد ثلاثة أشهر من انتخاب روحاني: المحافظة على سيادة سورية الإقليمية؛ ومحاربة كل الحركات المتطرفة والإرهابية؛ وتأسيس حكومة وحدة وطنية عبر انتخابات باشراف الأمم المتحدة.

**مع ذلك**، ومع وجود تفاهم رسمي على هذه النقاط، سادت خلافات، وخاصة حول دور الأسد، مما جعل التقارب هشاً. وكانت الولايات المتحدة وتركيا تعملان من أجل إذابة الجليد في علاقتهما التي أصبحت باردة بعد المحاولة الانقلابية الفاشلة؛ واجتمع أوباما وأردوغان في أوائل أيلول (سبتمبر)، وكانت تركيا قد شنت قبل ذلك بشهر عملية درع الفرات في شمالي سورية بالتعاون مع الولايات المتحدة من دون تحذير إيران. ولأنها أُخذت بالمفاجأة، اعتبرت إيران العملية انتهاكاً لسيادة سورية، واتهمت تركيا بتعقيد الوضع الإقليمي. لكن هذا لم يمنع تركيا من توسيع عملياتها لتأسيس منطقة آمنة كأمر قائم للمعارضة في الأراضي السورية. ويعتبر هذا الملاذ الآمن مهماً مع سقوط آخر معاقل للثوار في شرق حلب، لكنه لا يسر إيران.

**وهكذا**، وعلى الرغم من أن إيران وتركيا تسعيان رسمياً إلى إرضاء بعضهما، كما اقترح عقد اجتماع بين روحاني وأردوغان على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في أيلول (سبتمبر) الماضي، فإن مواقفهما تستمر في التباين على صعيد السياسة الإقليمية. ففي رد على السياسة الخارجية الإيرانية، حول القضية الشيعية، يصور أردوغان نفسه بالتدريج على أنه حامٍ للسنة. وفي العراق، في سياق العمليات العسكرية لاستعادة الموصل، دان أردوغان تواجد الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران على الأراضي العراقية، واصفاً إياها بأنها تشكل تهديداً للسنة. وعمد إلى حشد قوات على الحدود مع العراق، ملمحاً إلى أن هذه القوات لن تقف مكتوفة الأيدي إذا عانى السنة خلال العمليات ضد «داعش» في الموصل وتلعفر (التي توجد فيها أقلية تركمانية كبيرة).

**يعتقد بعض المراقبين أن هذا التحذير لداعمي إيران في العراق** - وبشكل غير مباشر للسياسة الإيرانية في العراق- يمكن أن يشكل أساساً لتقارب بين الحكومة التركية وإدارة ترامب. وإذا حدث ذلك، فإن من الصعب إرضاء إيران في ضوء الطريقة التي يتحدث بها ترامب ومستشاروه عنها.

## يحدث في العراق الآن...
## سليماني ومسجدي يحكمان

**هارون محمد – العرب اللندنية ٢٠١٧/١/١٩**

**يبدو أن الجنرال الإيراني قاسم سليماني،** الذي يعد الحاكم السياسي والعسكري العام في العراق بلا منازع، تنتظره مهام كبيرة وكثيرة خلال عام ٢٠١٧ الحالي، على مستوى المنطقة العربية والعراق جزء منها، لذلك اضطر إلى استقدام كبير مستشاريه إيرج مسجدي إلى العاصمة العراقية بصفة «سفير» في خطوة مدروسة لتحويل السفارة الإيرانية في بغداد وفروعها في البصرة والنجف وكربلاء وأربيل والسليمانية، إلى غرف عمليات خاصة، تتولى تنفيذ السياسات المرحلية والاستراتيجية والأجندة الإيرانية المستقبلية، في العراق والمنطقة برمتها، لأن طهران في الحقيقة، لا تحتاج إلى سفارات وسفراء وقناصل وملحقين في العراق، لأن الكثير من قياديي وكوادر الأحزاب والميليشيات الشيعية، إيرانيون أبا عن جد، ويعملون كمخبرين وجواسيس لها، يخدمون مصالحها، أفضل بكثير من منتسبي وأعضاء بعثاتها الدبلوماسية والاستخبارية الإيرانيين.

**تعيين مسجدي الذي يشغل منصب المستشار الأعلى لقائد فيلق قدس الجنرال قاسم سليماني،** ومفردة «الأعلى» لها وقع خاص في العقيدة الشيعية، وتستخدم للمبالغة والتعظيم لمن يوصف بها، بعنوان «سفير» في بغداد، وهو الذي خدم في الحرس الثوري أكثر من ٣٥ سنة، ويتمتع بنظرة عميقة حيال الأوضاع السياسية والأمنية والطائفية في العراق، كما نشرت التقارير الرسمية الإيرانية في تعريف سيرته الشخصية والوظيفية، وبسبب هذه «النظرة العميقة» اختاره الجنرال سليماني مستشارا أعلى له قبل سنوات، لم يأت صدفة أو اعتباطا، وإنما لأنه جزء أو طرف في المشروع الإيراني الذي ينفذه سليماني في العراق وسوريا ولبنان حاليا، ومقدماته «الهلال الشيعي» الذي لم يعد هدفا باطنيا أو سرا مخفيا.

**وقبل أيام اعترف خطيب حسينية براثا جلال الدين الصغير وهو صوت إيراني صارخ،** بأن «الهلال الشيعي سيتحول في المستقبل القريب إلى «المحيط الشيعي» بعد أن أصبح للشيعة حضور قوي في البحرين الأحمر والمتوسط، إضافة إلى «الخليج الفارسي» ويحكمون في العراق وسوريا ولبنان واليمن وغزة، وينشطون داخل المنطقة الشرقية السعودية والبحرين والكويت، ويتكاثرون في مصر والسودان والمغرب وأفريقيا».

**وعندما كتبنا وحذرنا أكثر من مرة وفي هذا المكان بالذات** من صحيفة «العرب» من تحركات الجنرال سليماني وخصوصا في المحافظات السنية العربية التي تستقطب اهتمامه ليس حبا بها ولا احتراما لأهلها، فإننا انطلقنا من وقائع وحقائق على الأرض تعزز ما نقول. فعلى صعيد محافظة ديالى، فإن السلطات الإيرانية حولت معسكر أشرف لمجاهدي خلق بعد إخلائه، إلى قاعدة إيرانية مئة بالمئة، وقد عمد الجنرال سليماني الذي أشرف على هيكلتها، إلى نشر لواء من الحرس الثوري فيها، بعد أن صادر مساحات زراعية شاسعة في محيطها بعمق ٧ كيلومترات وهجر سكانها الفلاحين الفقراء، ووسع المهبط القديم لطائرات الهليوكبتر، وطوره إلى مدرج يستقبل منذ عامين طائرات نقل عسكرية وقتالية بمعزل عن الحكومة العراقية.

**أما قضاء جرف الصخر شمال محافظة بابل،** فإن القوة المسلحة التي تحتل القضاء بعد طرد داعش منه، إيرانية بالكامل، اعترف رئيس الحكومة والقائد العام للقوات المسلحة حيدر العبادي، بأنه سأل عن هويتها وارتباطاتها من هيئة الحشد الشعبي، دون أن يحظى بجواب واضح عنها، بل إن ضباط هذه القوة احتجزوا وزير الداخلية السابق محمد سالم الغبان ومرافقيه في العام الماضي، عندما حاول زيارة القضاء ضمن جولة تفقدية للمحافظة، ولم يطلقوا سراحه رغم أنه قيادي في ميليشيات بدر الشيعية، إلا بعد مرور ثلاث ساعات على احتجازه وببرقية من طهران، وقبل ستة شهور قال محافظ بابل صادق السلطاني لوفد من نازحي المدينة منعوا من العودة إلى ديارهم، إن منطقة جرف الصخر ليست من مسؤولياته ولا تدخل ضمن سلطاته وموضوعها معقد.

**وفي ما يخص محافظة صلاح الدين فإن قرية المزرعة في أطراف تكريت باتت أيضا قاعدة إيرانية لا يعرف عنها أي شيء،** باستثناء لافتات بالعربية على مسافات بعيدة عنها تحمل عبارة «ممنوع الاقتراب

والتصوير»، في حين أصبح قضاء بيجي تحت السيطرة الإيرانية تماما، ومحظور على المحافظ ونواب المحافظة الوصول إليه، وسبق لفنيين إيرانيين أن فككوا معدات وأجهزة مصفاة وهو أكبر مصافي النفط والغاز في الشرق الأوسط، ونقلوها بشاحنات تحمل أرقاما إيرانية وتحت حراسة ميليشيات بدر والعصائب وكتائب حزب الله إلى قصر شيرين، مرورا بسامراء والعظيم والمقدادية وخانقين والمنذرية علنا.

**وقبل أسبوعين منعت قوة من كتائب حزب الله / النجباء، وهي إيرانية التأسيس والتجهيز والتسليح وحتى التقليد المذهبي،** مفرزة أميركية انطلقت من قاعدة سبايكر لاستطلاع منطقة الفتحة في جبال حمرين، بعد أن رصدت دواعش فيها، ولم تنفع محاولات الأميركيين بالتفاهم مع «النجباء» الذين هددوا بقتل كل من يتواجد في منطقة نفوذهم.

**واضح أن مشروع الهلال الشيعي الإيراني،** قد انتهت إجراءاته الميدانية في محافظتي ديالى وصلاح الدين، ولم يبق غير ربطه بقضاء تلعفر في غربي الموصل، الذي انتشرت في جنوبه وحدات الحشد الشعبي وصولا إلى الحدود السورية.

**أما محافظة الأنبار فإن المشروع الإيراني يستهدف تقزيمها،** وعزلها عن العاصمة بغداد ومحافظتي صلاح الدين والموصل، واقتطاع قضاء النخيب الذي ألحق عمليا وإداريا بمحافظة كربلاء، والعمل جار للسيطرة على قضاء الرطبة المجاور للأردن، وقطع اتصال المحافظة بالحدود السعودية بعد الاستيلاء على معبر عرعر، وتحويله إلى محافظة النجف التي أعلنت رسميا في الأسبوع الماضي عن تخصيص لواءين من الحشد الشعبي لحراسته.

**الهلال الشيعي الإيراني في شقه العراقي،** نفذ بدقة ودون اعتراض أي جهة أو دولة، ولا يستبعد أن يصبح مسجدي المسؤول الأعلى عنه بعد إعلانه، يدير شؤونه من مقره في بغداد، بعد استكمال إجراءاته في سوريا ولبنان وهي جاهزة تقريبا، لأن رئيسه سليماني سيتفرغ حتما للمشروع الأكبر: «المحيط الشيعي».

## هكذا يحصل الحوثيون على ٣.٥ مليون دولار يومياً؟

**يمن برس – يمن مونيتر ٢٠١٧/١/٤**

**تعد الموارد النفطية لليمن الركيزة الأساسية لاقتصاد البلد والخزينة العامة للدولة،** ومنذ اجتياح الحوثيين للعاصمة صنعاء في سبتمبر/ أيلول ٢٠١٤م وضعوا أيديهم على مؤسسات القطاع النفطي- قبل بقية القطاعات- وفق عدة مراحل، مستغلين أياً من الأحداث في البلاد للاستحواذ عليها.

**تنقل الحوثيون من مؤسسة نفطية إلى أخرى،** استهدفوا المؤسسات التابعة للحكومة أو الشركات الأجنبية العاملة في البلاد، طردوا المسؤولين الحكوميين المعينين - بدرجة أساسية الإدارة المالية وأمناء الصناديق- وعينوا ممثلين عن الجماعة كما زرعوا في كل مؤسسة ممثلاً لهم (يدعى مشرف)، لا يمر قرار إلا بموافقته.

**اعتمدت شبكة «يمن مونيتور» على معلومات دقيقة توصلت لها من مسؤولين معنيين بالقطاع النفطي في البلاد،** وكان هذا الموضوع مدرجاً في أبرز أجندات الصحافي «محمد العبسي» الذي توفي (مسموماً) في صنعاء في ديسمبر/ كانون الأول الماضي، ومثلت مدونته مرجعاً رئيسياً لوثائق فساد الجماعة وكافح من أجل إيضاحها لليمنيين.

### ما يكشف عنه التحقيق؟

حصل فريق الباحثين في هذا التحقيق لـ «يمن مونيتور» على بيانات صدرت من المسلحين الحوثيين، خلال عام (٢٠١٥) و(٢٠١٦)، إضافة إلى الوثائق التي نشرها أصدقاء «العبسي» في ما يمكن وصفه بـ «الإرث» الاستقصائي لمرحلة حكم الأمر الواقع للحوثيين والرئيس اليمني السابق، ويعتقد الكثير من الصحافيين أنه قُتل مسموماً عندما كان ينقب عن معلومات لثلاث شركات نفطية يملكها الحوثيون تدير القطاع النفطي بكاملة (استيراد- تصدير- سوق سوداء).

ويكشف التحقيق كيف أن المشتقات النفطية (وحدها) تعطي إيراداً للحوثيين بشكل سنوي حوالى مليار و ٢٥٠ مليون دولار، ما يقرب من (١٠٤ مليون ١٦٧ ألف دولار شهرياً)، بشكل يومي (٣ مليون و٤٧٢ ألف دولار) في المحافظات الخاضعة لسيطرتهم.

## كيف كانت البداية؟

كانت البداية عندما كان الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي، قيد الإقامة الجبرية في منزله بصنعاء، مرر الحوثيون صفقة «كارثة» تقضي بتمرير اتفاق عقد شراكة بين شركة توتال وبين الحكومة اليمنية تصبح بموجبها شركة توتال شريكاً في قطاعين نفطيين إنتاجيين هامين هما قطاع ١٨ (صافر) والقطاع ٢٠ المجاور له (شبوة ومأرب)، وكلاهما قطاعان تشغلهما الشركة المملوكة للدولة «صافر».

وفي تفاصيل وآثار الصفقة، منحت توتال الفرنسية، المعروفة بفسادها «العابر للقارات»، حسب تعبير الصحافي العبسي، حق الإنتاج في قطاعات نفطية انتاجية مهمة، مقابل لا شيء، ما يعني حرمان خزينة الدولة اليمنية من موارد مالية كبيرة، لقاء رشاوى وعمولات تمنحها توتال لسماسرة الحوثي، الذين زعموا أنهم جاؤوا لإنقاذ اليمنيين من براثن الفساد!

## رفض الحوثيين التخلي عن النفط

تواصلت شبكة «يمن مونيتور» بالشركة اليمنية للنفط للحصول على معلومات حديثة بما أن تحالف الحوثيين والرئيس اليمني السابق قد قاموا بتشكيل حكومة موازية في صنعاء، (نوفمبر/ تشرين الثاني) والسؤال عن إيرادات الشركة. رفض ثلاثة من كبار المسؤولين الرد على الأسئلة، لكن موظفاً له علاقة بالأمر تحدث بصراحة حول ما دار في أول زيارة لوزير المالية في حكومة الحوثيين (صالح شعبان).

وقال المسؤول لـ «يمن مونيتور»: «زار صالح شعبان شركة النفط بعد يومين من إعلانه وزيراً للمالية في محاولة للبحث عن إيرادات لخزينة الدولة بعد نقل البنك المركزي إلى عدن، وطالب بتوريد الإيرادات إلى حساب الحكومة لدى البنك المركزي. واشتاط المسؤولون الحوثيون غضباً».

وأبلغ الحوثيون «شعبان» رفضهم توريد المبالغ لحساب حكومة الشراكة مع حليفهم «صالح»، وما كان عليه إلا المغادرة يجر خلفه أذيال الخيبة. - كما أفاد المسؤول الذي فضل عدم الكشف عن هويته.

## أحجية السوق السوداء

في يوليو/ تموز ٢٠١٥م، أعلنت ما تسمى بـ «اللجنة الثورية العليا» لجماعة الحوثي أنها قررت تعويم أسعار المشتقات النفطية وفقا للأسعار العالمية، وهو ما يعني رفع الدعم عن المشتقات بشكل نهائي، وفتح المجال واسعا لاستيراد القطاع الخاص مباشرة.

ومن المصادفة أن الحوثيين اجتاحوا العاصمة صنعاء بمبرر قرار لحكومة الوفاق (التي رأسها محمد سالم باسندوة) في يوليو/ تموز ٢٠١٤م رفع الدعم عن المشتقات النفطية!

لكن ما يهم الحوثيين هو فتح المجال نحو استيراد القطاع الخاص مباشرة وبيعه في الأسواق السوداء، وفي ظل تحكم الجماعة بالميناء الذي يمد المحافظات الخاضعة لسيطرتهم بالاحتياجات (الحديدة) - غربي البلاد- فإن الأمور ستكون أكثر وضوحاً وانتاجية للحصول على الإيرادات، وتأسيس رؤوس أموال جديدة في الدولة.

يشير قرار التعويم، أيضاً، الذي يمر عليه قرابة (١٨ شهراً)- عام ونصف- إلى رفع رسوم الجمارك، والضرائب، وصندوق الطرق، وصندوق التشجيع، وهي رسوم كانت تضاف للسعر السابق، وتورد لخزينة الدولة، تحت البنود السابق ذكرها. كما قضى القرار بـ «إضافة خمسة ريالات يمنية للتر الواحد، من مادتي البنزين، والديزل، لتمويل إنشاء محطة كهرباء، ويورد المبلغ للحساب المضاف للمشروع في البنك المركزي اليمني. وأقرت اللجنة أيضا، إضافة رسوم على أسعار المشتقات لصالح إنشاء ميناء نفطي، لمدة أربعة وعشرين شهرا، بواقع ستين ريالا (٠,٢٧٩ دولار) على اللتر الواحد من مادة الكيروسين، و٥٤ ريالا (٠,٢٥١ دولار) على اللتر الواحد من مادة البنزين، و٧٩ ريالا (٠,٣٦٧ دولار) على اللتر الواحد من مادة الديزل.

ولتفكيك إجمالي ما حصل عليه الحوثيون لأجل مشاريعهم، وفق قرار التعويم، حصل «يمن مونيتور» على بيانات للاستهلاك (خلال عام ٢٠١٥م) في المحافظات الخاضعة لسيطرة الجماعة - مع أن الجماعة خلال العامين الماضين كانت الإيرادات بما فيها المحافظات المحررة تورد إلى حسابات المذكورة في البنك المركزي.

وبما أن الأوضاع كما هي خلال العام (٢٠١٦) بل على العكس انفرج استيراد المشتقات النفطية منذ تولي الأمم المتحدة مسألة الرقابة على الوردات إلى اليمن منذ مايو/ آيار ٢٠١٦م. خصوصاً وأن دراسة الأرقام ستكتفي للمحافظات الخاضعة لسيطرة الحوثيين.

ويظهر ذلك في الجدول الآتي:

| المحافظة | كمية المبيعات من الوقود عام ٢٠١٥ (مليون لتر) |
|---|---|
| تعز | ٢٠٣ |
| حجة | ٢٤٧ |
| البيضاء | ١٥٤ |
| ريمة | ٤ |
| عمران | ٨٨ |
| صنعاء | ١٣٧ |
| إب | ١٢١ |
| الحديدة | ٤٥٢ |
| المحويت | ١٦ |
| ذمار | ١٥٦ |
| صعدة | ٩٨ |
| الأمانة | ٤٢٦ |
| الإجمالي | ٢,١٠٢ مليار لتر |

❖الإحصائيات عن تقارير خاصة بـ «وزارة التخطيط» الخاضعة لسيطرة الحوثيين لكل المحافظات اليمنية.

## قرابة مليار دولار كزيادة في قرار التعويم

وإذا فرضنا أن متوسط ما ستأخذه الجماعة في اللتر الواحد للمشروعين (الميناء النفطي- والمحطة الكهربائية) سيكون (٦٥ ريالاً) فإن الجماعة ستحصد، خلال العام الواحد، (١٣٦ مليار و ٦٦٣ مليون ريال)، وفي عام ونصف ستحصل الجماعة المسلحة على (٢٠٤ مليار و٩٤٥ مليون ريال)، ما يقارب (٨١٩ مليون و٧٨٠ ألف دولار)، هذا فقط خلال المدة بين يوليو/تموز ٢٠١٥م- عند صدور قرار التعويم- إلى ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٦م، فيما يخص ما نص عليه القرار من مبالغ مالية على المشتقات النفطية لإنشاء محطة كهرباء و ميناء نفطي خاص، وهو ما لم يحدث ابداً، أو تظهر نواحي باتجاهه.

فجماعة الحوثي لم ترفع الدعم عن المشتقات النفطية فقط، بل كالعادة كانت الجبايات الجديدة فرضاً لتقوية رؤوس أموال الجماعة المسلحة والحصول على إيرادات تخص الجماعة وحدها.

## الأسواق السوداء

خلال عام ٢٠١٥م و٢٠١٦م كانت الأسواق السوداء هي المسيطرة بشكل واضح في المحافظات الخاضعة لسيطرة الحوثيين، وليست فقط الشركات الأخرى بل أيضاً شركة النفط اليمنية الخاضعة لسيطرة الجماعة.

رصد فريق لـ «يمن مونيتور»، مع نهاية عام ٢٠١٦م انخفاض واسع في الأسواق الموازية للباعة الجوالين للمشتقات النفطية، في العاصمة صنعاء، بعد أن كانت دراسة سابقة نشرت بداية العام الماضي تشير إلى وجود ٧٠٠ سوق سوداء معظمها على مداخل المدينة.

يعود السبب في ذلك إلى أن محطات التعبئة تبيع بسعر (السوق السوداء) عبر شركة النفط التي يفترض بكونها - حتى قبل قرار التعويم- المستورد والموزع الأساس للنفط.

وحسب السعر الرسمي للجالون البنزين فإنه لا يتجاوز (٢٧٠٠ ريال) ما يقرب(٩ دولار) لكن المحطات تبيع الجالون بـ(٥٠٠٠ ريال) وكحد أدنى (٤٢٠٠ ريال) وفي بعض الفترات والتي استمرت أشهر كانت السوق السوداء تبيع الجالون بـ(٦٠٠٠) ريال. فيما يبلغ سعر الجالون من الديزل (٤٥٠٠ ريال) تقريباً (١٥ دولار) من السعر الرسمي له والمقدر بـ(٢٥٠٠ريال). (الأسعار الرسمية بعد رفع الدعم عن المشتقات النفطية).

وقال المسؤول في شركة النفط لـ «يمن مونيتور»، إن الشركة مستمرة في بيع (الجالون) من النبزين ب ٣٦٠٠ ريال في بعض مراكز البيع بالمحافظات، لكن بكميات قليلة ونادراً ما يقوم أصحاب السيارات والشاحنات بالحصول على الكميات المطلوبة لهم بالرغم من الطوابير الطويلة، ويقرر فقط ٦٠ لتر لكل سيارة.

من خلال ما سبق، يمكن الافتراض أن المتوسط الأدنى الذي يجنيه الحوثيون هو (٢٠٠٠ ريال) من كل جالون يقومون بتوزيعه بمعنى (١٠٠ ريال)- أقل من ٤ دولار) في كل لتر، فإن إجمالي ما يجنيه الحوثيون خلال العام كأقل تقدير (٢١٠ مليار و ٢٠٠ مليون ريال)، بما يعني أن الحوثيين حصلوا خلال العام من خلال فارق (السعر فقط) بين (الرسمي والسوداء) مبلغ (٨١٩ مليون و ٧٨٠ ألف دولار) خلال العام وستصل اليمن العامين منذ بدء عمليات التحالف العربي في اليمن في مارس/ آذار، عندها يكون الحوثيون قد حصلوا على ( مليار و٦٣٩ مليون و ٥٦٠ ألف دولار).

## احتكار الحوثيين سوق الاستيراد

لا تقتصر أرباح الحوثيين على هذه فقط من الإيرادات، بل إن قرار «التعويم» قام بتفصيل الإستيراد على مقاس الجماعة، أعلن الحوثيون في نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠١٥م عن «لائحة الضوابط والإجراءات المنظمة لاستيراد المشتقات النفطية»، وهي اللائحة التي تمكن من الاستيراد دون الرجوع إلى شركة «النفط» اليمنية.

ورغم الانتقادات التي وجهها مجلس تنسيق اللجان النقابية لشركة النفط اليمنية إلا أن الحوثيين مضوا في طريقهم، ودعا بيان للمجلس أثناء اصدار اللائحة إلى «إلغاء قرار التعويم الكارثي، ووقف التعامل مع التجار المتورطين في السوق السوداء، وعبر الوسطاء المحليين، وتجنيب شركة النفط تدخلات مشرفي جماعة الحوثي غير المؤهلين.

ولوح المجلس بالتصعيد ما لم تستجب قيادة شركة النفط الحالية لمطالبهم المشروعة، وأبرزها «سحب اللائحة، وإلغاء قرار التعويم، أو إعادة النظر فيه بما يكفل حل مشكلة تموين مؤسسة الكهرباء، ومحاربة السوق السوداء ووقف التعامل مع كل من تورط في تجارته».

وفور صدور اللائحة تقدمت ثلاث شركات نفطية يملكها الحوثيون للسيطرة على سوق النفط في اليمن، وحدها فقط وليس شركات أخرى سواها، هذه الشركات تأسست فوراً ودون إبطاء مع الإعلان عن اللائحة، وحصلت على التراخيص.

وهذا الموضوع كان آخر ما تابعه «محمد العبسي» قبل وفاته المُقلقة منتصف ديسمبر/ كانون الأول الماضي، وهو ما دفع أسرته ونقابة الصحافيين اليمنيين للمطالبة بلجنة محايدة لتشريح الجثة وتحديد سبب الوفاة.===

وتشير مراسلات لـ «العبسي» قبل وفاته مع صحافيين وناشطين، تورط قيادات في جماعة الحوثي بتأسيس شركات تحتكر استيراد المشتقات النفطية من الخارج. من ذلك ما كشفه الإعلامي اليمني محمد الربع عن رسالة وجهها إليه العبسي قبل أيام من وفاته، طلب فيها من الربع الذي يعمل في قناة «يمن شباب» التي تبث برامجها من الأردن، الحديث عن «هوامير الفساد النفطي»، وقال العبسي في رسالته إنه أجرى بحثاً استقصائياً عن تجار السوق السوداء في اليمن واتضح له أن أكبر الشركات النفطية المحتكرة حالياً استيراد النفط ثلاث شركات كلها لقيادات حوثية.

وحسب المراسلات فإن الشركة الأولى الكبيرة هي لـ «محمد عبدالسلام» الناطق الرسمي باسم جماعة الحوثي المسلحة وأسماها «يمن لايف» ويديرها شقيقه، والشركة الثانية لتاجر السلاح الحوثي المعروف دغسان محمد دغسان واسمها «أويل برايمر»، بينما تعود الشركة الثالثة واسمها «الذهب الأسود» للحوثي علي قرشة الذي كان عضواً في لجنة الوساطة أثناء الحرب الخامسة، مشيراً إلى أنه تم إنشاء شركة في إمارة «دبي» من قبل الحوثيين كواجهة تقوم بشراء النفط باسمها صورياً حتى لا تواجههم مشاكل في الحصول على تراخيص من قبل دول التحالف.

وأشارت مراسلات العبسي إلى أن ارتفاع سعر الدولار إلى أكثر من ٣٠٠ ريال في فترة وجيزة سببه سحب العملة الصعبة من السوق والمتاجرة بها في استيراد النفط، ما يعد في نظر العبسي أحد الأسباب التي تجعل محمد عبدالسلام وفريقه المفاوض في محادثات السلام مع الحكومة الشرعية، يفشل أي حلول أو فرص للتوصل إلى السلام في اليمن، وإبقاء الوضع الحالي كما هو لأطول وقت ممكن حتى يتمكنوا من تكوين ثروة تمكنهم من البقاء اقتصادياً.

ونشر محمد الربع عدة وثائق زُود بها من قبل «العبسي» تؤكد كل ما ذكره، بينها رسالة موجهة من الشركة اليمنية للنفط إلى بنك اليمن الدولي تطلب فيها تحويل مبلغ ثلاثة ملايين و٤٢١ ألف دولار من حسابها لمصلحة شركة «الذهب الأسود» التي يمتلكها القيادي الحوثي علي قرشة، مقابل ٧٠٠ طن متري من الديزل.

وخلال العامين الماضيين تشكلت طبقة تجارية جديدة في السوق اليمنية من الحوثيين، اذ أنشأت قيادات حوثية عدة شركات صرافة، وفتحت عدداً كبيراً من محطات بيع المشتقات النفطية، ومعارض لتجارة السيارات، الأمر الذي مكنها من تكوين ثروات كبيرة، تم تسخير أجزاء منها لشراء الأراضي والمنازل في العاصمة صنعاء وبقية المدن التي يسيطر عليها مسلحو الجماعة الذين يسعون أيضاً لإنشاء شركة اتصالات جديدة من الجيل الرابع، بيد أن يحيى الراعي رئيس مجلس النواب المحسوب على «صالح»، تمكن من تجميد الترخيص لهذه الشركة في اللحظات الأخيرة.

من الملاحظ أن هذا النموذج في إدارة السوق السوداء «مستورد»، يشبه، إلى حد كبير، إدارة «الحرس الثوري» في إيران لمؤسساته الموازية في بلاده، بما في ذلك السوق السوداء التي يديرها بتشريع حكومي كاستدامة لموارده المالية، فالحرس الثوري يملك موانئ خاصة به لتهريب المشتقات النفطية، وهو أحد أكبر الرابحين من انهيار العملة مقابل الدولار، لدرجة وصلت في التجار الإيرانيين للتعامل بالذهب، وهذا ما حدث فعلاً في اليمن مع انهيار العملة اليمنية خلال الفترة الماضية.

# مؤشرات التطرف لدى الشباب

هذه بعض المؤشرات الفكرية والسلوكية التي تكشف للأسرة والمجتمع مبكراً عن تورط أبنائها بفكر الغلو والتطرف، ما يساعد على سرعة العلاج والوقاية قبل التورط الكامل بتقبل منظومة التطرف والغلو أو الأعمال الإرهابية.

## ١ المؤشرات الاقتصادية

- التغير في الوضع المالي سلباً أو إيجاباً، حيث تختفي نقوده دون مبرر واضح، أو يقتني دون سبب، أو التخلي عن بعض المقتنيات الثمينة أو ظهورها فجأة، وكذلك ممارسة أنشطة خيرية بطريقة غير رسمية أو واضحة.
- ممارسة أنشطة تجارية مشبوهة.
- العزوف عن العمل الحكومي مع توفره، والاتجاه نحو التجارة البسيطة كبيع الخضار والعسل وما شابه، وتبرير ذلك بشبهات شرعية حول مشروعية العمل الحكومي.
- استغلال العمل الخيري لأعمال غير صحيحة، أو استباحة المال العام لصالح جهات أخرى.

## ٢ المؤشرات الاجتماعية

- عدم مشاركة الفرد في المناسبات الاجتماعية، وقلة الخلطة بالمنزل مع الأهل، ومرافقة أشخاص غير معروفين أو يبدو عليهم التشدد والغلو.
- قطع العلاقات والصداقات السابقة بطريقة مفاجئة.
- اتخاذ أصحاب جدد في الواقع أو عبر النت مشبوهين أو متشددين.
- الذهاب مع الغرباء لرحلات برية باسم الصيد، أو لصلاة الجمعة عند خطيب محدد لديه تشدد.
- عقوق الوالدين وقطيعة الرحم وكثرة المنازعات مع الأسرة، وتزايد النقد للوضع العام والعلماء والقادة.

## ٣ المؤشرات النفسية

- الانطوائية عن الأسرة والأصدقاء، ومتابعة مواقع النت المتشددة والغالية.
- التوتر والقلق والخوف عند ذكر أجهزة الأمن أو جرائم الغــلاة.
- الوسواس والشك والاكتئاب ما لم يكن له سبب معروف.
- اختلال السلامة النفسية وظهور سلوكيات غريبة كإطالة الشعر وترك حسن المظهر.
- ارتداء اللباس الأفغاني أو غطاء الرأس بالألوان غير المألوفة (البني والرمادي والأخضر)، أو الطاقية السوداء (طاقية الزرقاوي).
- ترك الصلاة في المساجد خاصة صلاة الجمعة وفي رمضان.

## ٤ المؤشرات الفكرية

- أحادية الرأي والتصلب فيه ورفض آراء الآخرين.
- الميل للغلظة في القول والعمل والتشدد في الآراء، والتركيز على السلبيات والتفسيق والتخوين.
- الاعتماد على الرؤى والأحلام وتحميلها أكثر مما تحتمل.
- التجرؤ على الفتوى مع عدم القدرة العلمية خاصة في القضايا الكبرى.
- الغلو بتقديس بعض رموز تيار العنف والقتال.
- تتبّع الزلات وإشاعتها بهدف التنقيص من الدولة والعلماء وغيرهم ممن يعارضون أفكار الغلو والتطرف.
- رفض العمل السياسي السلمي للإصلاح والتغيير.
- التكفير للمجتمعات والدول والقادة والعلماء والجرأة على تكفير المعيّن، وتمني الانتقام منهم.

هذه هي المؤشرات التي يجب أن تنبّه الأسرة لحدوث خلل لدى أي فرد فيها مما يستدعي تدخلها، بالنصيحة والزجر، وإذا لم ينفع لا بد من إبلاغ الجهات الرسمية.

المصدر: كتاب "مؤشرات التطرف عند الشباب"، د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الهليل، مركز دلائل.